رسالة
عبد الله بن إسماعيل الهاشمي
إلى
عبد المسيح بن إسحق الكندي
يدعوه بها إلى الإسلام

ورسالة
الكندي إلى الهاشمي
يردّ بها عليه ويدعوه إلى النصرانيّة

في أيّام أمير المؤمنين الخليفة العبّاسي المأمون

سنة ٢٤٧ هجريّة و ٨٦١ مسيحيّة

التكوين

رسالة الهاشمي إلى الكندي
ورسالة الكندي إلى الهاشمي
يرد بها عليه

رسالة
عبد الله بن إسماعيل الهاشمي
إلى
عبد المسيح بن اسحق الكندي
يدعوه إلى الإسلام
و رسالة
الكندي إلى الهاشمي
يرد بها عليه ويدعوه إلى النصرانية

في ايام أمير المؤمنين الخليفة العباسي المامون

سنة 247 هجرية و 861 مسيحية

- الكتاب : رسالة الهاشمي إلى الكندي
ورسالة الكندي إلى الهاشمي
يرد بها عليه
- إعداد وتقديم : قسم الدراسات في دار التكوين
- الناشر : التكوين للنشر والتوزيع
دمشق- هاتف: 2236468
- البريد الإلكتروني: taakwen@yahoo.com

تقديم

إننا قد بذلنا الجهد في تصحيح هذه النسخة بمقابلتها مع نسخ خطية ومطبوعة. ولم ترد فيها إلا بعض إيضاحات سطرناها بالهامش.

وايضاً ، أن ما بين قوسين ( ) من أسماء السور ليس هو من الأصل المخطوط بل من النسخ المطبوعة. كما أننا تسهيلاً لمراجعة القارئ قد حررنا الاقتباسات الإنجيلية من ترجمة سنة 1881 المطبوعة في بيروت .

يقول المتولي : إنه ما حصل بيدي لهذا العلم إلا نسختان إحداهما منقولة على ما قيل من نسخة من بعض مكاتب القسطنطينية والثانية عن نسخة من إحدى مكاتب مصر بلا اسم الناسخ ولا المستنسخ، ولا تاريخ النسخ، والاثنتان في غاية التصريف مع الاختلاف العظيم في عدة مواضع اجتهدت في التأليف بينهما على قدر الإمكان ومن بذل وسعه فلا لوم عليه وإن قصر .

هذا ووجدت في آخر النسخة المصرية الزيادة الأتي نصها بحروفها «بلغنا أنه انتهى الأمر إلى المأمون في خبر الرسالتين فأمر بإحضارهما وقرأتا عليه فلم يزل صامتاً حتى جاء إلى آخرهما فقال:ما كان دعاه إلى أن يتعرض لما ليس من عمله وحتى أجاد (ولعل الصواب أجاز) كتاف نفسه، فإما النصراني فلا حجة لنا عليه لأن الأمر لو لم

يكن عنده هكذا لما أقام على دينه والدين دينان أحدهما دين الدنيا والآخر دين الآخرة، أما دين الدنيا فالدين المجوسي وما جاء به من دراسته (كذا ولعل الصواب ما جاء به زرا دشت) وأما دين الآخرة فهو دين النصارى وما جاء به المسيح وأما الدين الصحيح فهو التوحيد الذي هو دين صاحبنا فإنه الدين الجامع الدنيا والآخرة».

أما الرسالتان فقد ذكرهما العالم الشهير أبو ريحان محمد بن أحمد البيروني في كتابه المسمى «الآثار الباقية عن القرون الخالية» إذ استشهد بكلام عبد المسيح على ذبح الصابئة الآدميين قرباناً للقمر فقال: «وكذلك حكى عبد المسيح بن إسحاق الكندي النصراني عنهم (أي الصابئة) في جوابه عن كتاب عبد الله بن إسماعيل الهاشمي أنهم يعرفون بذبح الناس ولكن ذلك لا يمكنهم اليوم».

بسم الله الواحد الصمد

ذكر أنه كان في زمان عبد الله المأمون رجل من نبلاء الهاشميين وأظنه من ولد العباس قريب القرابة من الخليفة معروف بالنسك والورع والتمسك بدين الإسلام وشدة الإغراق فيه والقيام بفرائضه وسننه مشهور بذلك عند الخاصة والعامة. وكان له صديق من الفضلاء ذو أدب وعلم كندي الأصل مشهور بالتمسك بدين النصرانية وكان في خدمة الخليفة وقريباً منه مكاناً. فكانا يتوادان ويتحابان ويثق كل منهما بصاحبه والإخلاص له. وكان أمير المؤمنين المأمون وجماعة أصحابه والمتصلون به قد عرفوهما بذلك. وكرهنا أن نذكر اسميهما لعلة من العلل[1].

فكتب الهاشمي إلى النصراني كتاباً هذه نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد فقد افتتحت كتابي إليك بالسلام عليك والرحمة تشبّهاً بسيدي وسيد الأنبياء محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن ثقاتنا ذوي العدالة عندنا الصادقين الناطقين بالحق الناقلين إلينا أخبار نبينا عليه السلام قد رووا لنا عنه أن هذه كانت عادته وأنه كان صلى الله عليه وسلم إذا فتح كلامه مع الناس يبادئهم بالسلام والرحمة في مخاطبته إياهم ولا يفرق بين الذمي والأمي ولا بين المؤمن والمشرك وكان يقول أني بعثت بحسن الخلق إلى الناس كافة ولم أبعث بالغلظة

---

(1) هما عبد الله بن اسماعيل الهاشمي وعبد المسيح بن اسحق الكندي.

والفظاظة ويستشهد الله على ذلك إذ يقول {بالمؤمنين رؤوف رحيم}[1] وكذلــك رأيــت مــن حضــرته من أئمتنا الخلفاء المهتدين المهديين الراشــدين رضي الله عنهم أجمعين أنهم كانوا لفضل أدبهم، وشرف حسبهم، ونبل همتهم، وكرم أخلاقهم يتتبعون أثر نبيهم صلى الله عليه وســلم ولا يفرقون في ذلك ولا يفضلون فيه أحداً فسلكت ذلك المنهج واحتذيــت تلك السبل وأخذت ذلك الأدب المحمود فابتدأتك في كتابي هــذا بالسلام والرحمة لئلا ينكر عليّ منكر يقع إليه كتابي هذا والذي حملنــي إليك وحثني على ذلك محبتي لك إذ كان سيدي ونبيي محمد صلى الله عليه وسلم يقول محبة القريب ديانة وإيمان على أني كتبت طاعــة لرســول الله صلى الله عليه وسلم ولما أوجبه لك عندنا حق خدمتك لنا ونصحك إيانا وما أنت عليه من محبتنا وتظهره من مودتنا والمــيل إلينا وما أرى من إكرام سيدي وابن عمي أمير المؤمنين أيده الله لك وتقريبه إياك وثقته بك وحسن قوله فيك فرأيت أن أرضى لك مــا قد رضيته لنفسي وأهلي ووالديّ مخلصاً لك النصيحة ومبذلها[2] كاشــفاً عمــا نحن عليه من ديانتنا هذه التي ارتضاها الله لنا ولجميع خلقــه ووعدنــا عليها حسن الثواب في المعاد والأمن من العقاب في الآيــات إذ يقول تبارك وتعالى "ملة إبراهيم حنيفاً" (بقرة) ويقول عز وجــل وقولــه الحــق "الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين" (الزخرف) ويقـول أيضــاً مؤكداً" ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان

---

(1) أي محمد.

(2) صوابها وباذلها

حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين" (آل عمران) فرغبت لك في كل مـــا رغبـــت فـــيه لنفسي وأشفقت عليك لما ظهر لي من كثرة أدبك وبـــارع علمـــك، وحســـن تهذيبك، وجميل مذهبك، وشرف حسبك، وتقدمـــك على الكثير من أهل ملتك أن تكون مقيماً على ما أنت عليه مـــن ديانتك هذه فقلت أكشف له كما منَّ الله به علينا وأعرفه ما نحن علـــيه بليـــن القول وأحسنه متبعاً في ذلك ما أدبني الله به إذ يأمرني ويقـــول جـــل ثناؤه " ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن " (عنكـــبوت) فلســـت أجادلك إلا بالجميل من الكلام والحسن من القول واللين من اللفظ لعلك تنتبه وترجع إلى الحق وترغب فيما أتلوه عليك مـــن كـــلام الله عز وجل الذي أنزله على خاتم الأنبياء وسيد ولد آدم نبينا محمد عليه الصلاة والسلام ولم ايئس من ذلك بل رجوته لك من الله الذي يهدي من يشاء وسألته أن يجعلني سبباً في ذلك ووجدت الله تـــبارك وتعـــالى يقـــول في محكم كتابه " إن الدين عند الله الإسلام" (آل عمـــران) ويقـــول الله أيضاً مؤكداً لقوله الأول " ومن يبتغ غير الإســـلام ديـــناً فلـــن يقـــبل مـــنه، وهو في الآخرة من الخاسرين " (آل عمران). ثم أكد ذلك تبارك وتعالى أمراً قاطعاً إذ يقول " يا أيها الذيـــن آمـــنوا اتقـــوا الله حـــق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون " (آل عمران) وأنت الرجل عافاك الله من جهل الكفر وفتح قلبك لنور الإيمـــان تعلم أني رجل أتت عليّ سنون كثيرة وقد تبحرت في عامة الأديـــان وامتحنتها وقرأت كثيراً من كتب أهلها وخاصة كتبكم معشر النصـــارى فأني عنيت بقراءة الكتب العتيقة والحديثة التي أنزلها الله

علـــى موسى وعيسى وغيرهما من الأنبياء عليهم السلام فأما الكتب العتـــيقة التي هي التوراة وكتاب يشوع بن نون وسفر القضاة وسفر صـــموئيل النبي وسفر الملوك وزبور داود النبي وحكمة سليمان بن داود وكـــتاب أيوب الصديق وكتاب أشعيا النبي وكتاب الاثني عشر نبياً وكتاب أرميا النبي وكتاب حزقيال النبي وكتاب دانيال النبي فهذه هـــي الكتـــب العتيقة. فأما الكتب الحديثة فأولها الإنجيل وهو أربعة أجزاء الأول منها بشارة متّى العشار والثاني بشارة مرقص ابن أخت سمعان المعروف بالصفا والثالث بشارة لوقا المتطبب والرابع بشارة يوحـــنا بن زبدى فهذه أربعة أجزاء منها بشارة رجلين من الحواريين الاثني عشر الذين كانوا ملازمين للمسيح صلوات الله عليه وهما متّى ويوحـــنا وبشـــارة رجلين من الحواريين السبعين الذين كانوا للمسيح صـــلوات الله علـــيه بعثهم إلى الأمم دعاة له وهما مرقص ولوقا. ثم كـــتاب قصص الحواريين وأحاديثهم وأخبارهم من بعد ارتفاع المسيح إلـــى السماء الذي كتبه لوقا ورسائل بولص الأربع عشرة. فهذه كلها قد قرأتها ودرستها وناظرت فيها تيموثلوس الجثليق وقد علمت كيف تقدمه فيكم بفضل الرئاسة والعلم والعقل وناظرت فيها من أهل فرقكم هـــذه الثلاث التي هي ظاهرة أعني الملكية القابلين مركيانوس الملك علـــى عهد الشقاق الواقع بين نسطوريوس وكرللس وهم من الروم. واليعقوبـــية وهم أكفر القوم وأخبثهم قولاً وشرهم اعتقاداً وأبعدهم من الحـــق القائليـــن بمقالـــة كـــيرللس الاســـكندري ويعقوب البردعاني وســـاويرس صـــاحب كرســـي انطاكية. والنسطورية أصحابك وهم

لعمري أقرب بأقاويل المنصفين من أهل الكلام والنظر وأكثرهم ميلاً إلـــى قولنا معشر المسلمين وهم الذين حمد نبينا صلى الله عليه وسلم أمـــرهم ومدحهم وأعطاهم العهود والمواثيق وجعل لهم من الذمة في عـــنقه وأعناق أصحابه ما جعل وكتب لهم في ذلك الكتب وسجل لهم السـجلات وأكـد أمـــرهم عندما صاروا إليه حين أفضى الأمر إليه واستوثق له فأتوه وتحرموا بحرمته وذكروه بمعونتهم إياه على إعلان أمـــره وإظهار دعوته وما مكن الله له صلعم. وذلك أن الرهبان كانوا يبشـــرونه ويخـــبرونه قبل نزول الوحي عليه بما مكّن الله له وصار إليه. فلذلك كان صلى الله عليه وسلم يكثر تواده لهم وإطالة محادثتهم ويـــرى كثيراً عندهم مخاطباً لهم في تردده إلى الشام وغيرها. وكان الرهـــبان وأصـــحاب الأديـــرة يكرمونه ويحبونه طوعاً ويخبرون أصـــحابهم بمـــا يريد الله أن يرفع من أمره ويعلن من ذكره وكانت النصـــارى تمـــيل إلـــيه وتخبره بمكيدة اليهود ومشركي قريش وما يبتغونه له من الشر ويريدونه من الغوائل مع مودتهم له وإجلالهم إياه وأصـــحابه. فعند ذلك نزل الوحي على نبينا محمد عليه السلام وشهد الله لهم في القرآن قائلاً " ولتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذيـــن أشـــركوا (يعني مشركي قريش) ولتجدن أقربهم مودة للذين آمـــنوا الذيـــن قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يســـتكبرون " (مائدة) وعرف النبي عليه السلام بما أنزل عليه من الوحي صحة ضمائرهم ونياتهم وأنهم أصحاب المسيح حقاً السائرون بســيرته والآخذون بسنته إذ كانوا لا يرون القتال ولا يستحلون المال

ولا يغشـــون أحداً ولا يريدون بالناس سوءاً ولا مكروهاً وأنهم طالبو السـلامة ولا يضرون على حقد ولا على عداوة بل يعتقدون الفضل علـى الناس أجمعين. فأعطاهم نبينا عليه السلام لذلك ما أعطاهم من العهـود والمواثـيق وجعل لهم من الذمة في رقبته ورقاب أصحابه ووصـى بهـم تلك الوصية عندما أطلعه الله على ما أطلعه عليه من أمرهم وبراءة ساحتهم: فنحن مقرون بذلك غير جاحدين ولا منكرين وناظـرون لهـذا الفعـل وآخذون بهذه السنة وقابلون لهذه الوصية وموجـبون هـذا الحـق علـى أنفسـنا. ولقيت جماعة من الرهبان المعروفين بشدة الزهد وكثرة العلم ودخلت عماراً[1] وديارات[2] وبيعاً كثـيرة وحضرت صلواتهم تلك الطوال السبع التي يسمونها صلوات الأوقـات وهـي صـلاة الليل وصلاة الغداة وصلاة الثالثة التي هي صـلاة السـحر وصـلاة نصـف النهار أعني صلاة الظهر وصلاة التاسـعة التي هي قريبة من وقت العصر وصلاة الغروب التي هي صـلاة بيـن العصـر والعشـاء وصلاة الشفع وهي صلاة العشاء المفروضـة وصلاة النوم التي يصلونها قبل أخذهم مضاجعهم ورأيت ذلـك الاجـتهاد العجيب والركوع والسجود بإلصاق الخدود بالأرض وضـرب الجـبهة والتكـتف إلى انقضاء صلواتهم خاصة في ليالي الآحـاد وليالي الجمع وليالي الأعياد التي يسهرون منتصبي الأرجل بالتسـبيح والـتقديس والتهليل الليل كله ويصلون ذلك بالقيام نهارهم

---

(1) العمر بضم فسكون البيعة والكنيسة.

(2) الدير مقام الرهبان وجمعه أديار وأديرة وديارات.

أجمـــع ويكثرون في صلواتهم ذكر الآب والابن والروح القدس وأيام الاعــتكاف التـــي يســـمونها أيام البواعيث[1] وقيامهم فيها حفاة على المســوح والرماد باكين بكاءً كثيراً متواتراً بانهمال دموع من الأعين والجفون منتحبين بسحق عجيب ورأيت عملهم القربان كيف يحفظونه في خبزهم إياه ودعائهم عند عمله الدعاء الطويل مع التضرع الشديد عـــند إصعاده على المذبح في البيت المعروف ببيت المقدس مع تلك الكؤوس المملوءة خمراً ورأيت أيضاً ما يتدبره الرهبان في قلاليهم[2] أيـــام صـــيامهم الستة أعني الأربعة الكبار والاثنين الصغيرين وغير ذلك فهذا كله كنت له حاضراً ولأهله مشاهداً وبه عارفاً عالماً ورأيت أيضـــاً مطارنـــة وأســـاقفة مذكوريـــن بحســـن المعرفة وكثرة العلم مشـــهورين بشدة الإغراق في الديانة النصرانية مظهرين غاية الزهد فـــي الدنـــيا فناظرتهم مناظرة نصفةً طالباً للحق مسقطاً بيني وبينهم اللجـــاج والمـــراءاة والمكابـــرة بالســـلطة والصلف والبذخ بالحسب وأوســـعتهم أمـــناً أن يقوموا بحجتهم ويتكلموا بجميع ما يريدونه غير مؤاخذ لهم بذلك ولا متعنت عليهم في شيء كمناظرة الرعاع والجهال والسقاط[3] والعوام والسفهاء من أهل ديانتنا الذين لا أصل لهم ينتهون إليه ولا عقل فيهم يعولون عليه ولا دين ولا أخلاق تحجبهم عن سوء الأدب وإنمـــا كلامهم العنت والمكابرة والمغالية بسلطان الدولة بغير

---

(1) جمع باعوث سرياني وهو الاستمطار.

(2) أي معابدهم.

(3) بضم السين وتشديد القاف جمع ساقط لئيم الحسب والنفس.

علم ولا حجة. وكانوا إذا أنا ناظرتهم وسألتهم مسألة بحث فاحصاً عن قولهم وكانوا لشدة ورعهم ودعتهم واعتقادهم وتحرّجهم يصدقونني عن أمرهم ولا يكذبونني في شيء مما كنت أسائلهم عنه وأجادلهم فيه وكنت قد عرفت من بواطنهم مثل الذي قد عرفته من ظاهرهم فكتبت إليك أصلحك الله بهذا الشرح وعددت ما عددته واقتصصت مما اقتصصته بعد الاستقصاء والبحث الشديد والامتحان له على طول الأيام لئلا يظن بي أني عميّ بالأمر بل ليعلم من وقع في يده كتابي هذا أني عالم بالقضية فيهم علماً بجميع أمر النصارى حق معرفته. فأنا الآن متع الله بك، أدعوك بهذه المعرفة كلها مني بدينك الذي أنت عليه وما منحته إلى هذا الدين الذي ارتضاه الله لي وارتضيته لنفسي ضامناً لك به الجنة ضماناً صحيحاً والأمن من النار وهو أن تعبد الله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يتخذ صاحبة ولا ولداً ولم يكن له كفوًاً أحد وهي الصفة التي وصف نفسه جل وعز بها إذ كان ليس أحد من خلقه أعلم به من نفسه فدعوتك إلى عبادة هذا الإله الواحد الذي هذه صفته ولم أزد في كتابي هذا على ما وصف به نفسه جل اسمه وتعالى علواً كبيراً عما يشركون. فهذه ملة أبيك وأبينا إبراهيم صلوات الله عليه فإنه كان حنيفاً مسلماً. ثم أدعوك حفظك الله إلى الشهادة والإقرار بنبوة سيدي وسيد ولد آدم وصفي رب العالمين وخاتم الأنبياء محمد بن عبد الله الهاشمي القريشي العربي الابطحي التهامي صاحب القضيب والناقة والحوض والشفاعة حبيب رب العزة ومكلم جبرائيل الروح الأمين

الـــذي أرســـله الله بشيراً ونذيراً إلى الناس كافة " والهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون " (توبة) فدعا الناس كلهم أجمعيـــن أهـــل الشـــرق والغرب وأهل البر والبحر والجبل والسهل بالـــرحمة والـــرأفة وطيب القول وحسن الخلق واللين فاستجاب هذا الخلق كلهم إلى طاعة دعوته والشهادة له أنه رسول الله رب العالمين إلى من يريد انتصاحاً وأقر الأنام كلهم طائعين مذعنين لما عرفوا من الحـــق والصـــدق مـــن قولـــه وصحة أمره وما جاء به من البرهان الصـــريح والدليل الواضح وهو هذا الكتاب المنزل عليه من عند الله الذي لا يقدر أحد من الإنس والجن أن يأتي بمثله وكفى به دليلاً على دعوتـــه وأنـــه دعـــا إلى عبادة إله واحد فرد صمد فدخلوا في دينه وصـــاروا تحت يده غير مكرهين ولا مجبرين بل خاضعين معترفين مستنيرين بنور هدايته متطاولين باسمه على غيرهم ممن جحد نبوته وأنكر رسالته ورد أمره مقاوماً ومتعالياً فمكن الله لهم البلاد وأذل لهم رقاب الأمم من العباد إلا من قال بقولهم ودان بدينهم وشهد بشهادتهم فحقـــن بذلـــك دمـــه ومالـــه وحرمته أن يؤدي الجزية[1] عن يد وهو صاغر. وهذه الشهادة امتِع الله بك، هي الشهادة التي شهد الله بها قبل أن يخلـــق الخلائـــق إذ كان على العرش مكتوباً لا إله إلا الله محمد رســـول الله. أدعوك إلى الصلوات الخمس التي من صلاها لم يخب ولـــم يخســـر بـــل يربح ويكون في الدنيا والآخرة من الفائزين وهي الفـــرض فـــيها فرضان فرض من الله وفرض من رسوله مثل الوتر

---

(1) وهكذا بالأصل.

وهي ثلاث ركعات بعد العشاء الأخير. وركعتان في الفجر وركعتان بعد الظهر وركعتان بعد المغرب فمن ترك شيئاً من هذه فليس بجائز له ويجب على من تركها أياماً الأدب ويستتاب منه. فأما الفرض فهو سبع عشرة ركعة في اليوم والليل ركعتا الفجر وأربع ركعات الظهر وأربـــع ركعات العصر وثلاث ركعات المغرب وهي العشاء الأولى وأربـــع ركعـــات العشاء الآخرة وهي العتمة وقد نهي رسول الله أن يقـــال العـــتمة وقـــال هي عتمة الليل وإنما سميت عتمة لتأخرها في العشـــاء وإبطائهـــا. وأدعـــوك إلى صوم شهر رمضان الذي فرضه الديان ونزل فيه الفرقان شهر يشهد فيه الله أن فيه ليلة القدر التي هي خـــير مـــن ألـــف شـــهر تصوم فيه نهارك كله عن جميع المطاعم والمشـــارب والمناكح إلى أن يسقط قرص الشمس ويدخل حد الليل ثم تـــأكل وتشـــرب وتنكح في ليلك كله حتى يتبين لك الخيط الأسود من الخـــيط الأبـــيض حلالاً مطلقاً هنيئاً طيباً من الله فإن أنت لحقت ليلة القدر بإخلاص نيتك كنت قد فزت في دنياك وآخرتك قال الله تعالى " يـــا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون أياماً معدودات فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيراً فهـــو خير له وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون شهر رمضان الـــذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبيّنات من الهدى والفرقان فمن شـــهد منكم الشهر فليصمه ومن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة مـــن أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة

ولتكـــبّروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون وإذا سألك عبادي عني فإنـــي قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهـــم يرشدون أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم هن لباس لكم وأنـــتم لباس لهن علم الله أنكم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فـــالآن باشـــروهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكـــم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى اللـــيل ولا تباشـــروهن وأنتم عاكفون في المساجد تلك حدود الله فلا تقـــربوها " (بقـــرة) وكـــان النبي صلى الله عليه وسلم يقدم الفطور ويؤخـــر السحور. ثم أدعوك إلى الحج إلى بيت الله الحرام الذي بمكة والـــنظر إلـــى حرم رسول الله وإلى آثاره ومواضعه ورمي الجمار والتلبـــية والإحـــرام وتقبـــيل الركن والمقام ومشاهدة تلك المواضع المـــباركة وتلك المشاعر العجيبة. ثم أدعوك إلى الجهاد في سبيل الله بغـــزو المنافقين وقتال الكفرة والمشركين ضرباً بالسيف وسبياً وسلباً حـــتى يدخلـــوا ديـــن الله ويشهدوا أن لا إله إلا هو وأن محمداً عبده ورســـوله أو يـــؤدوا الجـــزية عن يدٍ وهم صاغرون. وأدعوك إلى الإقـــرار بـــأن الله يبعـــث من في القبور وأنه ديانهم بالعدل فيكافي الحســـنى بالحسنى ويجزي المسيء بإساءته وأنه يدخل أولياءه وأهل طاعته الذين أقروا بوحدانيته وشهدوا أن محمداً عبده ورسوله وآمنوا بما نزل عليه من القرآن الجنة التي أعد لهم فيها الطيبات "يحلون فيها أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير" (الحج) "وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور الذي أحلنا دار المقاومة

مـــن فضـــله لا يمســـنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب" (ملائكة) " أولـــئك لهـــم رزق معلوم فواكه وهم مكرمون في جنات النعيم على ســـرر متقابلين يطاف عليهم بكأس من معين بيضاء لذة للشاربين لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون وعندهم قاصرات الطرف عين كأنهن بيض مكنون " (صافات) " إن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غـــرف مبنية تجري من تحتها الأنهار وعد الله لا يخلف الله الميعاد " (زمر) "يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون الذين آمنوا بآياتـــنا وكـــانوا مسلمين ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون " (زخرف) " إن المتقين في مقام أمين في جنات وعـــيون يلبسون من سندس واستبرق متقابلين كذلك وزوجناهم بحور عيـــن يدعون فيها بكل فاكهة آمنين لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولـــى ووقاهم عذاب الجحيم فضلاً من ربك ذلك هو الفوز العظيم " (دخان) وقال عز وجل "مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من مـــاء غـــير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة مـــن ربهـــم كمن هو خالد في النار وسقوا ماء حميماً فقطع أمعاءهم" (محمد) وقال عز وجل " وإن للمتقين لحسن مآب جنات عدن مفتّحة لهـــم الأبواب متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب وعندهم قاصرات الطرف أتراب هذا ما توعدون ليوم الحساب إن هذا لرزقنا ما له من نفاد" (ص) وقال عز وجل في وصف الجنة " ولمن خاف

مقـــام ربه جنتان فبأي آلاء ربكما تكذبان ذواتا أفنان فبأي آلاء ربكما تكذبـــان فـــيهما عينان تجريان فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان فبأي آلاء ربكما تكذبان متكئين على فرش بطائنها من اســتبرق وجنى الجنتين دان فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن أنس قبلهم ولا جان فبأي آلاء ربكما تكذبان كأنهن الــياقوت والمــرجان فبأي آلاء ربكما تكذبان هل جزاء الإحسان إلا الإحسان فبأي آلاء ربكما تكذبان ومن دونهما جنتان فبأي آلاء ربكما تكذبان مدهامتان فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهــن خــيرات حسان فبأي آلاء ربكما تكذبان حور مقصورات في الخــيام فبأي آلاء ربكما تكذبان لم يطمثهن أنس قبلهم ولا جان فبأي آلاء ربكمــا تكذبان متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان فبأي آلاء ربكمــا تكذبان تبارك اسم ربك ذي الإجلال والإكرام" (الرحمن) وقـــال عـــز وجل " وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً حتى إذا جاؤوهـــا وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين " (الزمر) وقال عز وجل" ولقاهم نضرة وسروراً وجزاهم بما صـــبروا جنة وحريراً متكئين فيها على الأرائك لا يرون شمساً ولا زمهريـــراً ودانـــية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلاً ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قواريراً قوارير من فضة قدروها تقديراً ويســقون فـــيها كأساً كان مزاجها زنجبيلاً عيناً فيها تسمى سلسبيلاً" (الانســـان) وقال عز وجل "إن للمتقين مفازاً حدائق وأعناباً وكواعب

أتــراباً وكأســاً دهاقاً لا يسمعون فيها لغواً ولا كذاباً جزاء من ربك عطــاء حســاباً " (النــبأ) وقال تبارك وتعالى " إن المتقين في جنات ونعــيم فاكهيــن بمــا آتــاهم ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم كلوا واشــربوا هنيــئاً بمــا كنــتم تعملــون متكئين على سرر موصوفة وزوجــناهم بحــور عين والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان الحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهُم من عملهم من شيء كل امرء بما كسب رهين وامددنــاهم بفاكهة ولحم مما يشتهون يتنازعون فيها كأساً لا لغو فيها ولا تأثــيم ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون وأقبل بعضهم علــى بعــض يتساءلون وقالوا إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين فمنّ الله علينا ووقانا عذاب السموم إنا كنا من قبل ندعوه إنه هو البر الرحيم" (الطــور) وقال تبارك وتعالى " والسابقون السابقون أولئك المقربون فــي جــنات النعــيم ثلــة من الأولين وقليل من الآخرين على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأبــاريق وكأس من معين لا يصدّعون عنها ولا ينزفون وفاكهة مما يتخيرون ولحم وطير مما يشتهون وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون جزاء بما كانوا يعملون لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيماً إلا قيلاً سلاماً ســلاماً وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين في سدر مخضود وطلح منضــود وظــل ممدود وماء مسكوب وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممــنوعة وفــرش مرفوعة إنا أنشأناهن إنشاء فجعلناهم أبكاراً عرباً أتــراباً لأصحاب اليمين ثلة من الأولين وثلة من الآخرين " (الواقعة) فهذه أبقاك الله صفة الجنة التي أعدها الله للمؤمنين به وبرسوله وأعد

لهــم فــيها الطيــبات من الطعام والشراب وأنواع الفواكه والرياحين ونكــاح الحور العين اللاتي هن كأمثال اللؤلؤ المكنون بلا نهاية ولا انقطـــاع يأخذون كل ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين ولهم فيها الكرامة والحــياة والجلــوس علـــى الأسرّة متكئين على الأرائك عليهم ثياب الحريــر الليـــن مسورين بالأسرة المكللة باللؤلؤ تعرف في وجوههم نضـــرة النعيم يدور عليهم الولدان والوصائف والوصفاء الذين هم في جنسهم كاللؤلؤ المكنون يسقون من كأسات فيها الرحيق المختوم الذي ختامه مسك ومزاجه من تسنيم عيناً يشرب منها المقربون يحيوّن بها بأحســن التحية وأطيبها ويقولون لهم كلوا واشربوا وتنعموا هنيئاً لكم بما كنتم تعملون لا يسمعون فيها لغواً ولا يمسهم جوع ولا لغوب فهم في هذا النعيم آمنون واثقون خالدون أبداً . وأما الكفار الذين أشركوا بـــالله واتخذوا الأنداد ولم يؤمنوا برسله وكذبوا بآياته وحرموا حدوده وحـــاربوه فهـــم أهل الكفر يلقونها كفاحاً في جهنم لابثين في نار لا تنطفـــئ وزمهرير لا يوصف وهم فيها خالدون كلما احترقت جلودهم جـــددت لهـــم أخرى مقامهم في الجحيم وشرابهم المهل وطعامهم من شجرة الزقوم رفقاء لابليس وجنود له وبئس المصير.

وقـــال عز وجل " الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حـــق ويقـــتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشّرهم بعذاب أليم أولـــئك الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين" (آل عمران) وقال تبارك وتعالى" الذين يكفرون بالله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً أولئك

هــم الكافرون حقاً واعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً" (النساء) وقال تبارك وتعـالى " والذيــن كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفـف عــنهم مــن عذابها كذلك نجزي كل كفور" (الملائكة) وقال أيضاً.." شجرة الزقوم إنا جعلناها فتنة للظالمين إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم طلعها كأنه رؤوس الشياطين فإنهم لآكلون منها فمالئون مــنها الــبطون ثم إن لهم عليها لشوباً من حميم ثم إن مرجعهم لإلى الجحــيم" (صافات) ثم " فويل للذين كفروا من النار.... وأن للطاغين لشــرّ مــآب جهنم يصلونها فبئس المهاد هذا فليذوقوه حميم وغسّاق" (ص) وقــال" لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل" (الزمر) وقــال " ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة أليس فــي جهــنم مــثوى للمتكبريــن والذيــن كفروا بآيات الله أولئك هم الخاســرون" (الزمر) وقال" وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمراً حتى إذا جاءوهــا وفتحــت أبوابهــا وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يــتلون علــيكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقّت كلمة العذاب على الكافرين قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبــئس مــثوى المتكبرين" (الزمر) "وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعــوا ربكم يخفف عنا يوماً من العذاب قالوا أولم تك تأتيكم رسلكم بالبيــنات قــالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين إلا في ضلال" (المؤمن) وقال " ألم ترَ إلى الذين يجادلون في آيات الله أنى يصرفون الذيــن كذّبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا فسوف يعلمون إذ الأغلال فــي أعــناقهم والسلاســل يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون"

(المؤمن) وقال " الكافرون لهم عذاب شديد.. وترى الظالمين لما رأوا العــذاب يقولــون هــل إلـــى مرد من سبيل وتراهم يعرضون عليها خاشـــعين مـــن الذل ينظرون من طرف خفي" (شورى) وقال تبارك وتعالى" إن المجرمين في عذاب جهنم خالدون لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال إنكم ماكثون" (زخرف) وقال " إن شجرة الزقوم طعام الأثـــيم كالمهل يغلي في البطون كغلي الحميم خذوه فاعتلوه إلى سواء الجحـــيم ثـــم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم ذق إنك أنت العزيز الكـــريم إن هذا ما كنتم به تمترون" (دخان) وقال عز وجل"كمن هو خـــالد فـــي النار وسُقوا ماء حميماً فقطع أمعاءهم... ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الأمر والله يعلم أسرارهم فكـــيف إذا توفـــتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم ذلك بأنهم اتـــبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم أم حسب الذين فـــي قلوبهـــم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم" (محمد) وقال " ويل يومـــئذ للمكذبيـــن ألم نجعل الأرض كفاتا أحياء وأمواتا وجعلنا فيها رواسي شامخات وأسقيناكم ماء فراتا ويل يومئذ للمكذبين انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب لا ظليل ولا يغني مـــن اللهب أنها ترمي بشرر كالقصر كأنه جمالات صفر ويل يومئذ للمكذبيـــن هـــذا يـــوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين" (مرسلات).

فهل سمعت عافاك الله يا هذا بوصف أحسن وأعجب من هذا من ترغيب وترهيب وترشيف وتهويل وتحريض ووعد ووعيد لكل جبار وعنيد ولكل مصدق ومكذب ولكل مؤمن وكافر ولكل مقر وجاحد فلو لم ترغب إلا في ذلك الوصف لكان ذلك فيه الغنم والفوز العظيم ولم ترهب إلا من ذكر النار وأهوال جهنم لكان في تركك ذلك الخطب الجليل وعليك فيه الخسران المبين. وقال الله تبارك وتعالى" وذكّر فإن الذكرى تنفع المؤمنين" فأما نحن فقد ذكرناك فإن أنت آمنت وقبلت ما يتلى عليك من كتاب الله المنزل انتفعت بما ذكرناك وكتبنا به إليك وإن أبيت إلا المقام على كفرك وضلالك وعنادك للحق كنا نحن قد أجرنا إذ عملنا بما أمرنا به وكان الحق هو المنتصف منك إن شاء الله. فهذه أنار الله قلبك هيئة ديننا القيم وهذه شرائعه وأعلامه وسننه فإذا أنت دخلت فيه وأقررت به وشهدت على شهادته وأحببت الدخول في ما دعوناك إليه من شرائعنا النيرة وأعلامنا الواضحة وسنننا الحسنة كنت مثلنا وكنا مثلك فحسبك بنا شرفاً في الدنيا والآخرة وإن نبينا عليه السلام يقول يوم القيامة كل أحد مشغول بنفسه من ملك مقرّب ونبي مرسل سواه وهو يقول أهل بيتي أمتي أمتي فيجاب أولاً في أهل بيته ثم في أمته ويقول الرحمن للملائكة أني أستحيي أن أرد شفاعة صفيّي وحبيبي محمد ثم تكون ممن يجب لك ما يجب وتصلي إلى قبلتنا التي ارتضاها الله لنا وتقيم الصلوات الخمس بعد إسباغ الوضوء إذا كنت صحيحاً وقائماً على رجليك وإذا كنت مريضاً أو ضعيفاً فجالس فإن كنت على سفر فنصف ما تصليه وأنت بالحضر. قال الله عز وجل

"وأقيموا الصلاة وآتوا الزكوة" وأما الزكاة فهي رُبع العشر إذا أتى على المـــال وهو في ملك صاحبه حول كامل فتصرف ذلك على المساكين من ملتك والفقراء من أهلك، وتنكح من النساء ما أحببت لا جناح عليك فـــي ذلـــك ولا لوم ولا إثم ولا عيب إذا أنت تزوجتها بولي وشاهدين وآتيـــتها من المهر ما طابت به نفسك ونفسها مما تيسر ولك أن تجمع بيـــن أربـــع نساء وتطلق من شئت إذا كرهتها أو مللتها أو شبعت منها ولك أن تراجع بعد الاستحلال من أحببت منهن أيتهن تبعتها نفسك. قال الله عـــز وجل "فإن طلقتها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره فـــإن طلقها فلا جناح عليهما أن يتراجعا، وتتمتع من الإماء بما ملكت يداك وتختتن لتقيم سنة إبراهيم أبينا خليل الرحمن وسنة اسماعيل أبينا وأبيك صلوات الله عليهما وتغتسل من الجنابة ثم إن قدرت تصوم شهر رمضان وإلا أن فطرت من علة أو مرض أو سفر بعد أن تنوي قضاء ذلـــك " فـــإن الله يريد لعباده اليسر ولا يريد لهم العسر" وإن حنثت في قسمك عملت بما أمر الله به في ذلك إذ يقول تبارك وتعالى.

" لا يؤاخذكـــم الله بـــاللغو في إيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكـــم والله غفـــور رحـــيم " (بقـــرة) وكفارة الحنث عندنا معاشر المســـلمين قولـــه تعالى" إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهلـــيكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة إيمانكم إذا حلفتم واحفظوا إيمانكم كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشـــكرون" (مـــائدة). والحج واجب عليك لأنه جل جلاله يقول " ولله علـــى الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً "(آل عمران) وذلك إذا

لم يكن عليك دين وكانت لك راحلة وكان عندك ثمن الزاد والغزو في سـبيل الله فمعـه الغنيمة في الدنيا عاجلاً والأجر العظيم في الآخرة آجـلاً فقد سهّل الله وله الحمد، على المؤمنين وإن الله تبارك وتعالى ليحب أن يؤخذ بعزائمه وتشديداته. ولو لم يكن في دين الإسلام شيء إلا الطمأنينة والأمن وتسليم القلب لله والراحة والثقة بما ضمن الله لنا عـن نفسـه أنه هو يثيبنا على ذلك في الآخرة الأجر العظيم ويدخلنا جـنات النعـيم فنكون فيها خالدين وينصرنا فيها على القوم الظالمين لكـان فـي دون هـذا لنا الفوز العظيم. فقد تلوت عليك من قول الله تـبارك وتعالى وهو قول الحق لا خلف لوعده ولا تكذيب لقوله فيما سـلف مـن كتابي هذا ما في أقله كفاية فدع ما أنت عليه من الكفر والضلال والشقاوة والبلاء وقولك بذلك التخليط الذي تعرفه ولا تنكره وهـو قولكم بالآب والابن والروح القدس وعبادة الصليب التي تضر ولا تـنفع فإنـي أرتـابك عـنه وأجّل فيه علمك وشرف حسبك عن خساسـته فإنـي وجدت الله تبارك وتعالى يقول " إن الله لا يغفر إن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء" (نساء) وقال جل ذكره " لقد كفـر الذيـن قـالوا أن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجـنة ومأواه النار وما الظالمين من أنصار لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالـث ثلاثـة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسّـنّ الذين كفروا منهم عذاب أليم أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفـور رحـيم ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله

الرسل وأمه صدّيقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبيّن لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون" (مائدة).

فـــدع ما أنت منه من تلك الضلالة وتلك الحمية الشديدة الطويلة المتعـسبة وجهــد ذلـــك الصـــوم الآرم الصعب والشقاء الدائم والبلاء الطويـــل الذي أنت منغمس فيه الذي لا ينفع ولا يجدي عليك نفعاً إلا إتعـــابك بدنـــك وتعذيـــبك نفســـك وأقبل داخلاً هذا الدين القيّم السهل المـــنهج، الصـــحيح الاعـــتقاد، الحسن الشرائع، الواسع السبيل الذي ارتضـــاه الله لأوليائه من عباده ودعا جميع خلقه إليه من بين الأديان كلهـــا تفضلاً منه عليهم به وإحساناً إليهم بهدايته إياهم ليتم بذلك نعماه عـــندهم. فقد نصحت لك يا هذا وأديت حق المودة وخالص المحبة إذ أحببت أن أخالطك بنفسي وأن أكون أنا وأنت على رأي واحد وديانة واحـــدة.فإني وجدت ربي يقول في محكم كتابه " إن الذين كفروا من أهـــل الكـــتاب والمشـــركين في نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر الـــبرية إن الذيـــن آمـــنوا وعملـــوا الصالحات أولئك هم خير البرية جـــزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبـــداً رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه "(بينة) وقال الله فـــي محكـــم كتابه في موضع آخر"كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف"(آل عمران) وأشفقت عليك أبقاك الله أن تكون من أهل النار الذين هم شر البرية ورجوت أن تكون بتوفيق الله إياك من المؤمنيـــن الذيـــن رضـــي الله عـــنهم ورضوا عنه وهم خير البرية ورجـــوت أن تكون من هذه الأمة التي هي خير أمة أخرجت للناس

فإن أبيت إلا إلطاظاً ولجاجاً وجهلاً وتمادياً في كفرك وطغيانك الذي أنــت فيه ورددت علينا قولنا ولم تقبل ما بذلناه لك من نصيحتنا حيث لم نرد منك على ذلك جزاءً ولا شكراً فاكتب بما عندك من أمر دينك والذي صح في يدك منه وما قامت به الحجة عندك آمناً مطمئناً غير مقصر في حجتك ولا مكاتم لما أنت معتقده ولا فرق ولا وجل فليس عــندي إلا الاســتماع للحجــة منك والصبر والإذعان والإقرار بما يلزمني منه طائعاً غير منكر ولا جاحد ولا هائب حتى نقيس ما تأتينا بــه وتتلوه علينا ونجمعه إلى ما في أيدينا ثم نخبرك بعد ذلك على أن تشــرح لنا عليه وتدع الاعتلال علينا بقولك أن الفزع حجبك وقطعك عــن بلــوغ الحجــة واحتجت أن تقبض لسانك ولا تبسطه لنا ببيان الحجــة فقــد أطلقناك وحجتك لئلا تنسبنا إلى الكبرياء وتدعي علينا الجــور والحــيف فإن ذلك غبر شبيه بنا. فاحتجّ عافاك الله بما شئت وقــل كيف شئت وتكلم بما أحببت وانبسط في كل ما تظن أنه يؤديك إلــى وثيق حجتك فإنك في أوسع الأمان ولنا عليك أصلحك الله إذ قد أطلقــناك هذا الإطلاق وبسطنا لسانك هذا البسط أن تجعل بيننا وبينك حكماً عادلاً لا يجور ولا يحيف في حكمه وقضائه ولا يميل إلى غير الحق إذا ما تجنب دولة الهواء وهو العقل الذي يأخذ به الله عز وجل ويعطــي فإنــنا قــد أنصفناك في القول وأوسعناك في الأمان ونحن راضــون بما حكم به العقل لنا وعلينا. إذ كان لا إكراه في الدين وما دعونــاك إلا طوعــاً وترغيباً في ما عندنا وعرفناك شناعة ما أنت عليه. والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

فأجابه النصراني

بسم الله الرحمن الرحيم

ربِّ يسر ولا تعسر ربِّ تمم بالخير

إلى فلان بن فلان من فلان بن فلان أصغر عبيد المسيح سلامة ورحمـــة ورأفـــة وتحيات تحل عليك خاصة وعلى جميع أهل العالم عامة بجوده وكرمه آمين.

أما بعد قد قرأت رسالتك وحمدت الله على ما وهب لي من رأي ســيدي أمير المؤمنين ودعوت الله الذي لا يخيب داعيه إذا دعاه بنيّة صـــادقة أن يطـيل بقـــاء سيدنا أمير المؤمنين في أسبغ النعم وأدوم الكرامة وأشمل العافية بمنه ورحمته وشكرت أكرمك الله ما ظهر لي مـــن فضلك بالعناية وما كشفته من لطيف محبتك وخصصتني به من المـــودة فقـــد كان العهد قبلاً عندي على هذا قديماً وقد زاده تأكيداً ما تبيـــن لـــي من شفقتك مستأنفاً وشكري يقصر عما فعلته ولم تتعد ما يشـــبه كرم طباعك وشرف سلفك وأنا أرغب إلى الله جل اسمه الذي بيده الخير كله أن يتولى مكافأتك عني بما هو واسع له فإنه لا يعجز عـــن شـــيء ويحسن جزاؤك عن نيتك فقد لعمري أفرغت مجهودك والنصـــيحة عـــند نفسك ولم تبق غاية ووجب شكرك عليّ إذ كنت لم تأت بما أتيت به إلا على الإخلاص من المودة وكان الذي حملك على ذلـــك من فرط المحبة والألفة وفهمت أفهمك الله كل خير وهداك إلى سبيل الرشاد ما اقتصصته في كتابك وتعمقت فيه من الدعوة وشرحته مـــن أمـــر ديانتك هذه التي أنت عليها وما دعوتني إلى الدخول إليه

ورغّبتني فيه منها وقد علمت أصلحك الله علماً حقيقياً أن الذي دعاك إلى ذلك ما يوجبه لنا تفضلك من حق حرمتنا بك لما يظهر من رأي سيدنا وسيدك وابن عمك أمير المؤمنين فينا فهذا أكرمك الله ما لا قوة لنا على شكرك عليه ولا عون لنا على ذلك إلا الله تبارك وتعالى فإننا نســتعينه ونســأله مبتهلين طالبين إليه أن يشكرك عنا فإنه أهل لذلك والقــادر عليه فأما ما دعوتني إليه من أمر دينك الذي تنتحله ومقالتك التــي تعتقدها وهي الحنيفية وأنك على ملة أبينا إبراهيم وما قلت فيه أنــه كان حنيفاً مسلماً فنحن نسأل المسيح سيدنا مخلص العالمين الذي وعدنا الوعد الصادق وضمن لنا الضمان الصحيح في إنجيله المقدس حيــث يقــول «ومتّى قدّموكم إلى المجامع والرؤساء والسلاطين فلا تهــتموا كيف أو بما تحتجون أو بما تقولون لأن الروح القدس يعلمكم فــي تلــك الساعة ما يجب أن تقولوه». (لوقا12:11و12) أنا واثق بما وعدنــي بــه ســيدي المسيح في إنجيله المقدس من إنجازه وعده لي وأدخل معك إلى المعركة مستعيناً بالله متكلاً عليه إذ كنت أنا العاجز عــن كل شيء لا أتأخر عن دعوته المنيرة وعن دينه الأفضل وافتتح كلامــي بمــا يلقننــي به من صلاح القول ويعلمني من وثيق الحجة كعادتــه عــند أوليائه وأرجو منه الظفر. وأقول مجيباً لك قد علمت أبقــاك الله إذ زعمــت أنك قرأت كتب الله المنزلة ونظرت في ديوان أســراره المقدســة التــي هي الكتب العتيقة والحديثة أن التوراة التي أنــزلها الله تعــالى علــى موسى النبي وناجاه بجميع ما فيها وخبره أسراره مكتوب في السفر الأول من أسفارها الخمسة وهو المعروف

بسفر الخليقة أن إبراهيم كان نازلاً مع آبائه بحران وأنها كانت مسكناً لهـم وأن الله تـبارك وتعـالى تجلى عليه بعد تسعين سنة وآمن به وحسـب له ذلك براً فقد علمنا يرحمك الله أن إبراهيم إنما كان نازلاً بحـران مع آبائه تسعين سنة لم يعبد إلا الصنم المسمى العزى وهو المعـروف بحـران المتخذ على اسم القمر لأن أهل حران إنما كانوا يعـبدون هذا الصنم وتلك البقية قائمة فيهم إلى هذه الغاية لا يكاتمون بها ولا يسترون منها شيئاً غير القرابين التي يتخذونها من الناس فإن نبـح الناس يتهيأ لهم اليوم جهراً بل يحتالون فيه فيفعلونه سراً فكان إبراهيم يعبد الصنم حنيفاً مع آبائه وأجداده وأهل بلده كما أقررت أنت أيهـا الحنيف وشهدت بذلك عليه إلى أن تجلى الله عليه "فآمن بالرب فحسـبه لـه بـراً" (تكوين 15: 6) زال عن الحنيفية التي هي عبادة الأصـنام وصار موحداً مؤمناً لأننا نجد الحنيفية في كتب الله المنزلة اسـماً لعبادة الأصنام فورث ذلك التوحيد اسحق الذي هو ابن الموعد وهـو الـذي قربه لله ففداه الله بالكبش من الفدية لأنه هكذا أمره الله وقـال" خـذ ابنك وحيدك الذي تحبه اسحق واذهب إلى أرض المريا وأصـعده هناك محرقة على أحد الجبال الذي أقول لك" (تك 22: 2) ومـن نسل اسحق من سارة الحرة خرج المسيح مخلص العالم. فلهذه الأسـباب وغيرها ورّثه إبراهيم أبوه التوحيد ثم ورّثه اسحق يعقوب ابـنه الـذي سماه الله إسرائيل ثم ورثه يعقوب الاثني عشر سبطاً فلم يـزل ذلـك الـتراث في بني إسرائيل حتى دخلوا أرض مصر أيام الفراعـنة بسبب يوسف ثم لم يزل ذلك التراث ينقص ويضعف قرناً

بعد قرن حتى اضمحل كاضمحلاله الذي كان في عصر نوح إذ كان التوحيد أول من عرفه أبونا آدم ثم ورثه شيث ثم ورثه انوش ابنه فكان انوش أول من أعلن ذكر التوحيد ودعا إليه ثم ورثه ولده وولد ولده ثم اضمحل إلى زمن إبراهيم فتجدد ذلك التراث لإبراهيم ولم يزل يتجدد إلى أن ولد يعقوب الذي هو إسرائيل الله ثم اضمحل حتى تجدد عندما بعث الله موسى فإن الله تجلى عليه بالنار في العوسجة وقال في مناجاته إياه ومخاطبته له ما معناه "إنك ترسلني إلى قوم غلف القلوب إن هم سألوني وقالوا ما اسم الذي وجهك علينا وبماذا وجهك حتى نصدقك فماذا أقول لهم فقال الله مجيباً هكذا تقول لبني إسرائيل الذين أنا مرسلك إليهم وبهذا القول تخاطب فرعون إذا دخلت إليه "أهيه أشراهيه أرسلني إليكم" وتفسيره ذلك الأزلي الذي لم يزل إله آبائكم إله إبراهيم وإله اسحق وإله يعقوب أرسلني إليكم"[1] فجدد في هذا الموضع في الظاهر ذكر التوحيد واللغز عن سر الثالوث حيث قال إله إبراهيم وإله اسحق وإله يعقوب فيكون بذلك القول ذكر الثلاثة الأقانيم بعد ذكر التوحيد كما كان قديماً فهو واحد ذو ثلاثة أقانيم لا محالة لأنه أجمل في قوله إله آبائكم ثم قال مكرراً اسم الجلالة ثلاث مرات فنقول أنها ثلاثة آلهة أم إله واحد مكرر ثلاث مرات فإن قلنا أنها ثلاث آلهة أشركنا وجئنا بأشنع القول وأمحله وإن قلنا إله واحد مكرراً ثلث مرات فنكون قد نخعنا الكتاب حقه لأنه قد يمكنه أن يقول إله آبائكم إبراهيم واسحق ويعقوب وإنما كرر ذلك

---

(1) قابل أصحاح 3: 15 من الخروج.

للإشـــارة بأن في هذا الموضع سراً وهو أن الله واحد ذو ثلاثة أقاليم فـــثلاثة أقانــيم إله واحد وإله واحد ثلاثة أقانيم فأي دليل أوضح وأي نـــور أضوى من هذا إلا لمن عائد الحق وأراد أن يغش نفسه ويعمي عيـــن تميــيزه ويصم سمع عقله عن استماع سر الله الذي أودعه في كتـــبه التـــي أنـــزلها على أنبيائه وهي أكرمك الله في أيدي أصحاب الـــتوراة إلـــى هذه الغاية لم يكونوا يفهمونه حتى جاء صاحب السر الـــذي هو المسيح سيدنا وكشفه لنا وأفهمناه فقد علمنا الآن أن إبراهيم كـــان منذ ولد إلى أن أتت عليه تسعون سنة حنيفاً عابد صنم ثم آمن بـــالله إلى أن قبض فأنت أصلحك الله تدعوني إلى دين إبراهيم وملته فليـــت شعري إلى أي مذهبيه ودينيه تدعوني وفي أي حالتيه ترغبني أحيـــث كان حنيفياً يعبد الصنم المعروف بالعزى مع آبائه وأهل بيته وهـــو بحران أم حيث خرج عن الحنيفية ووحد الله ووعبده وآمن به وانـــتهى إلـــى أمـــره عندما أمره أن ينتقل عن بلده فانتقل طائعاً عن حـــران دار الكفرة ومدينة أهل الضلالة فلا أظنك تستجيز في عقلك، وحســـن تميـــيزك، وجـــودة معرفـــتك التـــي زعمت بالكتب المنزلة ودراســـتك إياها أن تدعوني إلى مثل حال إبراهيم في كفره وضلاله من عبادة الأصنام التي هي الحنيفية وإن كنت تدعوني إلى حالة وقت إيمانه وما حسب له من البر وقت توحيده فاليهودي ابن إبراهيم أولى بهـــذه الدعوة منك لأنه صاحب تراث اسحق الذي ورث هذا التوحيد عـــن إبراهـــيم أبيه وهو أولى منك وأحق بهذا الأمر فما لك والظلم والحـــيف والجـــنف وطلب ما لم يجعله الله لك حقاً فأنت دائماً تنسب

ذاتــك إلى العدل وتصفها بهذه الصفة وصاحبك يقر في كتابه ويقول طائعاً أنه قيل له" قل أني أمرت أن أكون أول من أسلم ولا تكونن من المشـــركين" (الأنعـــام) أفلا ترى أنه أول من أظهر الإسلام وأن قبله إبراهـيم وغيره لم يكونوا مسلمين لأن صاحبك قد أقر بأنه هو أول من أسلم وفي هذا الجواب لهذا الباب كفاية وأمر مقنع لذوي الألباب.

فـــإن أبيت أصلحك الله إلا الوكالة بالخصومة والاحتجاج عن اليهود فأنـــت تعلـــم مـــا يجـــب لنا عليم في الحكم إذا نحن طالبناك بإقرار الـــيهودي بتوكيله إياك فإن ثبتت وكالتك له فبتمهلنا عليك ومسامحتنا لـــك في هذا الموضع أن نأخذ منك إقرارك أنك أقمت نفسك ونصبتها منصب الخصم عن اليهود وأنا لا أرى لشرفك وحسبك أن أحلك هذا المحل وأقيمك هذا المقام وإن كنت أنت أحللته نفسك وأني أسألك عن هذا الواحد الذي دعوتنا إلى الإقرار بوحدانيته كيف تفهمنا أنه واحد وعلـــى كم نحو يقال للواحد واحداً فإذا أنبأتنا بذلك علمنا أنك صادق فـــيما ادعيـــت مـــن عـــبادة هذا الواحد وإن ألفيت غير عالم به فأين تبصرك ألا تعلم أن الواحد لا يقال واحداً إلا على ثلاثة أوجه إما في الجنس وإما في النوع وإما في العدد ولست أرى أحداً يدعى غير هذا أو يقـــدر أن يجد غير هذه الأوجه الثلاثة إن كان ذا لب وإدراك لما يقـــول وإنما أناجيك بهذه المناجاة وأخاطبك بما يخاطب به ذو العقل والرأي الراسخ في العلم الداخل في الأمور بدراية فهم لأنك أيدك الله لست عندي من الجهال الذين إذا أوردت عليهم مسألة غامضة تلطف عـــن غلـــظ طباعهم وجفاء أذهانهم عجزوا عن فهمها وانقطعوا عن

الإجابة عنها لقلة علمهم فلم يكن لهم ولا عندهم من الجواب فيها غير سـبحان الله. نعم سبحان الله أبداً حتى تنصرم الدنيا ما دامت الآخرة من كل لسان ناطق وشفة متحركة فعلى أي وجه تصف الله عز وجل واحداً من هذه الوجوه التي ذكرتها لك أفي الجنس أم في النوع أم في العـدد فـإن قلت أنه واحد في الجنس صار واحداً عاماً لأنواع شتى لأن حكم الواحد في الجنس هو الذي يضم أنواعاً كثيرة مختلفة وذلك ممـا لا يجـوز في الله تعالى وإن قلت أنه واحد في النوع صار ذلك نوعـاً عامـاً لأقانيم شتى لأن حكم النوع يضم أقانيم كثيرة في العدد وإن قلـت أنـه في العدد كان ذلك نقضاً لكلامك أنه واحد فرد صمد لأنـي لا أ شـك في أنه لو سألك سائل عن نفسك فقال لك كم أنت لا تقـدر أن تجيبه بأنك واحد فرد فكيف يقبل عقلك هذه الصفة التي لا تفضل إلهك عن سائر خلقه وليتك مع وصفك إياه بالعدد كنت وصفته أيضـاً بالتبعـيض والنقصـان أتراك لا تعلم أنت الرجل الذي فتشت الكتـب وقـرأتها وناظرت أهل الملل المختلفة وفهمت اعتقاداتهم أن الواحـد الفـرد بعض العدد لأن كمال العدد ما عم جميع أنواع العدد فـالواحد بعض العدد وهذا نقض لكلامك فإن أنت قلت أنه واحد في الـنوع فالـنوع ذوات شتى لا واحد فرد وإن قلت واحد في الجوهر وجب أن نسألك هل تخالف صفة الواحد في النوع عندك صفة الواحد فـي العدد أو إنما تعني واحداً في النوع واحداً في العدد لأنه عام فإن قلت قد تخالف هذه تلك قلنا لك حد الواحد في النوع عند أهل الحكمة العارفين بحدود الكلام والعالمين بقوانين المنطق اسم يعم أفراداً شتى

وواحد الواحد ما لا يعم غير نفسه المقر أنت أن الله واحد في الجوهر يعـــم أشخاصاً شتى إنما تصفه شخصاً واحداً وإن كان معنى قولك أن واحـــداً في النوع واحد في العدد فإنك لم تعرف الواحد في النوع ما هـــو وكـــيف هو ورجعت إلى كلامك الأول أنه واحد في العدد وهذه صـــفة المخلوقين كما قدمنا أنفاً وإن قلت هل تقدر أنت أن تصف الله واحداً في العدد إذا كان كزعمك الواحد في العدد بعضاً وليس بكامل قلـــنا لـــك أننا نصفه واحداً كاملاً في الجوهر مثلثاً في العدد أي في الأقانـــيم الثلاثة. فقد كملت صفته من الوجهين جميعاً أما وصفنا إياه واحـــداً فـــي الجوهـــر فلاعـــتلائه جل وعز عن جميع خلقه وبريته محسوسة كانت أو غير محسوسة لا يشبهه شيء منها ولا يختلط في غيره بسيط غير كثيف، وروحاني غير جسماني، أب على كل شيء بقـــوة جوهره من غير امتزاج ولا اختلاط ولا تركيب وأما في العدد فلأنه عام لجميع أنواع العدد لأن العدد لا يعد وإن تكن أنواعه نوعين زوجـــاً وفـــرداً فقد دخل هذان النوعان في هذه الثلاثة فبأي الأنحاء وصـــفناه لـــم نعدل عن صفة الكمال شيئاً كما يليق به ذلك لتعلم أن وصـــفنا الله واحـــداً ليس على ما وصفته أنت أكرمك الله وأرجو أن يكـــون هـــذا الجواب مقنعاً لك وللناظر في كتابنا هذا إذا نظر بعين الإنصـــاف إن شـــاء الله. واعلم أصلحك الله أنه كان يمكننا أن نعقّد الكلام في هذا الفصل من كتابنا وكان ذلك مما يحتمله الموضوع لكننا أحببنا أن يكون كلامنا سهلاً يفهمه كل من قرأه واستملى منه وكي لا تســـتثقله الأسماع وينفر منه الذهن وينبغي لك أصلحك الله أن تعلم أن

مناضلتنا في هذا الأمر كمناضلة الأخوة المشتركين في بضاعة واحدة ورثوها عن أبيهم فكل فيها مشترك ليس بعض فيها دون بعض فأنت ونحـــن في الكلام سواء فما جاء من الجواب وكان فيه بعض مرارة توجـــب الحـــق فينبغـــي لـــك أن تعـــترف به ولا تنكره فإنا لا ندع الاستقصـــاء وبلوغ الغاية القصوى في اللبس عن حقنا ودحض حجة مـــن أراد إبطال حجتنا وأمرنا وحاول ظلمنا. وأما قولك أنه لم يتخذ صـــاحبة ولا ولـــداً ولم يكن له كفؤاً أحد فإن أنت أبقاك الله أنصفتنا، والإنصـــاف أشبه بك وأولى كما ضمنت عن نفسك وعدلت في القول وألزمتنا قانون الحق أقررت لي بهذا أن الذي ألزمه أن له خليلاً وله حبيـــباً وله صفياً هو الذي شنع عليه وألزمه أن له صاحبة وأنه اتخذ ولـــداً وكـــان له أكفاء وأما نحن أصلحك الله فلا نقول أن الله تبارك وتعـــالى كانت له صاحبة ولا أنه اتخذ ولداً ولا أنه كان له كفؤاً أحد ولا نصـــف الله عـــز وجل بمثل هذه الرذائل والخسائس من صفات التشـــبيه وإنمـــا هذه الشبهات لكم من قبل اليهود حيث أرادوا كيدكم بذلـــك فلفقـــوا هـــذه القصص التي يقصونها على ظهر الطريق وفي الشـــوارع فيتكلمون بالعظائم وبكل شنيع من الكلام وإلا فأنت تعلم إذ كنـــت ذا علم بالكتب أن ليس في كتبنا المنزلة لهذا ذكر فتقبله عقولنا أو نـــتكلم بـــه وإنمـــا هو كتابك الذي أكثر التشنيع علينا وادعى على المســـيح ســـيدنا ومحيـــي البشر الدعاوي التي لم يقلها قط مما أكره تطويل كتابي به وتعريف القصة في تناقضه والإخبار بأسبابه وكيف كان ذلك من حيلة وهب بن منبه وعبد الله بن سلام وكعب المعروف

بالأحـــبار أولاد اليهود وكيدهم ونعتهم وكيف احتالوا في إدخال ذلك وغـــيره مـــن التشـــنيعات علينا بل وعليكم وإن فحصت عن ذلك في كـــتابك عرفـــت حقيقـــته. فأما نحن فلم نقل قط ولا نقول أبداً أن الله تـــبارك وتعـــالى اتخذ صاحبة وولد ولداً وليس قولنا أن لله ابناً وهو الكلمة الخالقة قول من قال أنه اتخذ ولداً وأنت حرسك الله تعلم ما في هذا الكلام من الشناعة والتناقض والفرية على الله وعلى كلمته وعلى روحـــه ونحن نقول أن الله الأزلي بكلمته لم يزل حليماً رؤوفاً وإنما وصـــفناه تـــبارك وتعـــالى بالرحمة والرأفة والملك والعز والسلطان والجـــبروت والتدبـــير وما أشبه هذه الصفات لما يظهر لنا من أفعاله وقـــد أخبرت عنها عقول الناس واشتقوها له اشتقاقاً لأجل فعله إياها فاستوجبها عز وجل بالكمال والحقيقة كما استوجب جميع ما سمي به مـــن أجـــل فعله له فأما صفات ذاته تبارك وتعالى فجوهر ذو كلمة وروح أزلـــي لم يزل متعالياً مرتفعاً عن جميع النعوت والأوصاف. ولنـــنظر الآن فـــي هـــذه الصفات من حي وعالم أهي أسماء مفردة مرسلة أم أسماء مضافة تدل على إضافة شيء إلى شيء ويجب علينا أن نعلـــم مـــا الأســـماء المضـــافة وما الأسماء المفردة المرسلة فأما الأســـماء المرسلة فهي كقول القائل أرض أو سماء أو نار أو ماء أو كل ما كان قيل شبيهاً مما لا يضاف إلى غيره وأما الأسماء المضافة إلى غيرها كالعالم والعلم والحكمة والحكيم وما أشبه ذلك فالعالم عالم بعلمـــه والعلـــم عِلمُ عَالم.والحكمة حكمةُ حكيم. وهذا القول نظير لما وصـــفنا ونقتصر عليه لئلا يخرج بنا اتساع الكلام إلى الكثرة. فإذ قد

بيـــنا مـــا الأسماء المفردة وما الأسماء المضافة المنسوبة إلى غيرها وجب أن نسألك عن الموصوف بهذه الصفة اللازمة هي لجوهره في أزليـــته أم اكتســبها لـــه اكتساباً واستوجب الوصف بها من بعد كما اســتوجب أن يوصـــف أن له خليقة حيث خُلق وسائر ذلك مع ما لم اذكر من أسماء يسمى بها وصفات تجلى بها لفعله إياها.فإذا قيل كما يوصـــف تعـــالى أنـــه كان ولا خلق حتى أتى على ذلك بالفعل كذلك يجــوز أن يقال أنه كان ولا حياة له ولا علم ولا حكمة حتى صارت الحـــياة والعلم والحكمة لديه موجودة وهذا محال من الكلام أن يكون الله عز وجل طرفة عين خلواً من حياة وعلم وإن قلت أن الأمر غير ما ظننت ووصفت لما يلزمك من الشنعة لأنه قد يوصف أن لله خليقة قـــبل أن يقارن شيئاً منها بالفعل قلنا إنما هما وجهان إما أن يكون الله وحـــده أزلـــياً وما سواه محدَثاً أو أن تزعم أن البرية والخلائق أزلية أيضاً غير محدَثة فلا أحسبك إلا ناقضاً على من يصف الخلق بشيء مـــن ذلـــك فإذَنْ لا محالة يقال أن الله وله الحمد قد كان من غير أن يكون شيء من الخلائق موجوداً فكيف جاز أن يوصف بأن له خليقة إذ لم يخلق بعد حتى أتى الوقت الذي فيه شاء أن يخلق ما خلق فخلق فـــإن قلت من أجل أنه قادر على أن يخلق إذا أراد وجب أن يوصف بـــأن له خلقـــاً منذ الأزل قلنا يلزم على هذا أنه قد أقام القيامة وأحيى الموتـــى وبعـــث من في القبور وقد أدخل الجنة جميع الأبرار وملأ جهـــنم بمن كان مستوجباً لذلك منذ الأزل لأنه قادر على ذلك مع أني لا أظـــن أن أحـــداً مـــن العقلاء يقول بهذه الصفة فينبغي أن نرجع

أصلحك الله إلى ما يوجبه العقل في المناظرة ونعلم أن الصفات في الله تبارك اسمه وتعالى صفتان مختلفتان صفة طبيعية ذاتية لم يزل متصفاً بها وصفة اكتسبها له اكتساباً وهي صفة فعله فأما الصفات التي اكتسبها اكتساباً من أجل فعله فمثل رحيم وغفور ورؤوف وأما الصفات المنزلة التي هي الصفات الطبيعية الذاتية التي لم يزل جل وعز متصفاً بها فهي الحياة والعلم فإن الله لم يزل حياً عالماً فالحياة والعلم إذاً أزليان لا محالة.فقد صحت نتيجة هذه المقدمات أن الله واحد ذو حكمة وروح في ثلاثة أقانيم قائمة بذاتها يعمها جوهر اللاهوت الواحد فهذه هي صفة الواحد المثلث الأقانيم الذي نعبده وهذه الصفة التي ارتضاها لنفسه ودلنا على سرها في كتب ديوانه المنزل على ألسن أنبيائه ورسله فأول ذلك ما ناجى به موسى كليمه حيث أعلمه كيف خلق آدم فقال في السفر الأول من كتاب التوراة "في البدء الآلهة[1] بَرَاَ السموات والأرض" فبهذا يشير الكتاب المقدس إلى تثليث الأقانيم ووحدة الطبيعة لأنه بقوله الآلهة بصيغة الجمع يشير إلى الأقانيم الثلاثة وبقوله بَرَاَ بضمير المفرد يشير إلى وحدة الطبيعة والجوهر الذي هو الأقانيم الإلهية الثلثة وقال أيضاً في هذا السفر أن الله قال عند خلقه آدم "تعمل الانسان على صورتنا كشبهنا"ولم يقل عز وجل اعمل على صورتي وشبهي. وقال تبارك

---

(1) لأن الأصل العبراني (الوهيم) وهي تفيد الجمع وحيث أن الجمع العبراني لا ينطبق على الجمع العربي قد ترجم في ترجمة سنة 1986 بصيغة المفرد هكذا "في البدء خلق الله السموات والأرض"

وتعالى في الاصحاح الثاني من هذا السفر عندما أراد أن يخلق حواء " لا يجب أن يكون آدم وحده فلنجعل[1] له معيناً مثله " ولم يقل اجعل وقال جل وعز أن آدم "قد صار كواحد منا " توبيخاً له بذلك من أجل خطيــته ومعصيته الوصية في أكله من ثمر الشجرة التي أمره الله ألا يــأكل مــنها فعصاه وأكل فورث بذلك موت الخطية ولم يقل تبارك وتعــالى مثلــي. وقــال عــز وجــل في موضع آخر أيضاً من هذا السفر "هلم ننزل فنبلبل هناك لسانهم" وذلك أنهم اجتمعوا ليبنوا صرحاً يكــون رأســه في السماء ففرق الله ضعف رأيهم وقلة عقولهم في ما فكروا فيه من بناء صرح شامخ يصير لهم ملجأ ومهرباً من الطوفان إذا جاءهم مرة أخرى والله تبارك وتعالى عالم أنه قد كان عاهد نوحاً أنــه لا يأتي الطوفان مرة أخرى على وجه الأرض وكان بناء هؤلاء والفكــر فيه سخفاً وسفهاً فغير ألسنتهم ليتعطلوا عن إنفاذ فكرهم الذي لا معــنى له ولم يقل انزل فأبلبل. فهذا ما ناجى الله به موسى فخبرنا بهذا السر في الأقانيم الثلاثة عن الله تبارك وتعالى أفترى لنا أصلحك الله أن نــدع كــلام الله عــز وجــل والسر الذي أودعه موسى نجيّه وتصــحيح موســى ذلــك بالعلامات العجيبة والآيات الباهرة التي لا يمكّــن أحداً من الآدميين أن يأتي بمثلها وتصريحه لنا هذا التصريح عن تعليم الله له ونقبل قول صاحبك بلا حجة ولا آية ولا أعجوبة ولا دلــيل واضــح ولا بــرهان ساطع حيث أن الله فرد صمد ثم يرجع فيــناقض قوله ويقول أن له روحاً وكلمة فهو قد وحّد وثلّث من حيث

---

(1) هكذا بالعبراني معناه وفي الترجمة الحالية فاصنع بصيغة المفرد على ما علمت.

لــم يعلــم وما أظنك ترى ذلك صواباً إذا أنت أنصفتنا.ودانيال النبي يخــبرنا في كتابه أن الله قال لبختنصر لك يقولون يا لوخذ نصر ولم يقــل لــك أقــول. وفي كتابك أيضاً شبيه بما ذكرنا من قول موسى ودانيال عن الله تعالى فعلنا وخلقنا وأمرنا وأوحينا وأهلكنا ودمرنا مع نظائر لهذه كثيرة أفيشك أحد يعقل في أن هذا القول قول شتى لا قول فرد فإن ادَّعيت أن العرب قد أجازت هذا القول واستعملته في كلامها ومخاطبــتها تــريد بـــه التفخُّم قلنا لك أيها الملفق للكلام أنه لو كانت العــرب وحدها هي التي ابتدعته كان لك في كلامك تعلق فأما إذ قد ســبق العرب العبرانيون والسريانيون واليونانيون وغيرهم من ذوي الألســنة المختلفة على غير تواطؤ فليس ما وصفت من إجازة العرب ذلك حجة مع أنه من أين أجازت العرب هذا فإن قلت بلى قد أجازته حيــث يقــول الرجل الواحد منهم أمرنا وأرسلنا وقلنا ولقينا وما أشبه ذلــك نقــول لك أن ذلك صحيح جائز في المؤلف من أشياء مختلفة والمركــب من أعضاء غير متشابهة لأن الإنسان واحد كثيرة أجزاؤه فأول أجزاء من الإنسان النفس والجسد والجسد مبني من أجزاء كثيرة وأعضـــاء شتى فلذلك جاز له أن ينطق بما وصفت من قولنا وأمرنا وأوحيــنا إذ هو عدد واحد كما ذكرت فإن قلت أن ذلك تعظيم لله جل وعــز وإجـــلال لـــه وتفخيم أن يقول أرسلنا وأمرنا وأوحينا قلنا لك لعمري لو لم يقل ذلك من ليس بمستحق للتعظيم لجاز قولك ولكن الله ســبحانه وتعــالى ليعلمـــنا أنـــه واحد ذو ثلاثة أقانيم قد نطق بكلتا الصـــيغتين مـــن أمرت وأمرنا وخلقت وخلقنا وأوحيت وأوحينا فإن

الأولى دليل على الوحدانية والثانية على تعدد الأقانيم وبيان ذلك قول موســى النبــي عن الله تعالى في التوراة التي أنزلها ما معناه أن الله تراءى لإبراهيم وهو في موضع بلوطات ممراً جالساً على باب خبائه في وقت استحرار النهار فرفع إبراهيم عينيه فرأى ثلاثة رجال وقوفاً بإزائه فبادر إليهم واستقبلهم قائلاً "يا سيد إن كنت قد وجدت نعمةً في عينيك فلا تتجاوز عبدك" ألا ترى أن المنظور إليه من إبراهيم ثلاثة وأن المخاطبة مخاطبة شخص واحد فسماهم رباً واحداً وتضرع إليه ســائلاً طالباً أن ينزل عنده. فعده الثلاثة سر الأقانيم الثلاثة وتسميته إيــاهم ربــاً واحداً لا أرباباً سر لجوهر واحد فهي ثلاثة بحق وواحد بحق كما وصفنا. ثم إن موسى أخبر أن الله قال له "اسمع يا إسرائيل الــرب إلهنا رب واحد" معنى ذلك أن الله الموصوف بثلاثة أقانيم هو رب واحــد. وداود النبي يقول في المزمور الثالث والثلاثين عن الله تعــالى " بكلمــة الــرب صنعت السموات وبنسمة منه كل جنودها " فأفصح داود وصرح بالثلاثة الأقانيم حيث قال الله وكلمته بنسمة فهل زدنــا فــي وصفنا على ما قال داود. ثم إنه قال في موضع آخر في كــتابه تحقــيقاً بأن كلمة الله إله حقٌ "لكلمة الله أسبح" فإن كان داود عندك يسبح لغير الله ما أظنك تقول هذا. ثم إنه يقول في موضع آخر مــن كتابه "مبارك الرب يوماً فيوماً يحملنا إله خلاصنا". أفداود كان يطلب أن يبارك عليه إله واحد أم آلهة ثلاثة ولكنه رمز في كتابه إلى ذكر الثلاثة الأقانيم أنها إله واحد. وقال أشعياء النبي المحمود من الله تعــالى في الاصحاح الثامن والأربعين "لم أتكلم من البدء في الخفاء

مـــنذ زمان وجوده أنا هناك والآن السيد الرب الإله أرسلني وروحه " وهـــذا هو قولنا ثلاثة أقاليم إله واحد ورب واحد لم نخرج عن حدود كتـــب الله المـــنزلة ولم نزد فيها ولم ننقص منها شيئاً ولا بدلناها ولا حرفـــناها كادعائك علينا بالتحريف والتبديل ولسنا ندع مناظرتك في التـــبديل والـــتحريف بما يعلم به العاقل إذا نظر في كتابنا هذا إنك قد ظلمتنا فيه بل ظلمت الحق وادعيت علينا فعلاً ولم نكن نفعله ولا ندع تقرير ذلك عندك فيما بعد إن شاء الله تعالى.

ولـــنرجع الآن إلى كلامنا ولا نخرج منه حتى نستوفيه ونوفيك الشـــهادات مـــن كتـــب الله المنزلة ومن ديوان أسراره المقدسة على صـــحة قولـــنا وحقنا الذي بأيدينا وصدق منهاجنا ونستعين بالله على ذلـــك. ثـــم وصف أشعيا النبي أن الله عز وجل تراءى له والملائكة حافون به مقدسون له قائلين " قدوس قدوس قدوس رب الجنود مجده مـــلء الأرض " (أشعياء ص6ع – 3) فتقديس الملائكة ثلاث مرات واقتصـــارهم علـــى ذلـــك بلا زيادة ولا نقصان سر لتقديسهم الأقاليم الـــثلاثة إلهاً واحداً ورباً واحداً وهذا شأنهم منذ خلقوا إلى أبد الأبدين بـــلا انقطـــاع لذلـــك ولا غاية ولا منتهى ولو شئت أن أسطر عليك الشـــهادات من الكتب المقدسة المنزلة بالتصريح والاجتهاد في القول فـــي أن الله جـــل وتعالى واحد ذو ثلاثة أقانيم لفعلت ذلك لكنني أكره الـــتطويل فاقتصـــرت علـــى ما كتبت ولما ذكرته في كتابك من أنك درست كتب الله المنزلة حق دراستها فإن كنت قد درستها كما ذكرت فقد استدللت بيسير ما كتبت به إليك على كثير ما في كتب الله المنزلة

مـــن أســـرار أقانيمه وتوحيده. فأنا أبقاك الله أدعوك بعد هذا الشرح والبيان الذي أوضحته لك وكشفته بين يديك وصح عندك وفي ذكرك ورضـــي به عقلك إلى عبادة هذا الواحد الذي قد شرحت لك كيف هو واحـــد ثلاثـــة وثلاثـــة واحد وليس كدعائك إياي إلى أمر مدغم مبهم مجهـــول غير معقول. فاستعمل أنار الله عقلك وقلبك ما ضمنته عن نفســـك فـــإن الوفاء من الله بمكان أو ينبغي لك أصلحك الله أن تميز الكلام وتعلم كيف مخارجه ولا تعسف معانيه. وليس دعائي إياك إلا إلـــى الله الواحد الذي هو ثلاثة أقانيم كامل بكلمته وروحه واحد ثلاثة وثلاثة واحد. ومن هذه الجهة ليس هو ثالث ثلاثة كما شنع في القول علينا صاحبك إذ قال " لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إلـــه إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون لَيمسَّنَّ الذين كفروا منهم عذاب أليم أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم" (مائدة) فهـذا قول صاحبك. ولقد كنت أحب أكرمك الله أن أعرف من هؤلاء الذين يقولون أن الله ثالث ثلاثة أمِن فرق النصرانية هم أم لا وأنت قد ادعيت معرفة الفرق الثلاث وهي لعمري الفرق الظاهرة فهل تعلم أن أحـــداً منهم يقول أن الله ثالث ثلاثة فما أظنك تعرفه ولا نحن نعرفه أيضـــاً اللهـــم إلا أن يكون أراد صفاً يسمون المركيونية فإنهم يقولون بـــثلاثة أكـــوان يسمونها آلهة متفرقة فواحد عادل وآخر رحيم وآخر شـــرير ولـــيس أولـــئك نصـــارى ولا يســـمون بهذا الاسم فأما أهل النصرانية فكل من ينتحل هذا الاسم فهو بريء من هذه المقالة جاحد لهـــا، كافـــر بها، وإنما قولهم أن الله واحد ذو كلمة وروح من غير

افتراق وقد أقر صاحبك بهذا إذ حثكم على الإيمان بالمسيح سيد العالم ومخلـــص البشر وأمركم بذلك ودعاكم إليه بقوله " يا أهل الكتاب لا تغلـــوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم إنما الله إله واحد " (نساء).

فافهم كيف أوجب أن الله تبارك وتعالى ذو كلمة وروح وصرّح بـــأن المســيح كلمة الله تجسدت وصارت إنساناً فهل يكون من البيان والشـــرح أو من الإيضاح والتصريح أكثر من هذا.ثم ختم بقوله ولا تقولـــوا ثلاثة آلهة أو يتوهم ذلك عن الله جل وعز بل انتهوا عنه فإنه لعمـــري خير لكم ألاَّ تقولوا بمقالة مركيون الكلب الجاهل إنهم ثلاثة آلهـــة. فقـــد شرحت لك أكرمك الله كيف مذهبنا ومعنى قولنا أن الله واحـــد ذو كلمـــة وروح واحـــد ذو ثلاثة أقانيم وقد أوضحته إيضاحاً يكـــون فـــيه لك ولكل من نظر في جوابنا كفاية ونفع إذا لطف النظر ودقق الفكر ونصح لنفسه إن شاء الله تعالى.

فلـــنرجع الآن إلى الباب الآخر من كتابك ونجيبك عنه فأقول قد فهمت ما دعوتني إليه من الشهادة لصاحبك والإقرار بنبوته ورسالته ومـــا عظمت من أمره فأما تعظيمك إياه وتفخيمك أمره فلسنا نجادلك فـــيه ولا نرده عليك وليس عندنا فيه إلا تسليمه لك والسكوت عنك إذ كنـــت أولـــى الـــناس بقرابـــتك وقرابتك أولى الناس بك وإنما نحن مـــناظروك فيما دعوتنا إليه من الإقرار بنبوته بأن ذلك حق واجب. فـــإن كان ذلك حقاً واجباً فليس ينبغي لنا ولا لأحد ذي عقل أن يمتنع

أو يمـــتعض من قبوله فإنه لا يمتنع من الإقرار بالحق إلا ظالم معتد أو جاهل بمعرفة قدر الحق وإن كان ذلك غير الحق فلا ينبغي لك أن تقيم على غير الحق فكيف تدعونا إليه فإنك إذا فعلت هذا كنت ظالماً لنفسك أولاً ثم متعدياً على من تدعوه إلى غير الحق فلنطرح الآن من بينـــنا العصبية ولنفحص عن أول قصة صاحبك هذا الذي تدعونا إلى الإقــرار له بالنبوة ونشرحها من أولها إلى أخرها ونختبرها اختباراً شـــافياً أو نتـــناظر فيها مناظرة إنصاف كي لا نميل إلى الهوى الذي يرى بعين الغرض والجور. فإن هذا أمر جليل الخطب، عظيم القدر، شـــريف المنزلة وعلى حسب ذلك يجب أن يكون النظر فيه والبحث عنه بتأنٍ وترو.

ألســـت تعلم أكرمك الله ونحن معك أن هذا الرجل كان يتيماً في حجـــر عمـــه عبد مناف المعروف بأبي طالب قد كفله عند موت أبيه وكـــان يعولـــه ويمـــنع عـــنه وكان يعبد الأصنام اللات والعزى مع عمومـــته وأهـــل بيته بمكة على ما حكى هو في كتابه وأقر به على نفســـه حيـــث قال "ألم يجدك يتيماً فآوى ووجدك ضالاً فهدى ووجدك عـــائلاً فأغنى" (ضحى) أفلا ترى أنه أوجب بهذا القول الإقرار بأنه كـــان يتـــيماً فآواه وضالاً فهداه وعائلاً فأغناه. ثم نشأ في ذلك الأمر حـــتى صـــار فـــي خدمة عِير لخديجة بنت خويلد يعمل فيها بأجرة ويـــتردد بهـــا إلى الشام وغيرها إلى أن كان ما كان من أمره وأمر خديجـــة وتـــزوجه إياها للسبب الذي تعرفه. فلما قَوَتهُ بمالها نازعته نفســـه إلـــى أن يدعي الملك والترؤس على عشيرته وأهل بلده فرأى

ذلـــك غـــير منتظم له ولم يتبعه عليه إلا قليل من الناس بعد الموارية المجحفة وأنت أكرمك الله عالم بمرارة أنفس قريش وشدة إبائها لمثل هـــذا وشـــبهه من الضيم فعندما أيس مما سولت له نفسه ادعى النبوة وأنـــه رسول مبعوث من رب العالمين فدخل عليهم من باب لطيف لا يعرفون عاقبته ولا يفهمون كيف امتحان مثله ولا ما يعود عليهم من ضرر منه وإنما هم قوم عرب أصحاب بدو لم يفهموا شروط الرسالة ولـــم يعرفوا علامات النبوة لأنه لم يبعث فيهم نبي قط وكان ذلك من تعلـــيم الـــرجل الملقـــن لـــه الذي سنذكر اسمه وقصته في غير هذا الموضـــع مـــن كتابنا وكيف كان سببه ثم أنه استصحب قوماً فراغاً أصـــحاب غـــارات ممـــن يصيب الطريق على سنة البلد وعادة أهله الجاريـــة عـــندهم إلى هذه الغاية فانضم إليه هذا الضرب وأقبل يبثث الطلائـــع ويدسس العيون ويبعث إلى المواضع التي ترِد القوافل إليها من الشام بالتِجارات فيصيبونها قبل وصولها فيغيرون عليها فيأخذون العـــير والـــتجارات ويقتلون الرجال. والدليل على ذلك أنه خرج في بعـــض أيامـــه فرأى جمالاً مقبلة من المدينة إلى مكة وكانت الجمال لأبـــي جهل بن هشام ويسمى ذلك غزواً على سبيل ما تسميه أعراب الـــبادية إذا أخرجـــت للغارة على السابلة وإصابة الطريق وكان أول خـــروجه مـــن مكـــة إلـــى المدينة بهذا السبب وهو حينئذ ابن ثلاث وخمســـين بعـــد أن ادعى ما ادعاه من النبوة بمكة ثلاث عشرة سنة ومعـــه من أصحابه الذين قد ألفوا معه ولصقوا به أربعون رجلاً وقد لقي كل جهد وكل أذى من أهل مكة لأنهم كانوا به عارفين فأظهروا

لــه طــرده لادعائه النبوة وعقد باطنهم لما صح عندهم من إصابته الطريق. فصار مع أصحابه إلى المدينة وهي يومئذ خراب يباب ليس فيها إلا قوم ضعفاء أكثرهم يهود لا حراك بهم فكان أول ما افتتح به أمـــره فـــيها من العدل وإظهار صفة النبوة وعلامتها أنه أخذ المربد الـــذي للغلاميـــن اليتيمين من بني النجار وجعله مسجداً. ثم أنه بعث أول بعـــثة حمزة بن عبد المطلب في ثلاثين راكباً إلى العيص من بلد جهينة يعترض عير قريش وقد جاء من الشام فلقي أبا جهل بن هشام فـــي ثلـــثمائة رجل من أهل مكة فافترقوا لأن حمزة كان في ثلاثين فخـــاف لقـــاء أبـــي جهل وفزع منه فلم يكن بينهم قتال. فأين شروط النـــبوة أصـــلحك الله في هذا الموضع من قول الله تبارك وتعالى في الـــتوراة المنزلة من عنده لموسى حيث وعده أن يدخل بني إسرائيل الذيـــن أخرجهم من مصر إلى أرض الجبابرة المسماة أرض الميعاد وهـــي أرض فلســـطين والشام أن الواحد يهزم ألفاً والاثنين يهزمان جيشـــاً لما ألقيت في قلوبهم من الفزع والرعب وكذلك كان فعل جل وعز بهم على يدي يشوع بن نون المتولي إدخال بني إسرائيل أرض المـــيعاد ومحاربة أهل فلسطين. فهذا أكرمك الله حد ما يطالب به في هـــذا الموضع من علامات النبوة والرسالة لصاحبك. فلنرجع الآن إذ لـــيس عندك في هذا جواب وكنت من ذلك صفراً مفلجاً أنت وجميع مـــن يعـــتقد مـــثلك مقالتك فنقول إما أن يكون حمزة هذا رسول نبي مبعوث وهو عمه وعن أمره خرج ومعه ثلاثون راكباً وهو على حق عـــند نفســـه فانحاز فرَقاً من أبي جهل وهو كافر مشرك وإنما معه

ثلثمائة رجل كفار مشركين عباد أوثان ولم يحاربه بل سالمه أو يكون هــذا خلاف ما تدعيه أنت أنه نبي مرسل وأن الملائكة تؤيده وتقاتل دونــه كمــا كانت تقاتل مع يشوع بن نون فإنه رأى ملكاً[1] في زي فارس فلم يعرفه يشوع فقال له أمن أصحابنا أنت أم من أعدائنا فقال لــه الملك أنا عظيم جيوش الرب والساعة أقبلت، فخرَّ يشوع بوجهه علــى الأرض ساجداً وقال" ما يأمر السيد عبده " فقال رئيس جيوش الرب "انزع خفيك من قدميك لأن المكان الذي أنت فيه مكان مقدس " ففعــل يشــوع ذلــك. وفي هذا القول من الملك ليشوع سر ليس هذا موضـــعه وكان يشوع في ذلك الوقت محاصراً أريحا فلما أتى على ذلك سبعة أيام فتح يشوع أريحا على غير عقد ولا عهد فقتل كل من كان فيها من ذكر وأنثى كما أمره ملك الرب فما أظنك أيدك الله أنك تجــد في ذلك جواباً لأنك خلو من ذلك. ولنذكر أيضاً غزوة صاحبك الثانــية لعله يكون لك فيها أدنى جواب. ثم بعث في الثانية كما علمت عبــيدة بــن الحارث بن المطلب في ستين راكباً ليكون ضعف العدة الأولــى فــيقوي قلوبهم إلى بطن رابغ بين الأبواء والجحفة فلقي أبا سفيان بن حرب وأبو سفيان في مايتي راكب فكان بينهم من الدماء ما قــد علمت ثم رجعوا فما رأيت أحداً من الملائكة أعانهم على أمرهم بشيء وقد شهدت أنت أن جبرائيل كان في صورة رجل راكب رمكة شهباء عليه ثياب خضر وقد ركب فرعون بجنوده على أربعمائة ألف حصــان فــي طلب بني إسرائيل فلما توسط بنو إسرائيل البحر قحم

---

(1) قابل يشوع 5:13 – 15

جبرائيل على الرمكة في أثرهم قائلاً قدم خير فتبعته الخيل التي كان عليها فرعون وأصحابه فنجا بنو إسرائيل وغرق فرعون وأصحابه. هذه شهادتك وإقرارك ببعض علامات موسى النبي التي أتى بها بني إســرائيل وأنت صاحبك خلو من هذا كله. ولا بد لنا أن نأتيك بالثالثة فاصبر لها طائعاً أو مكرهاً. ثم بعث سعد بن أبي وقاص إلى الخرار خـــارج الجحفة في عشرين رجلاً فورد الموضع وقد سبقته العير قبل ذلـــك بيوم ففاته أمله ورجع خائباً من رجائه. فهذه أكرمك الله خلاف آيـــات النبوة وعكس ما فعله نبي الله صموئيل بشاول ولست شاكاً في معرفتك بالقصة على ما حكيت أنك عارف بالكتب المنزلة دارس لها حـــق دراستها وذلك أن قيساً أبا شاول غارت له أتن فوجه ابنه شاول في طلبها وصار شاول إلى صموئيل النبي فقال له في بعض قوله ما معناه وهو يخاطبه قبل أن يعلمه خبر ما جاء لأجله أما الأتن فرجعت إلـــى بيت أبيك وأما أبوك فقد شغله الاهتمام بغيبتك عن الاتن. فهكذا تكـــون شروط النبوة أصلحك الله التي هي علم الغيب الماضي وعلم الغيـــب المســـتقبل فتخبر الأنبياء عنه وتذكر كونه قبل وقوعه وتعلم حدوثه قبل مجيئه بما يظهر لهم الروح القدس معطي علم الغيب الذي هـــو نهايـــة الدلالات على النبوات. وقد قال المسيح الرب في إنجيله النير الطاهر المقدس ما معناه أن الشهادة العادلة الصادقة هي الكائنة من قبل رجلين عدلين صادقين أو ثلاثة عدول فتلك واجب قبولها وقد أنبأناك في فصل كتابنا هذا بثلاث شهادات عدل لك فيهن مقنع.فلننظر الآن بعـــد الغـــزوات الثلاث التي خرج فيها هؤلاء النفر ومن خرج

معهـم بأمر صاحبك فانصرفوا فزعاً. وخرج بنفسه مع أصحابه يريد عـيراً لقريش فانتهى إلى ودان فوافاه مجشي بن عمرو الضمري فلم يطقـه ورجـع صفراً. ثم خرج ثانياً إلى بواط وهي طريق الشام في طلب عير لقريش فيها أمية بن خلف الجمجي ورجع ولم يصنع شيئاً. ثم خرج ثالثاً إلى أن وصل إلى ينبع في طلب عير لقريش أيضاً يريد الشـام وهـي العـير التي كان القتال ببدر بسببها في رجعتها فرجع صـفراً ولم يصنع شيئاً. فأنصف أصلحك الله في هذه المواضع وأنت أهل لذلك إن كان صاحبك نبياً كما تدعي. فما للأنبياء وشن الغارات والخـروج لإصـابة الطرق والتعرض لأخذ أمتعة الناس. وما الذي تـرك صـاحبك هذا للّصوص وقطاع الطريق. وما الفرق بينه وبين أتـابك الحـزّمى هـذا الذي قد تناهى إلى سيدنا أمير المؤمنين وإلينا خـبره بما عمل وارتكب من ظلم الناس. فأحببنا أن يكون عندك في هـذا جواب واضح. وإني لأعلم أنه لا جواب عندك ولا عند غيرك ممن اعتقد مثل اعتقادك كما لم يكن عندك في غيره مما سلف. ثم لم يزل كذلك إلى أن وجد القوم الذين خرج في طلبهم في ضعف فاستاق عـيرهم وأخـذ تجارتهم وقتل من أمكنه قتله من رجالهم وإن وافاهم وهـم فـي منعة وقوة انحاز عنهم وولى هارباً إلى أن مات. فكانت مغازيه بنفسه ستاً وعشرين غزوة سوى السرايا التي كانت تخرج في اللـيل والسواري الخارجة نهاراً والبعوث قاتل منها في تسع غزوات والباقية كان يبعث فيها أصحابه. ثم أعجب من هذا في قبح الأحدوثة والشـناعة فـي الفعل والفظاظة توجيهه إلى واحد واحداً يقتله بالغيلة

كتوجـــيهه عبد الله بن رواحة لقتل أسير بن دارم اليهودي بخيبر فقتله غيلة وكبعثه سالم بن عمير العمري وحده إلى أبي عفك اليهودي وهو شـــيخ كبـــير ما به حراك فقتله بالغيلة ليلاً وهو نائم على فراشه آمناً مطمئناً واحتج بأنه يعيبه فأعلمنا أكرمك الله في أي كتاب قرأت هذا، وأي وحـــي نزل عليه به ومن أي حكم حكم على من أعاب أن يقتل فقد كان في تأديب هذا الشيخ على ذنبه شيء دون القتل وخاصة ليلاً وهـــو نـــائم مطمئن آمن على فراشه فإن كان أعابه بما كان فيه فقد صـــدق وليس يجب على من صدق قتل وأن كان كذب عليه في قوله فلـــيس يجـــب علـــى من كذب القتل بل يؤدب لئلا يعود. وأنت تعلم أصـــلحك الله أنه ما ساغ لأحد أن يؤذي الطير في وكرها ليلاً وهي آمـــنة مطمئنة فكيف إنسان يبعث إليه من يقتله وهو على فراشه لأنه كـــان يعيبه ألم يكن دون القتل شيء آخر. أما في أحكام الله فلا نجد هـــذا مطلقـــاً لأحد ولا في أحكام العقل والطبيعة بل هذا لعمري فعل الشـــيطان قديماً بآدم وذريته منذ نزل به ما نزل فأين قولك أصلحك الله أنـــه بعث بالرحمة والرأفة إلى الناس كافة. وأما بعثه لعبد الله بن جحـــش الأسدي إلى نخلة وهو بستان ابن عامر في اثني عشر رجلاً مـــن أصحابه ليأتيه بأخبار قريش فلقوا بها عمرو بن الخضرمي في عير قريش وتجارة قد أقبل بها من اليمن فقتلوا عمرواً واستاقوا العير إلـــى المدينة ولما وردوا أخرج عبد الله بن جحش مما أغار عليه هو وأصحابه الخمس فدفعه إليه فهذا لا أقول أنه حلال أو حرام حتى إذا مـــا نظر فيه العادل يقول ما يوجبه العدل والإنصاف وكذلك ما فعل

في قينقاع حيث صار إليهم بغير ذنب ولا علة إلا الرغبة في أموالهم فحاصرهم حتى نزلوا على حكمه واستوهبهم منه عبد الله بن أبي بن سلول فوهبهم له وأخرجهم إلى أذرعات بعد أن أخذ أموالهم فقسمها بين أصحابه وأخذ هو الخمس قائلاً هذا ما أفاء الله على نبيه فليت شعري كيف طاب له هذا وبماذا استحل أن يأخذ أموال قوم لم يؤذوه ولم يكن بينه وبينهم غل وإنما استضعفهم وكانوا كثيري الأموال فما هكذا تفعل الأنبياء ولا من يؤمن بالله واليوم الآخر. وغير هؤلاء ممن لا أحب تطويل كتابي بذكرهم فيمل القارئ ويسأمه وفي ما وصفنا كفاية ليستدل به على غيره من مناقبه فأما غزوة أحد وما أصيب فيها من كسر رباعيته السفلى اليمنى وشق شفته وثلم وجنته وجبهته الذي ناله من عتبة بن أبي وقاص وما علاه به ابن قميئة الليثي بالسيف على شقه الأيمن حتى وقاه طلحة بن عبيد الله التيمي بيده فقطعت إصبعه فهذا خلاف الفعل الذي فعله الرب مخلص العالم وقد سل رجل بحضرته على رجل سيفاً فضربه على أذنه فاقتلعها فلما نظر المسيح مخلصنا إلى ذلك من فضله عمد إلى الأذن فردها إلى موضعها فعادت صحيحة كالأخرى وإلا حيث أصاب يد طلحة ما أصابها وقد وقاه بنفسه فلو دعا ربه فرد يده على ما كانت عليه من صحتها لكانت هذه من إحدى علامات النبوة. وأين كانت الملائكة عن معونته ووقايته من كسر ثنيته وشق شفته ودمي وجهه وهو نبي من الأنبياء وصفي من الأصفياء ورسول الله كما كانت الأنبياء توقى من قبله كتوقية إيليا النبي من أصحاب أخاب الملك ودانيال من أسد

داريـــوس وحنانيا وأخوته الفتية البررة من نار بختنصر وغيرهم من الأنبـــياء وأولـــياء الله ســـيما ولـــم يخلق الله جل اسمه آدم إلا لأجله ومكتوب على سرادق العرش كما تدعون.

ولكنـــنا ندع ذكر هذا الآن ونأخذ في قول ثان فنقول أن صاحبك هـــذا أفعاله خلاف قولك أنه بعث بالرحمة والرأفة إلى الناس كافة لأنه كـــان الرجل الذي لم يكن له فكر واهتمام إلا في امرأة حسنة يتزوجها وقـــوم يغير عليهم فيسفك دماءهم ويأخذ أموالهم وينكح نساءهم ويشهد علـــى نفســـه أنه حبب إليه الطيب والنساء وأنه من علامات نبوته أنه جعـــل في ظهره من القوة على النكاح مقدار قوة أربعين رجلاً فلعمري أن هـــذا بعض آيات الأنبياء التي لا تكون إلا في مثله فأما تلك الهنات التي كانت بينه وبين زينب بنت جحش امرأة زيد فأني أكره ذكر شيء مـــنها إجلالاً لقدر كتابي هذا عن ذكرها غير أني آتي بشيء مما حكاه فـــي كـــتابه الذي يزعم أنه أنزل عليه من السماء وأقر بلسانه إذ يقول: "وإذ تقـــول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفـــي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلمـــا قضى زيد منها وطراً زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج ادعيائهم إذا قضوا منهن وطراً وكان أمر الله مفعولاً ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله في الذين خلوا من قبل وكـــان أمر الله قدراً مقدوراً" (أحزاب) ويكتفي كل ذي عقل من القصة بـــنموذجها إذ لا يخـــيل[1] ذلك على المميزين. وكذلك هناته مع عائشة

---

(1) يشتبه.

ومـــا كان من أمرها مع صفوان بن المعطل السلمي في رجوعهم من غــزوة المصـــطلق بتخلفها عن العسكر معه وقدومه بها من الغد نحو الظهــيرة راكــبة على راحلته يقودها وما قذفها به عبد الله بن أبيّ بن ســلول وحسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة ابن خالة أبي بكر وزيد بن رفاعــة وحمنة بنت جحش أخت زينب وتبليغ علي بن أبي طالب إليه كــلام المتكلميــن وعيــب العائبين وأن فيه مساغاً للقول والظنة وختم كلامه بعد التقريض والتعريض وهو كناية عن التصريح بالشيء قائلاً يــا رســول الله لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثيرة فلم يلتفت إلى ذلــك كلــه لشــدة إعجابه بها لأنه لم يكن في من نكح من نسائه بكر غــيرها ولا أحــدث سناً منها فكان لها من قلبه مكان وكانت خلابة[1] فرضـــي بما كان من ذلك الأمر كله وهذا كان سبب انعقاد تلك العداوة بيــن عائشـــة وبين علي إلى آخر حياتهما ثم ادعى نزول براءتها في الســورة المعــروفة بســورة النور من قوله " إن الذين جاءوا بالافك عصــبة مــنكم الخ" فهذه القصة نعرفها كمعرفتك والخبر بها مستفاض وعــندنا مشروح مفسر لا يجب كشفه وكانت نساؤه فيما يظهر كما قد علمــت خمس عشرة حرة وأمتين أولاهن خديجة بنت خويلد ثم عائشة بنت أبي بكر وهو عبد الله المعروف بعتيق بن أبي قحافة. وسودة بني زمعة، وحفصة بنت عمر وهي التي كان بينها وبين عائشة تلك الهنات العجيــبة. وأم ســلمة واســمها هــند بنت أبي أمية وهي المخدوعة أم الأطفــال التي زعم أنه يذهب عنها الغيرة عندما امتنعت عليه واحتجت

---

(1) خداعه بلسانها

بأنها امرأة غيرى وأنه يعول صبيتها لما اعتذرت أنها ذات صبية وأنها تخاف إلا يرضاه أهلها فضمن لها أن يكفيها ذلك حتى أجابت إليه ثم لم يــف لها من ذلك الضمان بحرف واحد وهي التي نحلها جرتين ورحى ووسادة من أدم حشوها ليف فحصلت منه على الدنيا والآخرة. وزينب بنــت جحــش امرأة زيد التي بعث إليها نصيبها من اللحم ثلاث مرات فــردته فــي وجهــه فهجرها وهجر نساءه بسببها وحلف أنه لا يدخل عليهــن شــهراً فلم يصبر فدخل لتسعة وعشرين. وزينب بنت خزيمة الهلالية وأم حبيبة واسمها رملة بنت أبي سفيان أخت معاوية. وميمونة بنــت الحــارث الهلالــية. وجويرة بنت الحارث المصطلقية. وصفية الــيهودية بنــت حيي بن اخطب التي علمها أن تفخر على نسائه عند تعييرهــن إياهــا وتقــول أنــا التي هارون أبي وموسى عمي ومحمد زوجــي. والكلابــية وهــي فاطمة بنت الضحاك وقيل أنها بنت يزيد عمــرة الكلابية وحنة بنت ذي اللحية. وبنت النعمان الكندية التي أنفت منه حين قال لها هبي لي نفسك فقالت وهل تهب المليكة نفسها للسوقة. وملــيكة بنــت كعب الليثية ذات الأقاصيص. ومارية أم إبراهيم ابنه. وريحانة بنت شمعون القريظية اليهودية. فهؤلاء نساؤه اللواتي كن له وأمــتان ــ قــال بولس رسول الحق رسول المسيح مخلص العالم ما معــناه أن الــذي لــه زوجة إنما غايته أن يصرف عنايته إلى رضى زوجــته والذي لا امرأة له فعنايته مصروفة إلى رضى ربه وقد صدق وقولــه الحــق لأنه لا يحتاج أن يتشاغل بما يرضي امرأته وكما قال الــرب المســيح ما ترجمته لا يقدر العبد أن يخدم ربين في وقت واحد

ولا بــد له من أن يلازم الواحد ويحتقر الآخر فإذا كان لا يمكن للرجل أن يخــدم امرأة واحدة ويرضيها ولا يسخط خالقه فكم حري من يريد أن يصـــرف عنايته كلها إلى رضى خمس عشرة امرأة وأمتين مع ما أنت عارف من شغله بغيرهن الذي كان منغمساً فيه من تدبير الحروب والـتقدير علــى قـتل الـرجال وسبي الحريم وسلب الأموال وتوجيه الطلائــع وتعبئة الكراديس لإصابة الطرقات وشن الغارات فمتى كان يقــع له مــع الشغل الدائم المتصل بهذه الأمور الفراغ للصوم والصلاة والعــبادة وجمــع الفكر وصرفه إلى أمور الآخرة وما شاكل ذلك من أعمــال الأنبــياء ولست أشك في أنه لا نبي قبله ابتدع مثل هذا ولكن فلــندع الآن ذكــر هــذا ونــأخذ في ذكر أعلام النبوة التي يجب معها الإقــرار لمــن أتــى بها بأن يسمى نبياً ورسولاً وننظر في ما أتى به صــاحبك وهل يوافق أو يشبه شيئاً مما جاءت به الأنبياء ويشاكله وهل يجب علينا قبول ذلك منه أو رده عليه .فنقول أن النبي معناه المنبئ أي المخــبر بالأمر الذي لم يكن أتى به مخبر قبله فيخبر به قبل وقوعه أو بالأمر الذي كان ولم يعرف كيف حدوثه وإنما يوثق بأخباره عن صحة مــا يخــبر بــه بالآيات التي تصدق حكايته وتشهد على صحة أُخباره وذلــك مــثل موسى نبي الله الذي أخبرنا في السفر الأول من التوراة المدعــو ســفر الخلــيقة كيف كان خلق السموات والأرض وما فيهما وكيف كان خلق آدم وحواء وما كان من قصتهما وقصة قابيل وهابيل وقــوم نوح والطوفان وقصة إبراهيم وولده ولم يزل ينسق تلك الأخبار خــبراً بعــد خــبر حتى انتهى إلى خبره وكيف كان تجلى الله له في

العوسـجة ثم خبره مع بني إسرائيل وفرعون ومصر إلى أن توفاه الله ويخلط مع إنبائه ما وعد الله من إدخال بني إسرائيل أرض الميعاد وأنه مـزمع أن يورثهم أرض الجبابرة التي هي بلاد الشام وكان ذلك على مـا أنبأ به وحقق ما أخبرنا به من الخبر الماضي بالآيات والأعاجيب التـي فعلها فعلمنا أنه كان صادقاً بكل حكاياته وما جاء به عن الله عز وجـل. فهـذه شـريطة المنبئ بما كان وما يكون من الأمور وعرفنا صـدق مـا قالـه من الخبر المستقبل بصحة ما رأينا من وقوع الأمر وتمامه عند دخول بني إسرائيل أرض الجبابرة بالأيدي القوية فحصلت لـه بذلك شريطة المنبئ المخبر الذي لم يكن قبل حدوثه فقد وجب من هاتيـن الشريطتين أن موسى نبي بالحقيقة. فأما المنبئ بالخبر الذي لم يكـن قـبل وقوعـه فـيكون ذلك على وجهين. إما مع قرب الزمان وحضـور الوقت وإما على بعد الزمان وطول الأيام والدليل على ذلك تصحيحه الآيات والمعجزات والعجائب والجرائح التي هي أعلام النبوة إلى أن يصح القول والإنباء مثل الذي تنبأ به أشعياء النبي لحزقيا الملك حيـث ورد علـيه سنحاريب ملك الموصل بجيشه فحاصره وكاتبه بما كاتـبه به من البغي عليه والوعيد والاستطالة فشكا حزقيا ما دهمه به إلـى الـرب فـأوحى الله إلى أشعياء النبي أني قد سمعت دعاء حزقيا فـامض إلـيه وقـل له يقول لك الرب إله إسرائيل الليلة تكفي مؤونة سنحاريب فلما كان تلك الليلة بعث الله ملكه فقتل من عسكر سنحاريب مـئة ألـف وخمسـة وثمانين ألف رجل مدجج، فلما أصبح سنحاريب ورأى مـا نـزل بأصحابه ولي هارباً. ومثل قول أشعياء أيضاً لحزقيا

حين كان مريضاً وقد أشفى، إن الله قد أقالك من هذه المرضة وقد زاد فـــي أجلــك خمس عشرة سنة ودليلك على ذلك أن الشمس راجعة في مســيرها عشر درجات وكان ذلك كما قال النبي ورجعت الشمس وبرأ حزقيا من مرضه ذلك وما توفي إلا لتتمة خمس عشرة سنة فهذا أنباء مع آية ودليل في وقت واحد[1]. ومثله ما أنبأ به عن أمر الرب المسيح السيد جل وعز أنه يولد من العذراء ويدعى اسمه عمانوئيل تفسير ذلك الهــنا معنا[2] وأنبأ أيضاً بأشياء كثيرة وأخبر بها على بُعد العهد وطول الأيــام من خراب بيت المقدس وسبي بني إسرائيل إلى بابل وكان ذلك علــى بُعد العهد وتأخره وصح كله وتم كما قال. ومثل ذلك ما أخبر به أرميا النبي عن خراب بيت المقدس أيضاً ودخول بختنصر إليه وهدمه إيــاه وســبيه بني إسرائيل ونقله إياهم إلى بابل وأنهم ماكثون ببابل في ذلــك الســبي وفـــي تلك العبودية سبعين سنة ثم يرجعون فيبنون بيت المقــدس ويقــيمون في مساكنهم فكان بعض ذلك وهو حاضر ثم تمت نـــبوته وظهـــر صدق قوله وصحة ما حكاه عن الله عز وجل في ذلك الوقـــت عـــند تمام السبعين سنة التي حددها لمقامهم ببابل[3] ومثلما تنبأ دانـــيال النبي عن رجوع بني إسرائيل إلى بيت المقدس وكان ذلك على مـــا حكاه وتنبأ لبيلشاصر الملك عن الرؤيا التي رآها بيلشاصر فخبره بالوحـــي عما كان مزمعاً أن يحل به فحل به ودانيال حاضر[4] ومثلما

---

(1) قابل أشعياء (ص7) وأخبار الأيام الثاني

(2) قابل أشعياء (ص7)

(3) قابل ارميا (ص35)

(4) قابل خمسة إصحاحات من دانيال

تنـبأ أيضـاً عـن قتل المسيح وأنه لا تقوم لليهود بعد قتله قائمة وأنهم يمـزقون في البلاد كل ممزق ويبطل ملكهم وتضمحل رئاستهم وكان ذلـك كمـا قـال[1] وكذلك فعل جميع الأنبياء ومن استحق اسم النبوة بالحقـيقة. وكذلـك كانت الملوك والأمم يفعلون بمن ادعى عندهم شيئاً مـن النـبوة لا يقبل منه ذلك إلا بعد المحنة الشديدة والمناظرة الطويلة والمطالـبة بالدلـيل والبراهين فمن جاء بدليل صحيح وبرهان واضح وحجة مقنعة قبلوا ذلك منه ومن لم يأت بشيء من هذا كذبوه ونكلوا به وإلاَّ كـان كل من أتى بهذيان أو بكلام منثور أو كهانة أو زجر أو قال كان داخلاً في جملة من تنبأ. وكانت الملوك تفعل ذلك بتوفيق الله. فإما المسيح الرب مخلص العالم فإن قدره يجل على النبوة لأن مرتبته أعلى وأشـرف وأرفع من مرتبة الأنبياء فإن الأنبياء عبيد الله تبارك وتعالى والمسـيح هـو الابـن الحبيـب كلمة الله الخالقة وهو الباعث الأنبياء والموحـي إليهم والموجه الرسل والمؤيد لهم بالكلمة المتجسدة فيه وقد تنـبأ لليهود وللحواريين بما يدل دلاً قاطعاً على أنه يعلم الغيب ويكتنه الضمائر وأنه لا تخفى عليه خافية وأنه خبير بالسرائر وبما هو مزمع أن يكـون قبل كونه في الوقت الذي كان مقيماً معهم متردداً بينهم مثل قوله لهم وقد اجتمعوا حوله يرون بناء هيكل بيت المقدس ويعجبون من جـودة بنائه وصحته وحسنه وتمامه «الحق الحق أقول لكم أنه لا يبقى مـن هذا البناء حجر على حجر ألا وينقض[2]» ومثل إخبارهم بما هو

(1) قابل دانيال (ص 26:9 ـ 27).

(2) قابل متى (ص 2:21)

مصـــيبهم من البوار ونازل بهم من القتل والسبي فكان ذلك كقوله بعد صعوده ممجداً إلى السماء بأربعين سنة. ومثلما كان يخبرهم أيضاً بما في ضمائرهم وما يكتمونه في أنفسهم من تدبيرهم في قتله. ومثل قوله لتلاميذه وهم مقيمون في بيت المقدس إن لعازر صديقنا قد رقد. وكان لعـــازر هـــذا نازلاً في موضع يعرف ببيت عنيا على فراسخ من بيت المقـــدس) فامضوا بنا نوقظه فقال له تلاميذه وقد كان اتصل بهم عظم مـــرض العازر أيها السيد إن كان قد رقد فقد بَرأ على عادة المرضى أنهـــم إذا نـــاموا بعـــد السهر المقلق من شدة المرض فذلك دليل على عافيـــتهم فلما لم يفهموا كلامه صرح لهم القول معلناً أن لعازر صديقنا قد توفي فأنا ماض لأبعثه حياً من بيت الأموات فمضى وهم معه فبعثه حـــياً ودفعـــه إلـــى أختيه مريم ومرثا وذلك بعد أربعة أيام من موته[1] وكقولـــه لسمعان الصفا وقد قال لتلاميذه ليلة آخر عهدهم به أن جميعكم فـــي هـــذه الليلة يخذلني فقال له سمعان سيدي أن خذلك الناس كلهم فلا أخذلـــك أنـــا أبـــداً. فقال له السيد المسيح الحق أقول لك ستجحد معرفتي اللـــيلة ثـــلاث مرات قبل صياح الديك فجزع سمعان لذلك جزعاً شديداً ونفـــر نفـــوراً عظيماً لقوله ذلك فلم يصح الديك في تلك الليلة حتى جحد سمعان معرفته ثلاث مرات في ثلاثة مواضع مختلفة حالفاً بغليظ الإيمان علـــى جحوده وإنكاره ونظر المسيح السيد إليه ففكر سمعان كلامه فبكى وندم على ما كان منه من جحوده وإنكاره (راجع متى ص 21).

---

(1) راجع يوحنا (ص 11)

فهــذه أصلحك الله شروط النبوة ودلائلها وعلاماتها. فعرّفنا هذا الذي أقررت له بماذا تنبأ وما نبوته التي ظهرت وبماذا استحق عندك أو عــند غيرك اسم النبوة وما الدليل على دعواه. فإن قلت أنه أخبرنا بأقاصيص الأنبياء الذين كانوا قبله في الزمان السالف كنوح وإبراهيم وأســحق ويعقوب وموسى والمسيح وسائر الأولين الذين ذكرهم في كــتابه فجوابنا أكرمك الله الذي لا تقدر أنت ولا غيرك أن ينكره أو يدفعــه هــو أنــه إنما أخبرنا بما سبقت معرفتنا به ودرسته صبياننا وأطفالــنا في المكاتب فإن ذكرت قصة عاد وثمود والناقة وأصحاب الفيل ونظائر هذه القصص قلنا لك هذه أخبار باردة وخرافات عجائز الحـــي اللواتـــي كن يدرسنها ليلهن ونهارهن وليس ذكرها دليلاً على نــبوته فقد سقطت عنه شريطة من الشريطتين اللتين توجبان النبوة. فـــإن قلت أنه أخبر بما يكون قبل كونه ألزمناك توضيح ذلك لأن هذه نــيف ومائــنا ســنة قد مضت من ذلك الوقت وكان يجب أن يصح ويتحقق عندك شيء مما أخبرك أنه سيكون وأنت تعلم ونعلم بالحقيقة أنــه لم يأت في هذا الباب بشيء ولا نطق فيه بكلمة ولا تفوه بحرف واحد فسقطت عنه الشريطة الثانية من شريطتي النبوة وإذ قد خلا من الشريطتين اللتين توجبان اسم النبوة وأصفِرَ[1] منهما وهما متضمنتان للآيــات والعجائب الممتنعة فلننظر في الآيات هل أتى من ذلك بشيء فنقول أنه زعم في كتابه أنه قيل له «وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون» (الإسراء) أي لولا أن يكذبوا بآياتك كما كذبوا

---

(1) الصفر بالكسر الخالي

بالآيات التي جاءهم بها الأولون من قبلك لأعطيناك الآيات. فلعمري أن هـــذا من الأجوبة الممتنعة عند منتقدي الكلام الناظرين في قوانين حـــدود المنطق وأنت تعلم أصلحك الله وكل من يسمع هذا الجواب أن صـــاحبك أبرأ نفسه به من آيات النبوة لأنه لم يقدر عليها وليس لمن مـــثلك فـــي الإنصاف أن يعدل عن الحق. فإن أدعيت أن من الدلائل علـــى نـــبوته ظفـــره وظفـــر أصحابه على ما كانوا عليه من القلة والضعف بملك فارس على عظمه وجلالة قدره وجودة تدبير أصحابه وحســـن سياسة ملوكه مع كثرة العدد والسلاح والرجال أجبناك بكلام الله وقوـــله لبني إسرائيل[1] ليس لأن الله أحبكم أكثر من محبته لسائر الشـــعوب ســـلطكم علـــى الأموريين والفرزانيين تقتلونهم وتخربون ديـــارهم وتـــرثون بلادهـــم بل لآثام هؤلاء الشعوب وكثرة خطاياهم ســـلطكم عليهم وأظفركم بهم. وكفعله ببيت المقدس أيضاً وقد اختاره مـــن بين سائر الأرض كلها وأحل فيه اسمه وأيده بالآيات والعجائب والجـــرائح المعجزة وأسكنه أنبياءه المصطفين وكان يرتل فيه اسمه بالتهلـــيل والتســـبيح لـــيلاً ونهاراً وتستجاب فيه الدعوات لأنه محل الـــبركات فعندما طغى أهله وجعلوا لله أنداداً وغمطوا نعمه وجحدوا آياتـــه وظـــنوا عند نفوسهم أن الذي عم فيه إنما نالوه وصاروا إليه بأيـــاديهم وقوتهـــم فقـــلَّ شكرهم لله جل اسمه سلط عليهم شر خلقه وأرذلهـــم بختنصـــر عابد الصنم المشرك بالله عز وجل فقتل الرجال الذين كانوا أولاده وصفوته وخيرته من خلقه المعروفين بشعبه وسبى

---

(1) انظر تثنية (9:4 ــ 7)

ذراريهــم وأخــرب البيت الذي كان معروفاً باسمه ونقل الآنية التي كانت فيه إلى بابل النجسة بعبادة الأصنام. فهل تقول إن بختنصر إنما ظفر ببيت المقدس وبلغ منه ومن أهله ما بلغ لأنه كان نبياً أم للسبب الذي ذكرناه آنفاً. فكذلك أيضاً كانت قصة صاحبك وأصحابه مع ملك فــارس لأن أهل فارس كانوا مجوساً أنجاساً أرجاساً من أسقاط الأمم وجهالهم يعبدون الشمس والنار وينكحون البنات والأخوات والأمهات وكــانوا قــد عــتوا وعاندوا الحق وتكبروا فوق القدر بجهلهم وقلة معرفــتهم بــأقدارهم وادعوا الربوبية التي لم يجعلها الله لهم وابتذلوا نعمــه كفراً وعدواً وسعوا في الأرض فساداً وظلماً وارتكبوا العظائم وتوهمــوا أن الــذي هم فيه إنما هو من صحة تدبيرهم وكثرة قوتهم وشــدة نجدتهــم وبطشــهم فسلبهم الله نعمته وسلط عليهم من أخرب بلادهــم وقــتل رجالهم وأخلى مساكنهم منهم وسبى ذراريهم ونهب أموالهم فلم يبق لهم امرأة إلا نكحت ولا ولد إلا استعبد وبادوا بسخط الله ورجزه كذلك يفعل الله بالقوم الظالمين.

فلنرجع الآن إلى ذكر الآيات الموجبة لكل من أظهرها صحة ما يدعي من نبوة أو رسالة عن الله تبارك وتعالى وننظر في ذلك نظراً شافياً فنقول أما كتاب صاحبك الذي أدعى أنه منزل عليه من عند الله فلــيس فــيه شيء من ذكر الآيات بل كما قلنا آنفاً زعم أنه لولا أنهم كذبــوا بآيــات الأنبــياء الأولين لأتاه الله الآيات ولكنه كره أن يؤتيه بشــيء منها فيكذبون به. ولعمري أهذه حجة مقنعة وجواب صحيح يجــوز عــند ذوي العقــل ويرضى به العلماء والفلاسفة والمنتقدون

للكلام والباحثون عن الأصول والأخبار فهذا ما شهد به كتابه. نعم إن الأولين من اليهود كذبوا بآيات الأنبياء وردوها وأما الأعراب فبآيات مـــن كذبوا ولم يبعث فيهم نبي قط ولا وجه إليهم رسول لا بآية ولا بغـــير آية. ولعله لو كان جاءهم بشيء من الآيات لكانوا صدقوه ولم يكذبـــوه ألـــم تر أن كثيرين منهم أجابوا دعوته ولم يروا منه آية ولا سمعوا عنه أعجوبة ولكن أنت تعلم حفظك الله أن هذه حجة مبهرجة تتلاشـــى عند المحن. فأما غير الكتاب فقد وجدنا لكم أخباراً وقصصاً هي كخرافات العجائز منها زعمهم أنه كان من آياته العجيبة المعجزة أنه وقف بين يديه ذئب فعوى وبكى فالتفت إلى أصحابه قائلاً لهم هذا وافـــد السباع فإن أحببتم أن تفرضوا له شيئاً لا يعدوه إلى غيره وأن أحببـــتم تركـــتموه وتحـــررتم منه قالوا ما نطيب له بشيء فأومأ إليه بأصابعه الثلاث أن خالسهم فولى وهو غائل. فهذه لعمري آية عجيبة لـــم يســـمع الســـامعون بمثلها قط ولم ير الراؤون أعجب منها تضل عـــندها عقـــول الفلاسفة والحكماء وتتحير منها العلماء وذوو الحيل والفطـــن الدقيقة أنه عرف عواء الذئب وأنه وافد السباع فليت شعري لـــو كان قال لهم أن هذا الذئب رسول رب العالمين إليه من كان يرد عليه قوله فواضح أن هذا الخبر يا أخي وضعه لقوم لا محنة لهم ولا منـــتقد باحث فيهم. ومنها زعمهم أيضاً أن الذئب كلم اهبان بن أوس الأســـلمي فأسلم ولو أدعى أن اهبان ذكر أن الأسد كلمه لكان عندي أعجـــب على أنه ساوى بينه وبين نفسه فيهما بل فضله على نفسه إذ الذئب معه عوى فادعى هو معرفة ما قال في عوائه أنه وافد السباع

فإما اهبان فإنه زعم أن الذئب ناطقه بلسان عربي والأعجب في ذلك أن هاتيــن الآيتين لم تجريا إلا بواسطة الذئب الذي يعرف بالخاطف مــن السباع وهذا لقبه في كتب الله المنزلة. فمثلك أيدك الله لا يحيل[1] علــيه مثل هذا الكلام وليست لنا حاجة إلى الإطالة فيه وكذلك قصة ثور دريخ وادعاءهم مخاطبته دريخاً عند ضربه إياه. وكتابه يشهد أن الأعراب أشد كفراً ونفاقاً. وأما شاة أم معبد ومسحه يده على ضرعها ومــا يلــي ذلك من الخرافات الأخرى كدعائه الشجرة فأسرعت إليه مقــبلة مجيــبة تجهد في الأرض فهذا أمر نؤخره إذ فيه نظر مع أن أكــثر المســلمين الراســخين فــي العلــم لا يقبلونه بل يردونه ولا يصــححونه. وكذلك السم الذي سمته به زينب بنت الحارث اليهودية زوجــة ســلام بن مشكم اليهودي في شاة مصلية أي مشوية فكلمته الــذراع وأكل معه بشر بن البراء بن مغرور فمات وأن السم الذي لم يــزل يدب في بدنه كان سبب موته. فليت شعري هل هو سمع الكلام مــن الــذراع وحده أم سمعته الجماعة الذين كانوا بحضرته فإن كان سمعه هو وحده فلم لم يمنع ابن البراء من أكل طعام مسموم حتى لا يمــوت وابن البراء رجل من أصحابه قد اختصه بالأكل معه وكيف اســتحل ذلــك واستجاز كتمان قول الذراع له أنها مسمومة وأن كان ســمع ذلك من الذراع جميع من حضر فكيف لم يمتنع ابن البراء من الأكــل وهــو يسمع الذراع تقول لا تأكل مني فأني مسمومة وكيف امتــنع هو من الأكل وترك ذلك الشقي بأكل من طعام مسموم فقتله.

---

(1) من الاحتيال

فلــيس يخلــو هذا من أحد وجهين إما أن يكون سمعه هو وحده وكتم ذلــك غــدراً وإما أن تكون الجماعة سمعوه فلم يمتنع ابن البراء عن ذلك الأكل حيث سمع ولا يموت وحيث مات ابن البراء من أكله السم ولعلــه أنما أكله ثقة منه بأنه يأكل مع نبي مستجاب الدعوة ورسول رب العالميــن مشفع عند ربه في جميع ما سأله لم لم يدع ربه فيجيبه كعهدنــا بالأنبياء المشفعين في أحياء الموتى فإن ايليا النبي قد أحيى ابــن الأرملة بصرفة (ملوك أول 17) وهكذا اليشع تلميذ ايليا قد أقام ابــن الشــونمية من الموت حياً (ملوك ثان 4). وقد فعلت الأنبياء مثل هذا مراراً كثيرة وهم أحياء. وفعلت أيضاً القوة الحالة في عظامهم كفعل عظام اليشع النبي حيث وضع الميت عليها فعاش (ملوك ثان 13) وأنت تعلــم أن هــذا خبر صحيح في كتب الله المنزلة قرأته في سفر كتب الملــوك مفسراً ليس فيه اختلاف بين النصارى أصلاً ولا بين اليهود وهمــا ملــتان مختلفتان اجتمعنا نحن وهم على صحة ذلك. وكيف لم يــأكل هو منها أيضاً ولم يصبه شيء فيكون ذلك آية له وشاهد على صـــحة ما يدعي من النبوة إن كان نبياً كما تقول لأن الأنبياء بأسرهم موقون معصومون بالوقاية الحالة عليهم من الله جل ثناؤه من الآفات التـــي تحــتال الكفرة بها عليهم وعلى أولياء الله كقول الرب المسيح لتلامــيذه فـــي إنجيله المقدس ووعده لهم بما وفى لهم به إذ يقول ما معــناه أن أنــتم شربتم السم القاتل لم يضركم يعني إذا أردتم إظهار دعواكم وما يعرفه الناس منكم من بشارتي كان ذلك جائزاً مطلقاً فقد كـــانوا يمتحنون بمثل هذا وشبهه فتظهر صحة دعواهم على المحنة

والـــتجربة فانقـــادت لهم الملوك الجبابرة والعلماء الفلاسفة والحكماء أصـــحاب الحيل والقضاة بلا سوط ولا عصا ولا سيف ولا رمح ولا عشيرة ولا ناصرة ولا حكمة دنيوية ولا فصاحة بدعة ألفاظ ولا حذق بحجة ولا ترغيب في شيء ولا تسهيل في شريعة بل لما كانوا يرون مـــن إظهارهم الأفعال المعجبة التي يمتنع إمكانها في عقول الآدميين فكانوا يرفضون ملكهم وعتوهم ويدعون فلسفتهم ويزهدون في علمهم وحكمتهم ويخرجون عن نعمهم وإيثارهم ويتبعون أناساً فقراء الظاهر صـــيادي ســـمك وعشارين لا حسب لهم ولا نسب غير انتهائهم إلى طاعـــة المســـيح الـــذي أعطـــاهم السلطان والقدرة على أفعال تلك العجائـــب. فهـــذه أصلحك الله دلائل النبوة وعلامات الرسالة وصحة الدعـــوة إلـــى الله تعالى لا ما يدعيه صاحبك مما لا حقيقة له. وأما الميضـــأة وخـــبرها وأنه أدخل يده فيها ففاض منها الماء حتى شربوا وشـــربت دوابهـــم فالخـــبر بذلك جاء عن محمد بن إسحق الزهري وأمـــرها ضـــعيف عـــند أصحاب الأخبار ولم يجتمع أصحابك على صـــحته فكـــيفما أردت فأخبار صاحبك أصلحك الله ليس ينساغ منها شيء ولا يستوي ولا تصح دعوة واحدة مما سواها على أنه قد سبق فقطـــع الدعاوي وحذف ذكر الآيات بتة فسقطت دعوى من ادعى له آيـــة وإنمـــا بعث بالسيف زعم[1] تصليبا وأن كل من لم يقر أنه نبي مرســـل قتله أو يؤدي الجزية ثمناً لكفره فيدعه فهل تريد أصلحك الله دلـــيلاً أوضـــح أو حجة أقنع أو برهاناً أصح على بطلان ما جاء به

---

(1) هكذا بالأصل

صـــاحبك أكــثر مـــن هذا أن كنت أنصفت نفسك وصدقتها على أن صاحبك قد أقر وقطع بإقراره كل سبب بما نقلت عنه الثقاة الحاملون أخـبـاره فإنـــه قال قولاً مصرحاً غير مكاتم ولا مساتر أنه «ليس من نبـــي إلا وقـــد كذبت أمته عليه ولست آمن أن تكذب عليَّ أمتي فما جـــاءكم عني اعرضوه على الكتاب الذي خلفته بين أظهركم فإن كان لــــه مشاكلاً وكان له فيه ذكر فهو عني وأني قلته وفعلته وأن لم يكن له ذكر في الكتاب فإنا بريء منه وهو كذب ممن رواه عني وما قلته ولا فعلـــته». فانظـــر أصلحك الله في هذه الأخبار التي ذكرناها مما يقـــول أصحابك هل تجد لها أصلاً في الكتاب الذي في يدك فإن كان لهـــا فـــيه أصل أو ذكر فهي لعمري صحيحة قد فعلها وأتى بها وإلا فهـــو بريء منها وهي أباطيل وأكاذيب تقولوا بها عليه ثم أعظم من هـــذا وأشـــنع أنه كان يقول لهم في حياته ويوصي إليهم إذا مات ألا يدفنوه فإنه سيرفع إلى السماء كما ارتفع المسيح سيد العالم وأنه أكرم على الله من أن يتركه على الأرض أكثر من ثلاثة أيام ولم يزل ذلك عـــندهم متمكـــناً فـــي قلوبهم فلما مات يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة مضت من ربيع الأول من سنة ثلاث وستين لمولده وقد مرض أربعة عشـــر يوماً تركوه ميتاً يظنون أنه سيرفع إلى السماء كقوله فلما أتت علـــيه ثلاثـــة أيام وانقطع رجاؤهم من ذلك وأيسوا من تلك المواعيد الباطلة دفنوه في التراب يوم الأربعاء وحكى بعضهم أنه مرض سبعة أيـــام بـــذات الجنـــب وأنه غرب عقله وخلط في كلامه تخليطاً شنيعاً فغضب لذلك علي بن أبي طالب وأنكره فلما أفاق أخبره بما كان فقال

لا يبقيـن فـي البيت أحد إلا العباس بن عبد المطلب فلما كان اليوم السـابع من مرضه مات قربا[1] بطنه وانعكست إصبعه الشمال وهي الخنصـر، وذكـر ضـمران أنه كان تحته في مرضه شملة حمراء وعليها مات وفيها أدرج بعد موته ووري في التراب بغير غسل ولا أكفان وروى عمران بن خضير الخزاعي أنه غسل وأدرج في ثلاثة أقواب سجولية أي بيض يمانية وأن الذي تولى ذلك منه علي بن أبي طالـب والفضـل بن العباس بن عبد المطلب ابن عمه. فلم يبق أحد ممن كان تبعه إلا ارتد ورجع عما كان عليه غير نفر يسير وشرذمة قلـيلة مـن أخص أهله وأقربهم نسباً إليه طمعاً بما كان فيه من تلك الرئاسـة فكـان لأبي بكر عتيق بن أبي قحافة في ذلك أعجب تدبير وألطـف فعل وأكثر رفق فتولى الأمر بعده بذلك السبب فاغتاظ علي بـن أبـي طالب غاية الغيظ ودخل عليه ما يدخل على من يشكك أن الأمـر صائر إليه فانتزع من يده كل ذلك حرصاً على الدنيا ورغبة فـي الرئاسة فلم يزل أبو بكر برفقه وحسن مداراته يلطف بالمرتدين إلـى أن رجعـوا بضـروب من الحيل والرفق والعدات والتشويقات والأمانـي والخـداع وكـان بعض ذلك بالخوف والفرق من السيف وبعـض بالترغيب في سلطان الدنيا وأموالها وإباحة شهواتها ولذاتها فرجع من رجع في ظاهره لا في باطنه وما اشك أكرمك الله إلا أنك ذاكـر ما جرى في مجلس أمير المؤمنين وقد قيل في رجل من أجل أصـحابه أنه إنما يظهر الإسلام وباطنه المجوسية القذرة فأجاب بما

---

(1) ارتفع وزال

علمــته مــن الجواب حيث قال «والله أني لأعلم أن فلاناً وفلاناً حتى عــدد جملـــة من خواص أصحابه ليظهرون الإسلام وهم أبرياء منه ويراؤوننـــي وأعلــم أن باطنهم ليخالف ما يظهرونه وذلك أنهم قوم دخلـــوا فـــي الإســـلام لا رغبة في ديانتنا هذه بل أرادوا القرب منا والتعزيز بسلطان دولتنا لا بصيرة لهم ولا رغبة في صحة ما دخلوا فــيه وأنـــي أعلــم أن قصتهم كقصة ما يضرب من مثل العامة أن الــيهودي إنما تصح يهوديته ويحفظ شرائع توراته إذا أظهر الإسلام ومـــا قصة هؤلاء في مجوسيتهم وإسلامهم ألا كقصة اليهودي وإني لأعلــم أن فلانـــاً وفلاناً حتى عدد جماعة من أصحابه كانوا نصارى فاســلموا كــرهاً فمـــا هم بمسلمين ولا نصارى ولكنهم مخاتلون فما حيلتـــي وكــيف أصنع فعليهم جميعاً لعنة الله أما كان يجب عليهم إذ خــرجوا مــن المجوسية النجسة القذرة التي هي أشر الأديان وأخبث الاعــتقادات أو عــن النصــرانية التـــي هي أذعن الأقاويل إلى نور الإسلام وضيائه وصحة عقده أن يكونوا أشد تمسكاً بما دخلوا فيه منه بما تركوه ظاهراً وخرجوا عنه رياء ولكن لي قدوة برسول الله صلعم وأســوة بـــه لقـــد كان أكثر أصحابه وأخصهم به وأقربهم إليه نسباً يظهــرون أنهم أتباعه وأنصاره وكان صلعم يعلم أنهم منافقون وعلى خـــلاف ما كانوا يظهرون له وصح ذلك عنده وأنهم لم يزالوا يبتغون لـــه الغوائـــل ويـــريدون بـــه السوء ويتطلبون له العثرات ويعينون المشركين عليه نظر العين حتى أن جماعة منهم كمنوا له تحت العقبة واحـــتالوا فـــي تنفير بغلته لترمي به فتقتله فوقاه الله كيدهم وشر ما

كـــانوا يبغونه له ثم كان يداريهم دائماً إلى أن قبض روحه على غاية مـــا يـــداري بـــه الأعداء المكاشفين حذراً منهم أفما ينبغي لي أنا أن أشابهه صلعم هذا وكان حياً ملء ثيابه ثم ارتدوا جميعاً بعد موته فلم يبق منهم أحد كان يظن به رشداً إلا رجع وارتد وحرص على تشتيت هـــذا الأمـــر وإبطاله ظاهراً وباطناً وعلانية وسراً إلى أن أيده الله وجمـــع تفـــرقهم وألقى في قلوب بعضهم شهوة الخلافة ومحبة الدنيا فربط النظام وجمع الشمل وألف التشتيت بالحيلة ولطف المداراة وأتم الله مـــا أتمـــه وما المنة في ذلك له ولا هو محمود عليه بل المنة لله والحمـــد والشكر له على ذلك بأسره فلست أذكر ما أراه ويبلغني عن أصحابي هؤلاء لا أبعد الله غيرهم وما لهم عندي إلا المدارة والصبر علـــيهم إلى أن يحكم الله بيني وبينهم وهو خير الحاكمين». ولولا أن ســـيدي أمير المؤمنين تكلم جهاراً على رؤوس الملأ في مجلسه أجله الله فـــذاع الخبر بذلك ونقله الشاهد إلى الغائب لما حكيته وأنت تشهد لـــي أني لم أتزيد في شيء من ذلك وإنما ذكرتك بما جرى من الكلام في ذلك المجلس وليس له مدة طويلة وأردت إعادته لأذكرك أمر الرد وأن القوم لم يكن ردهم إلى هذا الأمر إلا رغبة في الدنيا ولإتمام هذا الملـــك الذي هم فيه وفي ذلك لذوي الألباب ممن ينظر في كتابنا هذا مقـــنع أن شـــاء الله. فلنرجع الآن إلى كلامنا الأول ونقول أنه كان عمـــره ثلاثـــاً وستين سنة منها أربعون سنة قبل ادعائه النبوة وثلاث عشـــرة بمكة وعشر في المدينة وهذا أصلحك الله ما لا تقدر أنت ولا غـــيرك ممن يدعي مثل ادعائك أن ينكره أو يجحده والذي نقل إليك

دينك ووثقت به في جميع ما نقله عنه هو الذي نقل هذه الأخبار فهذه قصته من أولها إلى أخرها.

فـــأن ادعيـــت أن موســـى النبي ويشوع بن نون ولي الله وخليفة موســـى قـــد حاربا أهل فلسطين وضربا بالسيف وقتلا الرجال وسبيا وأحرقا القرى والمساكن بالنار ونهبا الأموال مما أنكرت على صاحبنا من أمره وفعله قلنا لك أنهما فعلا ما فعلاه عن أمر الله عز وجل لقوام مـــا أراده وقدره وإنجاز مواعيده وفعله فإن ذلك كان في قوم قد طغوا وبغوا وتجاوزا الحد فأحب تبارك وتعالى تأديبهم كتأديب الأب المشفق علـــى ابـــنه. فإن قلت وما الدليل على أن ذلك منهما كان عن أمر الله ســـبحانه وتعالى وأن الذي فعله صاحبك لم يكن عن أمر الله قلنا لك أن نبـــي الله موسى حيث جاء بالآيات العجيبة المعجزة التي فعلها بمصر بحضـــرة فـــرعون وجمـــيع أهـــل مصر بعد ما فعل أهل مصر ببني إسرائيل ما فعلوه وبعد ذلك أخرج بني إسرائيل بتلك اليد الرفيعة والقوة المنيعة وفلق لهم البحر وأجازهم وغرق فرعون وأصحابه عندما تبعهم وضـــرب الحجر الأصم فتفجر منه أثني عشر نهراً سقاهم منها وأنزل لهـــم المـــن والسلوى وما أشبه ذلك مما أتى به مما هو ممتنع في قدرة المخلوقين لا يقدر أحد أن يفعل ذلك غير الخالق جل وعز ومن أعطاه الـــرب القـــدرة على فعل مثله صارت هذه دلائل واضحة وشواهد له صـــادقة بـــأن جميع ما حكاه وفعله عن أمر الله تبارك وتعالى وصح عندنا أيضاً من وجه آخر أنه لم يجئ من بعده نبي ولا رسول من عند الله إلا ثبـــت له مقالته وصحح قوله وما جاء به وعلمنا أن قتال الكفار

الذين قاتلهم وسبى ذراريهم وأحرق مساكنهم ونهب أموالهم حق من الله وكذلـــك ما فعل يشوع بن نون من استيقافه الشمس في وسط الفلك عن مسيرها إلى أن انتقم الشعب من أعدائه وكذلك توقيفه القمر بأمر الرب فوقــف وشــــهد لـــه الكتاب بأنه لم يكن مثل ذلك اليوم فيما مضى ولن يكون في المستأنف لأنها آية خص بها يشوع بن نون فتكون شهادة له وجـــلالاً عـــنده إلـــى آخر الأبد وكذلك أفاعيل عجيبة غير هذه يطول شرحها وإذ قلت إنك قرأت كتاب يشوع ودرسته حق دراسته فلا وجه لإعادتهـــا ونحـــن واليهود المخالفون لنا متفقون على تصديقه عن غير تواطـــؤ وأنـــه حق كما حكاه ديوان الله لا نشك فيه ولا نرتاب فأعطنا أنـــت أصـــلحك الله أدنـــى حجة أو آية أو لمعة أعجوبة تومئ بها إلى صـــاحبك أنـــه فعلها أو يقر له كتابه بصحتها حتى نصدق نبوته ونقر برســـالته ونقـــبل دعوته ونعلم أن ما فعله من قتل الناس وسبيهم وأخذ أموالهـــم وإخراجهم من ديارهم كان عن أمر الله عز وجل كفعل أولياء الله ولكـــنا نعلم حقيقةً أنه لا جواب عندك في هذا وأنك لا تقدر أن تأتي بشيء مما سئلت عنه فلا ينبغي لك أصلحك الله أن تظلم وتذمم من رد عليك قولك وأنكر دعواك قائلاً أن الله لم يبعث صاحبك رسولاً ولا نبياً ولا أمره بمحاربة أحد ولا موادعته وإنما هو رجل متغلب أدعى لنفسه مـــا أدعاه فأعانه على ذلك قوم من عشيرته وأهل بيته وبلده فليس على مـــن جحـــد هـــذا ورده لوم ولا عيب ولا ذنب بل أن أنصفت عذرته وأحمـــدت رأيـــه وارتضيت بصحة عزيمته وقلت بجودة فكره لإحادته عن القول المتناقض الشاهد على نفسه ببطلانه وأنت تعلم علمك الله كل

خــير أن العقل والنصفة يوجبان ذلك اللهم إلا أن تستعمل المباهتة التي ليست من مذهبك ولا من أخلاقك بل هي سلاح العمه[1] اليهود والكفار والجهــال فإن الكذب والبهت والمكابرة أصل قولهم ومتن كلامهم وعقد أمــرهم لأنهم يشبهون الشيطان أباهم الكاذب المخترع الكذب والبهتان كمــا شــهد الرب يسوع المسيح عليه في أنجيله المقدس الطاهر فإلام أرجــع أصــلحك الله من أمرك وكيف أقول وبما أحتج لك عند عقلي وهل ترى أن أقبل قولك من غير حجة ولا برهان ولا دليل مقنع أترى ذلــك صواباً وما أظنك يرحمك الله ترى لي ذلك كيف وسيدي المسيح قــد قال في محكم أنجيله المقدس ما معناه أن جميع الأنبياء أنما تنبأت إلــى وقت مجيئي وعند ظهوري زالت النبوات بأجمعها فلا نبي بعدي فمــن جــاء بعدي مدعياً نبوة فهو لص خاطف لا تقبلوه فأشر علي يا خلــيل هــل ترى لي أن أعدل عن وصية ربي المسيح مخلص العالم وأقــبل غــروروك وخدعك وأمانيك وتشويقاتك بالدنيويات الزائلة بغير دلــيل ولا حجة فما أظن مثلك من أخل التمييز والعقل أشار بمثل هذا الخطأ العظيم ولا مثلي قبله وأُصغى إليه. فارجع إلى عقلك يرحمك الله وأنصــفه واستعمل القانون الحق ودع التحامل للقرابة والعصبية للنسب المضــمحل فإني لك ناصح وعليك مشفق واذكر ما قرأته في الإنجيل الطاهــر حيــث يقول السيد المسيح لحواريه «إن أنبياء كثيرين وملوكاً أرادوا أن يــنظروا مــا أنتم تنظرون ولم ينظروا وأن يسمعوا ما أنتم تسمعون ولم يسمعوا» (لوقا 24:1) فهل ينبغي لك وأنت قرأت مثل هذا

---

(1) المتحرين

أن تمـيل عـنه إلـى غيره من أمور الدنيا مع معرفة سرعة زوالها وفـنائها. وبعـد هذا كله كان ينبغي لك أن تعلم أننا إنما صدقنا الأنبياء وقبلـنا أقوالهـم عـندما جاءونا بشروط النبوة ودلائل الرسالة وإعلام الوحي لا بالغلبة والقهر ولا بالحمية والعصبية ولا بالشرف في الحسب والنسـب ولا بكـثرة العشيرة وصولة المنعة ووفور المال ولا بتسهيل السـنن والشـرائع ولا بإعطـاء الجسـد شهواته ولا لأجل الفَرق في السـلطان والخوف من السيف والسوط بل بالآيات العجيبة التي لا يقدر الآدمـيون ولا يتهيأ في حيلهم أن يأتوا بمثلها فهي دلائل واضحة إلهية مـثل آيات الإنبياء وعجائب ربنا المسيح وأفعال تلاميذه الحواريين التي كانـت تضل عندها عقول الفلاسفة وحكمة الحكماء فقبلنا أقاويل هؤلاء وجميع ما جاءونا به وصدقناهم وأقررنا لهم به وأنه حق منزل من عند الله عـز وجـل لكون مثل هذه الشهادات الصادقة معهم وبراعتها في أيديـنا وعندنا آثارهم قائمة وأعلامهم نيرة لا يجحد ذلك أحد ولا يمكن غيرهم أن يدعيه ولا ينكره إلا من عاند الحق واستعمل المباهتة وسوء التمييز. وقد اقتضانا أصلحك الله هذا الفصل من كتابنا هذا أن نناظرك فـيه بعـض المناظرة في ما أتاك به صاحبك هذا الذي تدعي له النبوة مـن الشرائع والأحكام فنقول أن الشرائع والأحكام لن تخرج عن ثلاثة أوجه ولا يقدر ذو نطق أن يأتي بزيادة فيها ولا تنقيص منها وذلك إما أن يكـون الحكـم حكمـاً إلهياً وهو حكم التفضل الذي هو فوق العقل والطبيعة ويليق بالله جل اسمه. لا بغيره ولا يشبهه سواه وإما أن يكون حكمـاً طبيعـياً قائماً في العقل مولوداً في الفكر يقبله التمييز ولا ينكره

وهــو حكم العدل وإما أن يكون حكماً شيطانياً أعني حكم الجور وهو ضــد ا لحكم الإلهي وخلاف الحكم الطبيعي فأما الحكم الإلهي الذي هو فــوق الطبيعة وأشرف منها فهو التفضل الذي جاء به المسيح مخلص العــالم ســيد البشــر الذي أقر صاحبك وشهد له إذ يقول «وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم مصدقاً لما بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل فــيه هــدى ونــور ومصدقاً لما بينه يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقيــن» (مائدة) وذلك أن المسيح قال في إنجيله الطاهر «غالبوا الشر بالخير وأحسنوا إلى من أساء إليكم وتفضلوا على الناس جميعاً وباركوا علــى مــن لعنكم وادعوا لمن أذنب إليكم وآتوا الجميل والمعروف إلى من شتمكم لتشبهوا في ذلك فعل أبيكم الذي في السماء فإنه يجود بوابله علــى الأبرار والفجار ويشرق شمسه على الأخيار والأشرار»[1] فهذا هو الحكم الإلهي وشرائعه فوق الطبيعة وأعلى من العقل الإنساني وهو حكم التفضل والرحمة والعفو والتشبه بفعل الله تبارك وتعالى الرؤوف الرحــيم والــنحو الثاني هو الحكم الطبيعي والشريعة القائمة في العقل الجاري مع الغريزة الملايم الإنسانية وهو ما جاء به موسى النبي بقوله فــي حكمــه مــا معــناه «العين بالعين والسن بالسن والنفس بالنفس والضــربة بالضــربة والجراح قصاص» فهذا حكم الطبيعة الداخل في قــانون العقل وهو حكم العدل والنصفة أن تأتي الناس بمثل ما أتوا به إلــيك وتفعل بهم كما فعلوا بك أن خيراً فخير وأن شراً فشر وليس ذلك مضــاهياً للحكــم الإلهي ولا مما يسنه الرب الرحيم المتفضل الرؤوف

---

(1) قابل متى 5:43 ـ 48

بخلقـــه. والـــنحو الثالـــث هو الحكم الشيطاني المحال الذي هو الجور والشر بعينه.فلا تلم أصلحك الله على إيجابنا الحجة عليك في ذلك فإنك تعلـــم أننا معك في وسط المعركة لم نخرج عنها ولا ندع المجاهدة بما عندنا من السلاح الروحاني ذباً عن دين الله القيم الذي نرجو به النصر والظفر على عدونا فإنك أن لمت في ذلك ظلمت على أننا لا نلتفت إلى لومـــك ولا لوم غيرك في ذلك. وأنا أرجع إليك بالمسألة سائلاً الله جل وعـــز إلهـــامك الإنصـــاف وتلقينك القول بالعدل في إعلامي أي هذه الأحكام الثلاثة التي ذكرناها وأي شريعة جاء بها صاحبك فإن قلت أنه جـــاء بالأحكام الإلهية قلنا لك قد سبقه المسيح سيدنا إليها بستمائة سنة وبهـــا يعمـــل أصحابه وتابعوه منذ ارتفاعه ممجداً إلى السماء إلى هذه الغايـــة وإلى أن تنقضي الدنيا ولم نرَ أحداً من أصحابك علم شيئاً منها ولا كانت تستعمل في عهد صاحبك. وأن قلت وما أظنك قائلاً أنه جاء بالأحكام الطبيعة وشرائع العقل سنن العدل قلنا قد سبقه إلى ذلك موسى النبـــي وأوقفنا عليه وشرحه لنا شرحاً بيناً عن الله والتوراة وليس لأحد أن يدعـــيه لأنه ناطق قائم له وحده مشاهد في كتابه اللهم إلا أن يكون المدعـــي لذلك مكابراً للعيان ظالماً متعدياً بهاتاً يأتي إلى ما هو كضوء الشـــمس حـــق قـــائم في أيدي أهله وهو لهم وعندهم وفيهم فيروم أن يطمســـه ويحـــاول بمباهتـــته إدعـــاءه لنفسه. فهذان حكمان قد عرفنا أصـــحابهما وأقـــررنا لهـــم بهما. فقد بقي الحكم الثالث الذي هو حكم الشـــيطان وشـــريعة الجـــور. فانظـــر أصلحك الله نظراً شافياً بروية صـــحيحة وفكر لا يشوبه الميل والزيغ من القائم بهذا الحكم الناصر له

المتمسك بشرائعه العامل به وإلا فأعلمنا أي حكم جاء به صاحبك وأي شـريعة أتـى بهـا غير الحكم الثالث الذي شرحناه لك لنقبله منك أن أوجـب قبولاً وننقاد لك فيه فأننا لا نعاند الحق ولا نرده من حيث أتى. فهـل تقول يرحمك الله أنه جاء بالحكمين معاً يعني حكم المسيح وحكم موسـى وشرحهما في كتابه قائلاً «النفس بالنفس والعين بالعين والسن بالسـن الـخ» كمـا قال موسى ثم أتبعه بقول المسيح وإن غفرتم فإنه «أقـرب للتقوى» (مائدة) فأنت تعلم أن هذا كلام متناقض كقول القائل قـائم قـاعد وأعمـى بصير وصحيح سقيم في حال واحدة فما أظنك تستجيز إطلاق هذا الكلام على هذا من الإطلاق لأنه محال ثم لا ينكتم أيضـاً ولا يختفـي على متدبره ومتعقبه أنه كلام سرق من موضعين مختلفيـن أعني التوراة والإنجيل ثم إن أنت أقررت كل واحد من هذين الحكميـن وأدعيته فلا يقرك أصحابهما ولا يدعونك وذلك لأنه حق لهم وهـم أشد تمسكاً به وصيانة له من أن يسامحوك عليه لأنهم قد ورثوه فصـار في أيديهم أرثاً مقبوضاً وحقاً مسلماً لهم ويقولون لك أنك متعد ظـالم تـروم أخذ إرثنا من أيدينا مع إقرارك أنت أنه لنا غير جاحد له فـإن حاولـت أخذه فأنت غاصب لا حق لك. بل آتنا أنت بما في يدك وعـندك ممـا لـيس فـي أيدينا ولا عندنا لنعلم أنك محق صادق في ادعـائك. أليس أنما تلجأ إلى القول الثالث الذي يقيمون عليك فيه البينة العادلـة أنك أنت جئت به وعملت به ونصرته وكيف تقدر على جحود مـا أنت مقيم عليه مقرّ به وهو في يدك تناضل عنه وتخاصم فيه وهو شريعة لك أنت مستعملها ثم ترجع فتنكر وتجحد ما أنت فيه من حكمك

وتتــبرأ منه وبعد هذا وقبله فلا أظنك ترضى لصاحبك أن يكون تابعاً للمسـيح وموســى وأنــت تزعم فيه ما تزعم وتدعي له ما تدعي من الحظــوة والقــدر والمنزلة عند رب العالمين وتجترئ على الله وتقول لولا صاحبك ما خلق آدم ولا كانت الدنيا ولقد جئت يا هذا أصلحك الله بأمــر ذي بهت وكذب بيّن أدعيت له من الآيات ما أدعيت بقولك لولا أن يكذبــوا بها كما كذب الأولون ولم تدع له ذلك في الشرائع وأنه ما كان عليه أن يأتي بها فيبين بها بعض أمره أو ليس لأنه لم تكن شريعة رابعــة بقيــت فلما لم يبق إلا الشريعة الثالثة وكان موسى والمسيح قد ســبقاه إلــى الشريعتين جاء هو بالشريعة الثالثة فلا أدري بأي قوليك آخذ ولا عن أيهما أجيب فأصدق نفسك يرحمك الله ولا تغشها لأن ذلك حــرام علــيك وليس الدين من الأمور التي يجوز أن يتوانى ذو اللب والعقــل عن الفحص والبحث عنها ويتغافل عن التفتيش عنه والوقوف على أصوله وأسبابه وفقك الله إلى الحق وجنبك الباطل بحوله وقوته. وكأنــي بك وقد ألجئت إلى أن تقول إن الحجة البالغة عندك هذا الكتاب الذي في يدك وأن الدليل على صحة كونه منزلا من عند الله ما فيه من الأخــبار القديمــة عــن موسى والأنبياء وعن سيدنا المسيح وصاحبك رجــل أمي لم يكن له معرفة ولا علم بتلك الأخبار فلولا أنه أوحي إليه وأنبــئ بــه فمن أين عرف ذلك حتى نسقه وجاء به. ثم تقول لا يقدر أنســي ولا جنــي أن يأتي بمثله ثم تقول «وأن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله أن كنتم صــادقين» (بقــرة) وقولــه «ولو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته

خاشــعاً متصدعاً من خشية الله» (الحشر) ونظائر هذه الأغلوطات فهذا أعظــم الدليل وأصح البرهان وأوضح الحجة بزعمك على نبوته فكأنك جعلت هذا آية له وحجة مثل فلق البحر لموسى ووقوف الشمس ليشوع بــن نون وأحياء الموتى للمسيح وأعاجيب الأنبياء السالفين ولعمري أن هــذا الكــلام قد أضل قوماً كثيرين وقد أويت من هذا الكلام إلى ركن ضــعيف القواعــد متداعي الدعائم وهيّ القوائم وجوابك في هذا قريب غــير بعيد وحاضر غير غائب ولا متخلف ولا بديل لنا من كشف هذه القصـــة وأن كــان فــي كشفها بعض المرارة عليك فإن بط[1] القروح الــنغلة[2] لابــد أن ينال صاحبها منه أذى وألم فأصبر لألم الحديد قليلاً تجد الراحة وحلاوة العافية عندما يتضح لك الحق وتظهر لك فائدة هذا القول وتدليسه عليك فتقول أنه ينبغي لك أن تعلم أولاً كيف كان السبب فــي هــذا الكتاب ثم تدعي حينئذ مثل هذه الدعاوي المتدلسة[3] التي لا بقــاء لها على المحنة ولا ثبات على الفحص وذلك أنه إنما كان رجل مــن رهــبان النصــارى يعــرف بسرجيوس أحدث حدثاً أنكره عليه أصــحابه فحرموه وأخرجوه وقطعوه عن الدخول إلى الكنسية وامتنعوا مــن كلامــه ومخاطبــته علــى ما جرت به العادة معهم في مثل هذا الضرب فندم على ما كان منه فأراد أن يفعل فعلاً يكون له بهِ تمحيص عــن ذنــبه وحجة عند أصحابه النصارى فصار إلى بلد تهامة فجالها

---

(1) شق

(2) الفاسدة الجلد

(3) المستترة عيوبها

حتى أفضى إلى تربة مكة فنظر البلد غالباً فيها صنفان من الديانة فكان الأكــثر ديــن اليهود[1] والآخر عبادة الأصنام فلم يزل يتلطف ويحتال بصاحبك حتى استماله وتسمى عنده نسطوريوس وذلك أنه أراد بتغيير اسمه إثبات رأي نسطوريوس الذي كان يعتقده ويتدين به فلم يزل يخلو به ويكثر مجالسته ومحادثته ويلقي إليه الشيء بعد الشيء إلى أن أزاله عــن عــبادة الأصــنام ثــم صــيره داعــياً وتلميذاً له يدعو إلى دين نسطوريوس. فلما أحست اليهود[2] بذلك ناصبته العداوة فطالبته بالسبب القديــم الذي بينهم وبين النصارى. فلم يزل يتزايد به الأمر إلى أن بلغ بــه ما بلغ فهذا سبب ما في كتابه من ذكر المسيح والنصرانية والذب عــنها وتزكــيه أهلها بالشهادة لهم أنهم أقرب مودة وأن منهم قسيسين ورهــباناً وأنهــم لا يستكبرون (مائدة). فلما قوي الأمر في النصرانية وكــاد يــتم توفــي نسطوريوس هذا فوثب عبد الله بن سلام وكعب[3] المعــروف بالأحــبار اليهوديان بخبثهما ومكرهما فأظهرا له أنهما قد تابعــا على رأيه وقالا بقوله فلم يزالا على ذلك المكر والدهاء والتدبير علــيه بكتمان ما في أنفسهما إلى أن وجدا الفرصة بعد موته. فما توفي وارتد القوم وأفضى الامر إلى أبي بكر وجلس علي بن أبي طالب عن تسـليم أمــر أبي بكر علماً أنهما قد ظفرا بما كانا يطلبان ويريدان في نفســهما فاندســا إلى علي بن أبي طالب فقالا له ألا تدعي أنت النبوة

---

(1) كذا في الأصل

(2) لعل ذلك بعد هجرته للمدينة

(3) لعل ذكره خطأ لأنه من التابعين ولم ير محمداً وقد أسلم في خلافة عمر.

ونحـــن نوافقـــك علــــى مـــثل ما كان يؤدب به صاحبك نسطوريوس النصراني فلست بأخس منه وكان علي بن أبي طالب قد أحس بما كان نســـطوريوس الراهـــب عليه إلا أنه كان صغيراً وقتما صحبه إلا أنه أوعـــزا إلـــيه ألا يعلم أحداً بموضعه ولا يبلغ أحداً من أهله عليه فقبل علي منهما ذلك لصغر سنه وقلة تجربته ومال إلى قولهما بسلامة قلبه وحداثـــة ســـنه وقلة تجربته فلم يتمّم الله لهما ذلك ولم يبلغهما إياه لأنه اتصـــل بأبـــي بكر بعض خبرهما فبعث إلى علي فلما صار إليه ذكره الحـــرمة ونظـــر إلـــى أبي بكر وإلى قوته فرجع عما كان عليه ووقع بقلبه. وكانا قد عمدا إلى ما في يد علي بن أبي طالب من الكتاب الذي دفعـــه إليه صاحبه على معنى الإنجيل فأدخلا فيه أخبار التوراة وشيئاً مـــن جـــل أحكامها وأخبار من عندهما بدلها وشنعا فيه وزادا ونقصا ودســـا تلك الشناعات كقولهما «قالت النصارى ليست اليهود على شيء وقالـــت اليهود ليست النصارى على شيء وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذيـــن لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يخـــتلفون» (بقـــرة) ومثل الأعاجيب وذلك التناقض الذي لا يحيل على الـــناظر فـــيه أن المتكلمين به قوم شتى مختلفون كل منهم ينقض قوله صـــاحبه ومثل سورة النحل والنمل والعنكبوت ومثل هذا وشبهه إلا أن علياً حيث أيس من الأمر أن يصير إليه صار إلى أبي بكر بعد أربعين يومـــاً وقـــال قوم بعد ستة أشهر فبايعه ووضع يده في يده وقال له ما حبســـك عنا وعن مبايعتنا يا أبا الحسن فقال كنت مشغولاً بجمع كتاب الله لأن النبـــي كـــان أوصاني بذلك. فانظر أيها العادل أن الحجاج بن

يوسف أيضاً جمع المصاحف وأسقط منها أشياء كثيرة فكتاب الله أيها المغرور لا يجمع ولا يسقط منه شيء وأنت وأهل مقالتك عارفون بذلك غير منكرين لأن الثقات من رواتكم نقلوا هذه الأخبار وصححوها فليس بينهم فيها خلف وأنت تعلم أيضاً أنهم رووا أن النسخة الأولى هي التي كانت بين القرشيين فأمر علي بن أبي طالب بأخذها لما اشتد عليه الأمر لئلا يقع فيها الزيادة والنقصان وهي النسخة التي كانت محضة على معنى الإنجيل الذي دفعه إليه نسطوريوس وكان يسميه عند أصحابه جبرائيل مرة والروح الأمين مرة فلما قال علي بن أبي طالب لأبي بكر في البيعة الأولى إني شغلت في جمع الكتاب قالوا فمعنا قول ومعك قول وهل يجمع كتاب الله فاجتمع أمرهم وجمعوا ما كان حفظه الرجال من أجزائه كسورة براءة التي كتبوها عن الإعرابي الذي جاءهم من البادية وغيره من الشاذ والوافد وما كان مكتوباً على اللخاف[1] والعسب وهو جريد النخل وعلى عظم الكتف ونحو ذلك ولم يجمع في مصحف وكانت لهم صحف وأدراج على منهاج أدراج اليهود وذلك من حيلة اليهوديين وكان الناس يقرأون مختلفين فقوم يقرأون ما مع علي بن أبي طالب وهم أتباعه إلى اليوم وقوم يقرؤون بهذا المجموع الذي ذكرنا أمره وقوم يقرؤون بقراءة الأعرابي الذي جاء من البرية وقال أن معي حرفاً وآية وأقل وأكثر فكتب ولا يدري أحد ما قصته ولا في ما أنزل وطائفة تقرأ بقراءة ابن مسعود لقول صاحبك من أراد أن يقرأ القرآن غضاً طرياً كما أنزل فليقرأ بقراءة

---

(1) بالكسر حجارة بيض رقاق واحدتها لخفة وهي في حديث زيد بن ثابت جامع القرآن

ابـــن أم عبد وكان يعرض عليه في كل سنة مرة وفي السنة التي مات فيها عرض عليه مرتين وقوم يقرأون قراءة أبيّ بن كعب لقوله أقرأكم أبـــيّ وقـــراءة أبي وقراءة ابن مسعود متقاربتان فلما صار الأمر إلى عـــثمان بـــن عفان واختلف الناس في القراءة أقبل علي بن أبي طالب يتطلـــب العلل على عثمان ويتتبع العثرات ويعيبه ويخالف عليه وذلك تدبـــراً علـــى قتله فكان الرجل يقرأ الآية ويقرأها الآخر قراءة مختلفة ويقول الرجل منهم لصاحبه قراءتي خير من قراءتك، ويحتج كل منهما لصـــاحبه بالذي يقرأ بقراءته ويقع في ذلك الزيادة والنقصان والتحريف والتبديل فقيل ذلك لعثمان إنهم يختلفون في القراءة ويزيدون في الكتاب وينقصـــون ويتضاغنون في ذلك ويقع بينهم الشر والأخذ بالعصبية ولا نأمـــن أن يتطاول الأمر ويتفاقم فيقع بينهم القتل ويفسد الكتاب وترجع الـــردة فبعـــث عثمان فجمع كل ما أمكنه من تلك الأدراج والرقاع وما كتب أولاً ولم يتعرضوا لما في يد علي بن أبي طالب من مصحفه ولا لمـــن كـــان يقرأ بقراءته ولا دخل معهم في هذا التأليف. فأما أبي بن كعـــب فمات قبل هذا التأليف وأما ابن مسعود فطلبوا منه أن يدفع إليهم مصـــحفه فـــأبى فصـــرفوه عن الكوفة واستعملوا أبا موسى الأشعري وأمـــروا زيـــد بن ثابت الأنصاري وعبد الله بن عباس وقيل محمد بن أبـــي بكر بتأليفه وإصلاحه وحذف الفاسد منه وكانا حديثي السن وقالوا لهمـــا إذا اختلفتما في شيء أو لفظة أو اسم فاكتباه بلسان قريش فاختلفا فـــي أشياء كثيرة منها التابوت قال زيد هو التابوه وقال ابن عباس بل هـــو الـــتابوت فكتـــباه بلسان قريش ونظائر هذه كثيرة فلما جمعوا هذا

التألـــيف على ما في هذه المصاحف كتبت أربعة مصاحف بخط جليل ووجـــه أحدهـــا إلى مكة وخلف آخر في المدينة ووجه آخر إلى الشام وهو اليوم بملطية باقٍ ولم يزل ذلك المصحف الذي كان بمكة إلى أيام أبـــي السرايا فلما كان في تلك الأيام وهو آخر سلب سلبت الكعبة (سنة 200 هجـــرية) ليس ابن السرايا سلبها بل في تلك الفتنة فقد قيل احترق في ما احترق وأما مصحف المدينة ففقد في أيام الحيرة وهي أيام يزيد بـــن معاويـــة ووجه المصحف الرابع إلى العراق وكان بالكوفة وهي يومـــئذ قـــبة الإســـلام ومجمـــع المهاجرين والصحابة ويقال أن ذلك المصحف باق إلى اليوم بالكوفة وليس بصحيح بل فقد في أيام المختار ثـــم أمـــر بجمع ما جمع من تلك المصاحف والأدراج التي جمعت من الـــبلاد وكتب إلى العمال أن يجمعوا ما أمكنهم منها وينقضوه حتى لا يعلـــم أن أحداً عنده منها شيء وتوعد المخالف منهم فكل ما صار إليهم غلـــوا له الخل وسرحوه فيه وتركوه حتى تقطع واهترى ولم يبق شيء يعلـــم إلا متفرقاً مثلما قيل عن سورة النور أنها كانت أطول من سورة الـــبقرة وكما قيل أن سورة الأحزاب مبتورة ليست بتمامها وكذلك قالوا فـــي براءة أنها لم يوجد بينها وبين الأنفال فصل يعرف فلم يفصلوهما بسطر بسم الله الرحمن الرجم ومثل قول ابن مسعود في المعوذتين لما أثبـــتوهما في المصحف لا تزيدوا فيه ما ليس فيه ومثل قول عمر على المنـــبر لا يقولن أحد أن أية الرجم ليست في كتاب الله فأنا قد كنا نقرأ «والشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة» فلولا أن يقال أن عمر قد زاد فـــي القرآن ما ليس فيه لزدتها فيه بيدي ومثل قوله في آخر خطبة

خطــبها أنـــي لا أعلم أن أحداً قال أن المتعة ليست في كتاب الله بل قد كــنا نقرأ آية المتعة ولكنها سقطت فلا جزى الله من أسقطها خيراً فأنه أؤتمن فما أدى الأمانة ولا نصح الله ولا رسوله فقد اسقط المموَّه عليه من القرآن شيئاً كثيراً وقوله أيضاً وما كان عليه أن يرخص الله للناس وإنمــا بعــث محمــداً بالدين الواسع وقال أبي بن كعب سورتان كانوا يقــرؤونهما فيه وإنما قال هذا في التأليف الأول ولم يدرك هذا التأليف وهمــا ســورتا القــنوت والوتــر وهما اللهم أنا نستعينك ونستغفرك ونســتهديك ونؤمن بك ونتوكل عليك إلى آخر الوتر. وكذلك آية المتعة فإن علياً كان أسقطها بتة وقيل أنه سمع رجلاً يقرأها على عهده فدعاه وضــربه بالسوط وأمر الناس إلا يقرأها أحد فكان هذا بعض ما شنعت به عليه عائشة يوم الجمل وقد أدخلت منزل عبد الله بن خلف الخزاعي فقالت في بعض قولها إنه يجلد على القرآن ويضرب عليه وينهى عنه وقد بدل وحرف. وبقي مصحف عبد الله بن مسعود عنده فهو يتوارث إلــى الساعة وكذلك مصحف على بن أبي طالب عند أهله ثم كان من أمر الحجاج بن يوسف ما كان أنه لم يدع مصحفاً إلا جمعه وأسقط منه أشياء كثيرة ذكروا أنها كانت نزلت في بني أمية بأسماء قوم وفي بني العباس بأسماء قوم وزاد أشياء وكتبت نسخ بتأليف ما أراد الحجاج في ستة مصاحف فوجه واحد إلى مصر وآخر إلى الشام وآخر إلى المدينة وآخــر إلــى مكة وآخر إلى الكوفة وآخر إلى البصرة وعمد إلى تلك المصاحف المتقدمة فغلى لها الزيت وسرجها فيه فتقطعت واحتذى في ذلــك بما فعله عثمان. والدليل على ما كتبنا أنك الرجل الذي قد قرأت

كتــب الله المــنزلة وأنت تعلم كيف انتسقت الأخبار وكثر التخليط في كــتابك الــذي هو دليل على أن الأيدي الكثيرة قد تداولته واختلفت فيه الآراء وزيد فيه ونقص منه وكل قال ووضع ما أرد وهوي وأسقط ما كــره وســخط أفهــذه عندك أكرمك الله شروط كتب الله المنزلة سيما وصــاحبك أعرابي خلف[1] يأوي البادية فخطر خاطر في قلبه فسجعه بلســانه وصار به إلى قوم بدو فتقرب به إليهم وهم يشهدون في كتابهم أن الأعــراب اشــد كفراً ونفاقاً ومن هو أشد كفراً كيف يؤخذ عنه سر الله ووحــيه وتــنزيله على نبيه وأنت تعلم ما كان بين علي وأبي بكر وعمــر وعثمان من الإحنة والعداوة فقد زاد هؤلاء ونقصوا وزاد هذا ونقص وإنما كان كل واحد منهم يريد الخلاف على صاحبه ومناقضته قولــه ومباراته فمن أين نعلم أي الأقوال هو الصحيح وكيف يمكن لك أن تمــيزه مــن الســقيم وقد زاد فيه الحجاج ونقص منه وأنت عارف بمذهــب الحجــاج في جميع أموره فكيف تستوثقه في كتاب الله وتعدله وتأمنه على ذلك وقد كان الرجل الذي يتقرب إلى بني أمية بكل ما يجد إلــيه سبيلاً. هذا وقد كان اليهود البهت مخالطين لهم وكان بعضهم قد أظهــر لهم الدخول معهم في المقالة وإنما كان ذلك مكراً منه وخديعة وحــيلة للفساد وتدبراً منه عليهم ليبطل الأمر ويضمحل فهذا أصلحك الله أصــح دلــيل وأوضح برهان لا يحيل إلا على من قد أعمى الجهل بصره وطمس على قلبه وإلا فأية حجة أو أي شي من الشرح أكثر مما قــد شرحنا، ولولا أنك الرجل الذي قد قرأت كتب سرائر الله ودرستها

---

(1) في الأصلية خلق

حـــق دراســـتها وأن الإنصاف أصل شيمتك لما شرحنا لك هذا الشرح والحـــق رحمك الله فيه بعض المرارة عاجلة وحلاوة كثيرة آجلة فلهذا الســبب قد اكتفينا بما ذكرناه فأصبر للمرارة اليسيرة من الدواء تعقبك حلاوة كثيرة في العاقبة على أنك تعلم وكل من ينظر في كتابنا هذا أننا لــم نكتــب إليك بشيء زيادة على ما في كتابك من ذات أنفسنا بل ولم نثبــت إلا الصـــحيح ممـــا نقلته رواتكم العدول الثقات عندكم المأخوذ بقولهــم المعــول في الدين على ما نقلوه من هذه الأخبار وغيرها في صـــحتها وأنهـــم لـــم يتزيدوا فيها ولا مالوا إلى أحد الفريقين وقد ثبتنا صـــدقهم وعرفنا حقيقة ما نقلوه بما شاهدنا من الكتاب أنه إنما هو كلام منـــثور لا نظـــام لــــه ولا تأليف ولا معنى يتسق بل هو متناقض كله يـــنقض بعضـــه بعضاً فقد صح عندنا وعند كل ذي لب أن الذي نقلوه إليـــنا من خبره هو على ما حكوه ولولا كراهيتنا للتطويل لشرحنا من تناقضـــه وتفاوت معانيه وأخبار أصل جمعه أكثر مما شرحنا ولكن في مـــا أثبتنا كفاية لذوي الألباب والعقول ومن أراد نصح نفسه فأي جهل أعظـــم مـــن جهـــل من أدعى أن هذا الكتاب حجة ودليل لمن جاء به وشاهد لنبوة نبي مبعوث مثل فلق البحر لموسى وأحياء الموتى وإبراء الكمـــه وتطهير البرص لسيدنا والهنا المسيح مخلص العالم أن هذا حقاً لجـــاهل مائق لأنه لم يعقل كيف يشبه ويقرن بين الأشكال على أني لا أظن أحداً به أدنى مسكة من عقل أوله أدنى تمييز يجترئ أن يفكر في هـــذا فضلاً عن أن يتفوه به ولم يخطر مثل هذا قط إلا على بال غبي غـــارب العقـــل مخـــتلس اللب ضعيف القلب. افتراك أعزك الله تحمل

نفســك في صحة عقلك ودقة نظرك وكثرة فحصك على أن تحتج بمثل هــذا الكــتاب مع ما قد عرفت من أخباره وأسباب أصوله فهذه حجة منكسرة عند مثلي من ذوي التفتيش وباحث على أصول الأخبار. وأنت تعلــم أنـــي الرجل الذي قرأت الكتب وعنيت بمعرفة الأصول وكيف كانــت مــن أولهـــا إلى أخرها وأن المبهرج من الأخبار والمدلس من الأحاديــث غير جائز على من مثلي ولا نافع عندي. فأخبرني أصلحك الله عــن قــول صاحبك «قل لئن اجتمعت الأنس والجن على أن يأتوا بمــثل هــذا القــرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً» (أســرى) أفــتقول أفصح ألفاظاً منه فجوابنا لك في هذا نعم أفصح منه كــلام اليونانية عند الروم والزوبة عند أهل فارس والسريانية عند أهل الــرها والسريانيين وعبرانية بيت المقدس عند العبرانيين فإن كل لسان له كلام فصيح عند أهله من سائر الألسن ولهم ألفاظ فصيحة يتخاطبون بهـــا وهـــي عـــندك كلها أعجمية كما أن لسانك العربي الفصيح عندك أعجمـــي عـــندهم هذا إذا أطلقنا قولك أن كتابك أفصح ألفاظاً بالعربية وذلك أن صاحب فصاحة الألفاظ بأي لسان كان هو الذي لا يحتاج إلى اســتعارة ألفـــاظ غـــيره ولا يســتعين بها في خطبه وكلامه بل يكون مســتغنياً بمعرفــته وفصاحته عن لسان غيره ونحن نرى صاحبك قد افــتقر في كتابه إلى استعمال لسان غيره وهو القائل «أنا أنزلناه قرآناً عربــياً لعلكــم تعقلــون» وقد خاطب به أعراباً عاربة فصحاء بلغاء أصـــحاب خطاب كقوله الإستبرق وسندس وأباريق ونمارق وأشباه هذه التي أنما هي ألفاظ فارسية ومثل المشكاة فإنها لفظة حبشية وهي الكوة

ومثل هذا كثير قد استعمله في كتابه فنقول أن العربية ضاقت عليه فلم يكـن فـيها من الاتساع مالا يلجأ معه إلى لسان غيره في هذه الأشياء سـيما وأنـت ترى أنها منزلة من عند رب العالمين على يد جبرائيل الملك الأمين. فإما أنك توقع النقص بالمرسل أو بالرسول فإن كان من عـند صاحبك فوقع النقص به لأنه لم يكن يعرف هذه الأسماء العربية ولـم يـدرك علمها فلذلك أعجزته فهذه ألفاظ أمرؤ القيس وغيره من الشـعراء والفصـحاء والمتقدمين والمتأخرين الذين لا يحصى عددهم وكـلام الخطباء والبلغاء الذين كانوا قبل مجيء صاحبك أفصح ألفاظاً مـنه وأرق وأدق معاني بإقراره لأهلها حيث حاجوه فقطعوه فقال «بل هـم قوم خصمون» لأنهم خصموه فكانوا خصماً بأصح حجة وأبلغ في الخطابـة مـنه وهـو القائل أن من البيان لسحراً فلا يخلو إذاً أمر هذا الكتاب وما وضع فيه من الألفاظ الأعجمية من أن يكون قد ضاق على صـاحبك اللسان العربي مع علمنا نحن وأنت بأن لساننا العربي أوسع الألسـن كلهـا أو أن يكـون قد أدخلت فيه الزيادة من قوم آخرين كما ذكـرنا لـك فـي أصل خبره وأن الأيادي الكثيرة قد تداولته فأخبرني أصلحك الله أي القولين أحببت فأنه لا محيص لك من أن تقول بأحدهما وأنـت عـارف بنتيجة ذلك إذا قلته فإن قلت أنهم لا يقدرون أن يأتوا بمثل تنضيده وترصيعه قلنا لك أن تنضيد الشعراء لشعرهم ووزنهم له الوزن الصحيح الذي هو أصعب وأدق معنى لا يغادر بعضه فيه بعضاً واختـيار الألفـاظ النقـية الصافية العربية الخالصة مع انتساق المعنى الحسـن أكمـل في الإحكام وأضح في الصنعة لأن كتابك كله إنما هو

سجع منكسر وكلام مختلف وتكبير معان لا معنى لها. فإن قلت بل هو أصح معاني سألناك أي معنى غريب ظفرت به فيه أدللنا عليه وأعلمنا بـــه حـــتى نتعلمه منك وأي معنى صحيح وجدته فيه وغريت بمعرفته أخـــبرنا به وأوقفنا عليه أو أي خبر لم نسمعه على غاية التمام والكمال من الشرح والصحة في شيء من الكتب المتقدمة استفدته منه أليس هو الـــذي قـــرأناه ودرسناه وعرفنا تفسيره ووقفنا على معانيه وبحثنا عن أصـــوله وأسبابه وفتشنا عن خبره فصرنا في العلم به أرسخ من كثير مـــن أهلـــه وأي شيء هذا من الآيات العجيبة التي يعجز فعلها إمكان الآدميـــين حـــتى تصـــير حجة ودليلاً على بعثه نبياً يوجب الإقرار له بالرسالة والنبوة والإيمان على الوحي والتبشير من عند الله حتى يقاس بـــه أو يرى فيه آية مثل فلق البحر وأحياء الموتى وسائر آيات الأنبياء العجيـــبة وإنما صار هذا كذلك وجاز عليك بالتدليس والبهرجة ووصفه بالفصـــاحة وحســـن التنضـــيد وجودة الإعراب وأن الإنس والجن لا يقـــدرون على أن يأتوا بمثله لأنه وقع إلى قوم أميين أنباط سقاط عجم علـــوج فعظـــم فـــي أعينهم وكبر في صدروهم وإلا فأنت إذا أصدقت نفســـك تيقنـــت كـــيف كان أصل القصة في هذا وأن مسيلمة الحنيفي والأســـود العنسي وطليحة ابن خويلد الأسدي وغيرهم قد عملوا مثلما عمـــل صـــاحبك وأشهد أني قرأت مصحفاً لمسيلمة لو ظهر لأصحابك لـــرد أكثرهم إلا أنه لم يتهيأ لهؤلاء أنصار مثلما تهيأ لصاحبك وكأني بـــك قد لجأت فذكرت اللغة واعتددت بها وجعلتها خبئة لك تستتر تحت فيـــئها فأنـــت تعلم أن حجتنا في اللغة وحجتك واحدة والأمر بيننا فيها

مشـــاع غير مقسوم وأننا فيها شركاء فليس لك علينا فيها فضل ولا في يـــدك مـــنها ما ليس في أيدينا ولا علمك بأنفذ فيها من علمنا وأنك لتقر طائعـــاً أننا معشر العرب نرجع جميعاً في اللغة إلى يعرب بن يشجب بـــن ثابـــت بـــن إسماعيل أبينا وإنما هذه الحجة المبهرجة هي دعوى مدلســـة تجوز على الأنباط والأسقاط والعجم والمغفلين والأغبياء الذين لا معـــرفة لهم باللسان العربي وإنما هم فيه دخلاء فلما ورد عليهم منه مـــا لـــم يفهموه صدقوه وتناولوه على قدر عجمتهم فأما العرب العاربة كلهـــا الذيـــن هم البدويون فلسانهم واحد ولغتهم واحدة وكل منهم يفهم كـــلام صـــاحبه وأمـــا أهل الحضر ومن نشأ بين الأبيات من الأسقاط والأنباط وخالط العجم والأعلاج فلعمري لقد أفسد بعضهم كلامه لطول المعاشـــرة وغلبة العادة فليست بك حاجة إلى ذكر اللغة ولا لك في ذلك بلغـــة ولا ملجأ. فأن قلت أن قريشاً أفصح العرب وأنهم قوم خصمون بالحجـــة وهم فرسان البلاغة والخطابة عارضناك بما لا تقدر أن تنكره ولا تجحـــد صـــدقه وهـــو أن مليكة بنت النعمان الكندية حين اقتنصها صاحبك وصارت عنده قالت «أمليكة تحت سوقة» فأنت ونحن لا نشك أن قريشـــاً كانت تجار العرب وسوقتها وكندة كانوا الملوك والمسلطين علـــى ســـائر العرب ولست أقول هذا افتخاراً عليك بشرف جنسي من الكندية ولا لموضع نسبي في العربية بل لكي تعلم أن كندة كانوا أقوياء فصـــحاء بلغـــاء خطـــباء شعراء رجالاً للملك وقادة للجيش ذوو أنعام وأفضـــال حـــتى لقـــد كانـــت العجـــم من الروم والفرس يرغبون في مصـــاهرتهم ويفـــتخرون بحمل بناتهم إليهم هذا ما لا يدفعه إلا جاهل

ولقــريش من الفضل والسؤدد والكرم وخاصة لهاشم مالا ينكره إلا من قد أعمى الحسد بصره وطمس نور عقله وكذلك قولي في جميع العرب وسائر قبائلهم لأن لهم الفخر والسبق بالفضل والكرم تخصيصاً من الله علـــى ســائر العجم. فأن أدعيت أن كلام العرب مدون في الشعر وأن أخــبارها قــد قيدت به فلا نماريك فيه ونسلمه لك ولا نلتفت إليه وذلك قلـــة اكــتراث لهذا القول وقلة مبالاة به لأنه قول لا يخفى فساده على ذوي الألباب وتدحض الحجة فيه ولا تثبت عند أهل النظر لأننا قد نجد كــل مشــغوف مصروف ودعي أعجمي قد قال الشعر فإذا نحن قرأنا شــعره بشــعر غــيره من العرب العاربة أهل اللسان البدوي لم نجده مختلفاً عنهم ولا مجانباً لهم بل وجدناه سالكاً سبلهم محتذياً منهجهم وإذا كان هذا كذلك فليس تدوين العرب إذاً أخبارها وتقييدها كلامها بالشعر حجة في كتب سرائر الله للقائل بها حجة ناطقة لأنه لا يؤمن أن يكون قد قيل من الشعر ما قد أشبه به شعر القدماء من العرب بما قد وقع فيه مــن الفساد والتغيير والزيادة والنقصان فليس إذاً الشعر حجةً عند أهل الفحــص والــنظر ولا دعوى صحيحة بل هو عند الحكماء والفلاسفة هذيــان الموسوســين غير أننا معشر العرب نقدم الشعر ونؤثره ونقول بمحاســنه ومفاخــره ونذكر فضائله ونعلم أن ديوان العرب فيه آداب كثــيرة وعلوم ظريفة وأحاديث عجيبة ولا نشك عند تحملنا الأمور إن صــدقنا أنفســنا أنه قد أفسد وأدخل فيه ما ليس منه بالتشبيه والمقايسة لأنه كلام لا يخطر عليه وإنما هو منصور من خواطر النفوس الفارغة وشــاع بين الناس جميعاً يتناوله من أحب وينال من طلبه تقرباً به إلى

الملوك للاكتساب والمواصلة إليهم بأسبابه فلهذا احتمل أن يدخله الفساد والتغيير والزيادة والنقصان فليس إذن الشعر حجة البتة في شيء من كتب سرائر الله إلا لغة فاسدة ناقصة العقل فاقدة التركيب. فلا تظلم أصلحك الله عقلك وتبخس تمييزك حقه بغلبة سلطان الهوى الجائر والعصبية فإنه إنما يجوز مثل هذا على الأغمار والجهال والآفنين وأهل النقص في الرأي الذين لا عقل لهم ولا معرفة عندهم ولم يستخرجوا بمطالعة الكتب ومعرفة أصول الأخبار المتقدمة فهم همج كأجلاف الأعراب المعتادين لأكل الضب والحرباء قد ربوا على الفقر والمسكنة وشقاء العيش في البوادي والبراري تسفعهم سمائم الصيف وزمهرير الشتاء وهم في غاية الجوع والعطش والعري فحيث لوح لهم بذكر أنهار خمر ولبن وأنواع الفاكهة واللحم الكثير والأطعمة والجلوس على الأسرة والاتكاء على فرش السندس والحرير والاستبرق ونكاح النساء اللواتي هن كاللؤلؤ المكنون واستخدام الوصائف والوصفاء والماء المعين المسكوب والظل الممدود التي هي صفات منازل الأكاسرة وقع هذا في خلدهم وكان بعضهم قد رأى ذلك في اجتيازهم ومسيرهم إلى أرض فارس استطاروا فرحاً وظنوا أنهم قد نالوه فعلاً عند سماعهم إياه قولاً وظفروا به فحملوا نفوسهم على محاربة أهل فارس لأخذ ذلك منهم وظفرهم به. وقد علمت أن بعضهم قال لبعض في حربهم تلك وقد ظفروا بسلال فيها حلوى من خزائن الفرس فلما أكلوا وتطعموا حلاوة ما فيها قالوا: «والله لو لم يكن لنا ديانة نحارب فيها لوجب أن نحارب على هذا» فحاربوا أمة نجسة

قـــذرة قـــد كانت طغت على الله وتجبرت فسلط جل وعز عليهم من لم يفكـــروا فـــيه قط فقتلوهم وأخربوا بيوتهم بما كانوا يظلمون ويسفكون الدمـــاء الزكية وكذلك حكم الله وفعله بالقوم الظالمين ينتقم ببعضهم من بعض ومثل الأنباط والأسقاط الذين لا خلاق لهم قوم إنما غذوا بالشقاء وربوا مع البقر في السواد جورة[1] الحمير الذين لا أدب لهم ولا حسنى ولا علـــم ولا معـــرفة فحيـــث تكلمـــوا بالعربية تنطقوا ببسط ألسنتهم واســـتعربوا عـــند أنفسهم واستطالوا على الناس فأحدهم يدعي الإسلام قـــولاً بلســـانه وفـــي قلبه بعض من مرض يهوديته ومجوسيته فهو لا يعـــرف مـــن خلقـــه ولـــو قيل له ما الحد الذي تفرق به ما بين نفسك وخـــالقك والبهيمة لم يدر ولم يحسن أن يميز ولا يعلم ما هو ولا كيف هـــو الجـــواب فيه وإنما هم كالأنعام بل وأضل سبيلاً وكالبهائم الهائمة علـــى وجوهها يميلون مع كل ريح ولا يعلمون حقيقة ما دخلوا فيه مما كـــانوا عليه أولاً مثل عبدة الأصنام والمجوسية وأوساخ اليهود وسفلتهم الذيـــن إنما طلبوا التعزز بالدولة والتطاول على الناس بالسلطان وبسط ألســـنتهم علـــى ذوي الأقدار وأولاد الأحرار وأهل الحسنى والمعرفة وأهـــل الديانـــة والعلم والمروءة والصيانة والشرف والنسب ومثل أهل الريـــب والخـــيانات أيضـــاً والجـــرائم الذين لم يكن يتهيأ لهم ارتكاب المحـــارم ونكـــاح الفروج التي حرمها الله عليهم مع بقائهم في الديانة النصرانية إلا بانصباب ذلك لهم بالدخول في هذه المقالة ومثل من أباح لنفســـه غايـــة الشـــره على الشهوات الجسدانية فمال إلى الدنيا ولذاتها

---

(1) جمع جائر وهو الحائد عن طريق السواء

وزخرفـــتها طلـــباً للعز القليل الزائل الفاني وشيكاً الذاهب سريعاً منها وطـــرحاً للكثـــير الدائـــم الباقي الذي لا انقطاع له ولا زوال وهو في الآخرة فانحاز إلى هذا القول وجعله سبباً له وسلماً أوصله إلى ما أراد إذ كـــان أقوى أسباب الدنيا يعبر منها ويعول عليها التي جعل سلطانها بـــاب المدخـــل إليها والسبيل إلى ارتكاب الكبائر والمعاصي فيها ومال أيضـــاً إلـــى هذه المقالة من جعلها متجراً ومكتسباً لرزقه الذي قد كفاه ولقوتـــه الذي قد فرغ له من الاهتمام به وألا فهل رأيت أكرمك الله أو بلغك أن من له بصيرة في الديانة أو علم أو معرفة أو تحصيل للأمور أو قـــراءة الكتـــب وتفتـــيش لها واعتقاد صحيح أو نظر في حكمة أو مدعـــي فلســـفة صـــحيح العقل والفكر انقاد إلى غير الديانة النصرانية وخـــرج مـــنها جاحداً مقالته ناكراً معرفته من غير سبب دنيوي دعاه الاضـــطرار إليه ليجري بدينك وسلطانك على ما يريد من ركوبه وما تـــنازعه إلـــيه نفسه من الأمور الخسيسة التي كانت الديانة النصرانية تحظـــرها عليه وتمنعه من الدخول فيها وتقبح له فعلها بل من لم يكن يتهـــيأ له ذلك ولا يمكن فعله دخل في دين هو مطمئن فيه لما يريد من ذلك آمناً غير خائف تحت سلطان هذه الدولة مظهراً متابعة أهلها على قولهـــم. فهـــذه أكرمك الله أقوى أسباب هؤلاء الذين تراهم قد وافقوك على مقالتك واجتمعوا معك على اعتقادك وأكثرهم يعتقدون ويضمرون ويسّرون خلاف ما يظهرونه فمنهم من يزري على صاحبك في حسبه ونسبه ومنهم من يسبه ويدعي في ذلك الكذب والبهتان ومنهم من يزعم أن غيره كان أحق بالأمر منه ولكنه وقع إليه ذلك بالغلط وبعض يقول

أن الـــروح القـــدس أنقســـم ثلاثة أقسام فقسم كان في عيسى وقسم في موسى وقسم في رجل آخر أكره ذكره.

وإن صاحبك خلو من ذلك فهؤلاء عندي أجهل البرية وأشر من الـــزنادقة وأردأ مذهباً منهم وهم يظهرون الإسلام ويفتخرون به في ظاهـــرهم وكل ذلك ليتعززوا بسلطان الدولة على النصارى السليمة قلوبهـــم المشبهين الحملان بين الذئاب الخاطفة كما سبق قول سيدهم ومسيحهم ومخلصهم الذي أعلمهم بما هو مزمع أن يكون من أمرهم. ولـــو أســـهبت لأصـــف لك مقالات أصحابك ومعاذ الله أن يكون لك أصـــحاباً بـــل هـــم أصحاب الشياطين وحزبه وشيعته وأولياؤه وما يـــروونه مـــن الأحاديث الكاذبة الشنيعة التي تكاد تخزي الجبال منها للفرية التي فيها على الله جل ذكره أولاً ثم على صاحبك وما يقذفونه بـــه مـــن الأباطيل ويشنعون عليه به من الكذب الذي لم يخلق الله له أصلاً وصاحبك بريء منه كله لطال كتابي بذكره. فما قولك في من يـــروى عـــنهم أنهم يقولون لربما هوينا أمراً فوضعنا فيه حديثاً وما أظـــنك ممـــن يروي أن الله جل وعز عما يفترون بعث إلى أبي بكر يقول: «يا أبا بكر أما أنا فراض عنك فهل أنت راض عني» فحسبك بهـــذا دليلاً على فريتهم على الله جل وعز وكذبهم وشنيعتهم وكم مثل هـــذه الأحاديـــث قد زوروها وألفوا عليها فلعمري لقد صدق صاحبك حيـــث قال أنه ما من نبي إلا وقد كذبت عليه أمته وأن أمتي ستكذب علـــي أيضـــاً ولكني لا أعرف أمة كذبت على نبيها كذب اليهود وما أدري مـــا أقـــول فـــي هـــؤلاء وفي كذبهم. وأما الخلاف في الأذان

والتكبـــير في الجنائز والتشهد وصلاة الأعياد وتكبير التشريق ووجوه القـــراءات ووجوه النسيء والفتيا وما أشبه ذلك فإنه أمر يطول خبره جـــداً ولـــولا أنني أعلم أنك الرجل الذي قد فتشت أحاديثهم وانتقدتها وعرفت جميع عوارها وانكشفت لك مجاريها لكتبت إليك في هذا الفن أشـــياء يطول الخطب فيها لكني أعرفك عالماً بجميعها غير شاك في ذلـــك وقد سبرت الدولة وظاهر قول الديانة واسم الإسلام والتحلي به والأعاجيـــب مـــن اعتقادهم وكذبهم على الله وأنبيائه ورسله وأوليائه وعباده الصالحين وما يكتمون من النفاق ويظهرون أنهم النقية قلوبهم السـليمة صـــدورهم وهـــم الدغلون الغاشون لله جل ذكره ولأنبيائه ورســـله إذ كانوا يروون عن الله مثل هذه الأحاديث فكيف لا تأخذهم الـــرجفة وكيف لا تطبق عليهم السماء بالسخط والعذاب وهم ينطقون بمـــثل هـــذه العظـــائم ولكنه جل وعز لم يزل مستعملاً طول الإناءة والإمهـــال لأنـــه جـــل اسمه لا يخاف الفوت وهم إليه يرجعون فهو يمهلهـــم إلى يوم تنكشف فهي الستور ونعوذ بالله أن نكون من القوم الظالميـــن. وأما قولك أصلحك الله أنه مكتوب على العرش لا إله لا الله محمـــد رســـول الله فلقد كثر تعجبي منك كيف جاز هذا عليك في فطنتك ودقة عقلك وصحة فكرك وكيف أمكن أن تتصور مثل هذا في عقلك أنه صحيح حتى ترويه وتكتب به إلي مثلي من أهل اليقين ومن تعرفه بصحة الانتقاد وشدة الاعتبار وجوابك في هذا عندي مما يتمثل بـــه العامة أنك تخدع نفسك وتضع من عقلك وذهنك لأنك في حكمتك لـــم تترك شيئاً للمشبهة اليهود الذين يحدّون الله ربهم أنه جالس على

عــرش محدود فلم ترض أن أجلسته على عرش محدود حتى تكتب علــى العــرش اسمه واسم آخر من خلقه ليت شعري أهو كتب ذلك الكــتاب أم كتــب له ولك كتب ذلك لنفسه لئلا ينسى اسمه أم لتعرفه الملائكــة فقــد كانت عرفته الملائكة حين أراد خلق النور فقال ليكن الــنور فكان النور وعند ذلك مدحته وسبحته قائلة سبحان خالق النور وعلمــت أنها مخلوقة وأن لها خالقاً فتلك المعرفة في الملائكة قائمة غير زائلة بأنه خالقها وليس لها حاجة إلى أن يكون لها كتاب نصب أعيــنها يذكــرها لئلا تنسى اسم خالقها وهي تسبح اسمه وتقدسه من غــير فتور ولا انقطاع وتنفذ أمره جل وعز في كل لحظة وإن كان إنمــا كتب ذلك للناس فهم غير منتفعين به لأنهم لم يروا ذلك العرش ولا قرأوا ما عليه من الكتابة، فإن قلت أن ذلك كتب ليقرأ يوم القيامة فأقم لنا دليلاً وبرهاناً على ذلك صحيحاً مقنعاً على أنك تعلم أن الناس كلهــم يــوم القــيامة يعطون المعرفة الكاملة بخالقهم وتبطل في ذلك الوقت الشكوك وتضمحل الظنون كلياً ويحصلون على اليقين الصحيح في يوم لا ريب فيه تجزى كل نفس بما كسبت فلها شغل بما هي فيه فقــد هدر قولك وتهافت دعواك أن على العرش مكتوباً لا إله إلا الله محمد رسول الله وبعد فلم أر أحداً من أصحابك يوافقك على ذلك ولا يطــابقك علــى رأيك بل كلهم وأكثرهم الراسخون في العلم يبطلونه ويــردونه أشد رد ويكذبون به أعظم تكذيب وأنه محال لم يأت ذكره فــي الأثــر ولا له في كتابك الذي زعمت أنه منزل من عند الله عز وجــل ذكر البتة فليت شعري من أين جئتنا أنت به بل أخاف يرحمك

الله أن تكــون أخذته من سماجات اليهود فإن لهم مثل هذا وشبهه من التشنيعات التي قد وضعوها ودسوها إليكم بلطيف حيلهم ورقة كيدهم فــي الإدغــال طلباً للمعائب والمكايدة وإلقاء الشرور بين الناس فإن صـــدقت نفسك أصلحك الله علمت حقاً أن هذا محال لا معنى له ولا مـنفعة وأن الله فــي حكمــته لا يفعل المحال وما ليس له معنى وقد وجدنـــا إجمــاعكم على أن الرجل إذا قام خطيباً فيكم يبالغ في دعائه ويظــن فــي نفسه أنهُ قد بلغ الغاية القصوى في خطبته فيفتتح كلامه قــائلاً «اللهــم بــارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهــيم وآل إبراهــيم» فأراك أبقاك الله ظننت أنك قد بالغت له في الدعــاء والصـــلاة علــيه إذ تمنيت له وطلبت متشفعاً أن يصير مثل إبراهيم أو كأحد آل إبراهيم فهذا أصلحك الله نهاية الشناعة أن رجلاً اسمه مع اسم الله جل ذكره وتقدست أسماؤه مكتوب على العرش من نور وأن آدم بل الدنيا كلها إنما خلقت بسببه كزعمكم تتمنى له اللحاق بــرجل مــن آل إبراهــيم ممــن قد علمت وأكره ذكر اسمه في هذا الموضـــع وكــتابك الــذي تزعم أنه منزل من السماء يشهد ويكرر الشــهادة في عدة مواضع قائلاً «يا بني إسرائيل أذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين» (بقرة) فقد وجب عليك في هــذا القول أن بني إسرائيل أفضل منك وممن ذكرته بالفضائل وإنما كــان عهــدي بمثل هذه الشناعات من عمهة اليهود ولم أظن عقلاء المســلمين يعــتقدون بمــثل هــذا وشبهه وجواباً لك أرشدك الله في الماضي والمستأنف من كتابنا هذا على قدر ما يحتمل من الكلام على

أنّا قد وضعنا النصفة بيننا وبينك أساساً لكلامنا وطرحنا التطاول بالسلطة والبذخ والتفاخر والأنساب لأنا إذا حصلنا على العلم بأنفسنا وصدقناها عرفنا إنه ليس لأحد على صاحبه فضل في النسب وأننا نرجع إلى أب واحد وأم واحدة وجميعنا خلقنا من طينة واحدة ليس لحم أطيب من لحم ولا دم أطيب من دم وإنما التفاضل والتقدم بالعقول والعلوم ولقد أحسن عندي القائل قيمة كل امرء ما يحسن من علمه وعمله وإني كثيراً ما استصوب هذا الكلام من قائله وإنما أدخلت هذا القول في هذا الموضع وإن كان ليس من جنس ما نحن بصدده حتى إذا نظر في كتابي ناظر متعنت ينظر بعين العماهية والجهالة التي ثمرتها الحسد لا يسبق إلى قلبه لضعفه وركاكته أني لم أكن عارفاً من حقكم أهل البيت ما أعرفه وأوجب ما أوجبه فكيف وأنا معتقد ذلك بجميع ذرية آدم ولكنني استعملت ما قاله بعض الحكماء أن ترك الجواب في موضعه عيّ وظلم للعقل فكرهت أن أكون ظالماً لعقلي ولم ألتفت إلى هذا الحاسد وهذيانه وجهله وطرحت كلامه وراء ظهري بل لم أتوهمه إلا عدواً فضلاً عن التفاني إليه.

وأما ما دعوتني إليه من الصلوات الخمس وصيام شهر رمضان فالجواب في ذلك إقرارك بلسانك في كتابك وما خططته بأصابعك من أمر صلواتنا وصومنا ومواظبتنا فقد رأيت ذلك معاينة وسمعته وشاهدت تلك الأمور الإلهية المخالفة ما دعوتني إليه من الأمور المبهرجة المدلسة فاكتف أكرمك الله بما رأيت وليكن لك دليلاً وجواباً

فلســت أجيبك في هذا بأكثر مما عندك من المعرفة وكفاك بذلك حجة عند نفسك.

وأمــا قولك أن نستعمل الوضوء ونغتسل من الجنابة ونختتن لنقيم ســنة أبيــنا إبراهيم فجوابك قول المسيح الرب لليهود وقد قالا له لم لا يغتســل تلاميذك فأجابهم الروح المحيي مخلص العالم وما[1] الذي يغني عــن البيت المظلم أن يكون في ظاهره مصباح يتقد وباطنه مظلم وإنما يجــب أن تغســل النيات والقلوب من دنس الفكر وغل الخطايا الدنسة الرجســة فأمــا ظاهــر الأبــدان فما معنى العناية في تنظيفها فيا أيها المــراؤون الآخذون بالوجوه الذين يشبهون القبور المزخرفة من خارج وفــي داخلهــا الجيف المنتنة كذلك أنتم تغسلون ظاهر أبدانكم وقلوبكم دنســة نجســة بالآثــام. وما معنى غسل اليدين والرجلين والقيام على الصلاة وعقد القلوب والنيات والضمائر على قتل الناس وسلب أموالهم وســبي ذراريهــم. فانظر أصلحك الله كيف أجابهم السيد المسيح إنما ينبغــي للإنســان أولاً أن يغسل داخل قلبه ويطهره من الأفكار الرديئة المؤديــة إلى الشرور وإلى إدخال المكروه على الناس وإذا نظفت نيته وطهــر ضــميره مــن ذلك الاعتقاد الرديء حينئذ يغسل ظاهر بدنه بالمــاء. فمــيز هذا القول أصلحك الله وانظر فيه بعقلك أليس هو قول مقنع وجواب شاف. وأما الختان فينبغي لك أولاً أن تعلم قصته ثم تحدث الــناس على ذلك وأن يمتثلوا سنة إبراهيم أبيهم فأقول أن الله جل اسمه لمــا كــان مــزمعاً أن يدخل بني إسرائيل الذين هم ولد إبراهيم أرض

---

(1) قابل مع قس ص 7

مصــر ولم يزل عالماً أن الشره سوف يحملهم على ارتكاب الفواحش التــي قــد حرمها عليهم ونجس أهلها جعل هذا سبباً لمن أراد ارتكاب الفاحشة من امرأة مصرية نظرت إلى هذه العلامة التي في جسده وهي الخــتان فامتنعــت ولم تواتيه فوسمهم الله بهذه السمة لهذه العلة فكيف تحــث الــناس على الختان وأنت تعلم أن صاحبك لم يختتن كزعم أهل مقالتك على ما نقلت الرواة عنه أنه لم يكن مختوناً بتة لأنهم شبهوه كما أدعوا له ذلك أنه كآدم أبي البشر وشيث ونوح وحنظلة بن أبي صفوان وهــذا خــبر ليس أحد من أصحابك ممن يعتقد مثل اعتقادك يشك في صــحته. فــإن قلت أن المسيح قد اختتن قلنا لك قد اختتن لإقامة سنة التوراة لئلا يرى أنه استخف أو نقص شيئاً من سنتها ثم أكد ذلك بقوله «لــم آت لأنقص بل لأتمم وأكمل»[1] وكذلك قال رسول الحق بولس[2] أن كنــتم أنمــا تختتون لأن المسيح أختتن فإن ذلك لا ينفعكم شيئاً ولا الغــرلة أيضاً تضر شيئاً مع الإيمان الصحيح والقلب السليم النقي وإلا فيجــب لك أيضاً أن تقرب القرابين وتحفظ السبت وتعمل الفصح وتقيم شــرائع التوراة كلها كما أقامها المسيح سيدنا فإنه فعل ذلك ورفعه عنا وأكملــه وأتمه بفعله إياه وكفانا مؤونة العمل بشيء منه وأغنانا بسننه الحسنة الإلهية وشرائعه الروحانية التي دفعها إلينا عن السنن التي شهد جــل وعــز على لسان نبيه قائلاً إني أعطيتكم يعني بني إسرائيل سنناً ليســت بحسنة وشرائع لن تقدروا أن تحيوا بها. فإن انصفتنا علمت أن

---

(1) قابل متى (ص 17:5)

(2) قابل رومية ص 2 و3

الخــتان لــيس هو عليك فريضة واجبة لأن كتابك الذي تدعي أن فيه شــرائع ديانــتك يذكر أن ليس الختان شريعة واجبة وإنما هو سنة من شاء استشنعها وعمل بها ومن شاء استشفها ولم يعمل بها. ومن اختتن مــن أصحابنا وأسبغ الوضوء واغتسل من الجنابة فليس يفعل ذلك لأنه سنة واجبة وفريضة لازمة عليه لا يحل له إلا القيام بها بل يفعله على سبيل العادة الجارية عند أهل الزمان والتشبه بأهل دهره الذي هو مقيم بين أظهرهم للنظافة الظاهرة لا غير لعلمنا أن من تغوط كان أحق أن يفــيض عليه الماء السابغ بقدر ما يخرج منه نتن الرائحة قبيح المنظر بخــلاف من تصيبه الجنابة التي لا لون لها منكر ولا رائحة منتنة بل يــتولد منها إنسان كامل المعرفة بالعقل والعلم يكون منه النبي المرسل والملــك المســلط والحكيم الناقد والعبد الصالح المسبح لله ليلاً ونهاراً كذلك يفعل من اجتنب منا أكل لحم الخنزير كاجتنابه أكل لحوم الحمير والجمــال لأن ذلك غير محرم عليه لأن الله لم يخلق شيئاً قبيحاً كقوله جــل اسمه في التوراة على لسان موسى نبيه في سفر الخليقة «فنظر[1] الله إلى جميع ما خلقه فرآه حسناً جداً» فالله تبارك وتعالى استحسن كل ما خلق أفأجترئ أنا وأقول عن شيء خلقه أنه قبيح أو حرام إذن أكون معانداً لله مقاوماً ما خلقه واستحسنه ومعاذ الله أن أكون لربي معانداً بل كل ما خلقه الله مما تقبله نفسي ويجوز لي في طبيعتي أكله فهو مطلق لــي ولجميع ولد آدم غير أكل الدم والميتة وما ذبح للأصنام فأنه نزل فــي تحــريمه أمــر من الله نص والسبب في تحريم الخنزير والجمل

---

(1) قابل تك (31:1).

وغـــيرها ممـــا حرم على بني إسرائيل أكله فذلك إنما حرم عليهم لعلة معــروفة مشـــهورة لأنهـــم حيث كانوا مقيمين بمصر نظروا إلى أهل مصـــر يعـــبدون الأصنام التي كانت على خلق الثيران والبقر والكباش وســـائر الغنم ألا ترى كيف أجاب موسى فرعون قائلاً له لن يجوز أن تقرب لله قرابين تجاه المصريين لأننا أنما نريد أن نقرب القرابين التي يعـــبدونها وهي آلهتهم فإذا فعلنا ذلك بين أيديهم لم نؤمن أنهم يرجموننا إذا قربـــنا آلهتهم وذبحناها فدل بهذا القول أن أهل مصر كانوا يعبدون الثـــيران والـــبقر والكباش وسائر الغنم ودليل آخر أن موسى حيث أقام فـــي طورسيناء وثب بنو إسرائيل على هارون أخيه قائلين له اتخذ لنا إلهاً نعبده فإن موسى قد أبطأ علينا ولا نعلم حاله وإنما اتخذ لهم صنماً علـــى صـــورة العجل على منهاج ما كانوا يرون من عبادة أهل مصر مـــثله فكـــان المصـــريون يعبدون هذه الخليقة من البهائم ويقربون لها القرابين مما كان خلافها كالخنزير والحمار والجمل والفرس وما أشبه ذلـــك مـــن الأشـــياء التي هي عندهم أخس في الخلقة من خلقة آلهتهم فحيـــث أمـــر الله موسى بالقرابين أمره أن يقرب له من الثيران والبقر وســـائر الغـــنم لا غير ذلك وأمر أن ينجس الخنزير والجمل والحمار والفرس ليعلموا أن هذه نجسة في أكلهم إياها فضلاً عن تقريبها لي إذا كان المصريون يقربونها لآلهتهم بل كلوا لحوم الثيران والبقر والكباش وســـائر الغنم التي كانت آلهة عند أولئك وقربوا لي منها وتجنبوا أكل الخـــنزير والجمل والحمار والفرس وما أشبه ذلك ولا تقربوا لي شيئاً مـــنها أصـــلاً لأنهـــا نجسة غير زكية لذلك السبب فزهدهم في عبادة

الثـيران والغـنم والكـباش والـبقر بإطلاقه لهم أكل لحومها وتقريب القرابيـن مـنها وزهدهم في عبادة الخنزير والجمل والحمار والفرس، ومـا أشـبه ذلك، ونفرهم منها بأن صيرها نجسة غير زكية ولم يطلق القـربان منها فحذرهم من عبادة الجميع بالقانونين جميعاً فليس الحرام والنجاسـة أن يؤكل لحم الثيران والبقر وسائر الغنم والكباش والخنزير والجمـل والحمـار والفرس بل الحرام والنجاسة أن نعبد هذه وتتخذها آلهـة مـن دونه جل وعز فأما من لم يعبدها ولم يكن اعتقاده أنها آلهة مـن دونه جل وعز أو قرب منها شيئاً للأصنام فليس ذلك بحرام عليه ولا بالـنجس عـنده ومأكلة لحوم الثيران والبقر والكباش وسائر الغنم والخـنزير والجمل والحمار والفرس حلال ورزق من الله طيب يأكله الإنسان مطلقاً ما لم تعفه نفسه أو ينفر منه طبعه فإن ترك أكل الجميع أو بعضـه فذلك إليه لا لوم عليه فيه فأما تحريم لحم الخنزير فقط من بيـن البهائم كلها وإطلاق أكل الجمل وتقريب القربان منه ولحم الحمار والفـرس الذي أتى به صاحبك فالسبب فيه من ذينك اليهوديين عبد الله بـن سـلام ووهـب بن منبه اللذين أفسدا الدنيا وأهلكا الأمة وصاحبك بريء من هذا كله.

وأمـا دعوتـك لـي إلى حج بيت الله الذي بمكة ورمي الجمار والتلبـية وتقبـيل الركن والمقام فسبحان الله ما أعظم هذا الكلام لقد جئت بأمر فري كأنك تكلم صبياً أو تخاطب غبياً أو تجادل عيياً فليت شعري أليس هو الموضع الذي عرفناه جميعاً حق معرفته ووقفنا على أصول أسبابه وكيف كانت القصة في ثباته وكيف جرى أمره إلى هذه

الغايـــة أولا تعلم أن هذا فعل الشمسية والبراهمة الذي يسمونه النسك لأصـــنامهم بالهند فأنهم يفعلون في بلدهم هذا الفعل بعينه الذي يفعله المســلمون اليوم في الحلق والتعري الذي يسمونه الإحرام والطواف ببـيوت أصـــنامهم إلى هذا الوقت على هذه الحالة فلم تزد عليه أنت شــيئاً ولا نقصت منه ذرة فإنك أخذته بذلك الفعل الذي سميته النسك متمســكاً بــتلك العادة محتذياً تلك السبل إلا أنك تفعله في السنة مرة واحــدة في وقت مختلف وأولئك يفعلونه في السنة مرتين في دفعتين معروفتيــن عند دخول الشمس أول دقيقة من الحمل وهو الربيع وفي دخولهــا أول دقــيقة مــن الميزان وهو الخريف ففي الأول لدخول الصــيف وفــي الثانـــي لدخول الشتاء فهم يضحون كما تضحي أنت وينســكون كنســكك لأصـــنامهم وإنذارهم فهذا سبب حجك ونسكك ومقــامك تلــك المقامـــات وأفعالك تلك الأعجوبات وأنت وأصحابك عــالمون أن العرب كانت تنسك هذه المناسك وتفعل هذه الأفعال في قديم الزمان منذ بنت هذا البيت فلما جاء صاحبك بالإسلام لم نره زاد فـــي هـــذه الأفعـــال ولا نقص منها شيئاً غير أنه لبعد المشقة وطول المســافة وتخفــيف المؤونـــة جعله حجة واحدة في السنة وأسقط من التلبـــية ما كان فيه شناعة والقصة هي تلك القصة بعينها التي تفعلها الشمسية والبراهمية ببلاد الهند إلى هذه الغاية وتنسك فيها لأصنامها. وأني لاستصوب قولاً لعمر بن الخطاب وقد وقف على الركن والمقام فقـــال والله لأعلـــم أنكما حجران لا تنفعان ولا تضران ولكني رأيت رســـول الله يقبلكما فأنا أقبلكما كذلك فإن كان الرواة الصادقون الذين

رووا هـــذه الـــرواية عنه كذبوا عليه أو لم يكذبوا فقد صدقوا في ما حكوه عن هذين الحجرين وإن كانوا صدقوا عنه أنه قال ذلك فلقد قال قـــولاً حقاً فكيفما أردت القول أيها الحبيب لم يخرج عن قانون الحق فأما ما يريد العائب أن يعيب به من يحلق شعر رأسه ويتعرى ويعدو ويرمـــي بالجمـــرات فهـــذا فعل من قد غرب عقله وأنكر فهمه ومن يتخبطه الشيطان فقد نجد مساغاً للعيب وموضعاً للثلب ولقد احتججنا لكـــم عـــند من ثلبكم بهذا وقلنا إنما يفعلونه من جهة التعبد وليس من التعـــبد عيـــب فأجابـــنا إن الله عز وجل حكيم ولم يتعبد خلقه بالسنن الفاحشـــة الشنعة التي تنفر الطباع منها ويستسمجها العقل بل بالسنن التـــي يستحسنها العقل ويفضلها أعني السنن الواضحة التي ارتضاها الله وفرضـــها على عباده أن يدينوا له بها ويتقربوا بإقامتها إليه وإلا فمـــا إنكـــاركم على المجوس الأنجاس حيث نكحت الأمهات والبنات والأخـــوات وتطهرن بالبول المعتق وأوقفت النساء أمام الموابذة حتى ينضـــحوا الـــبول المعتق على... بعد الولادة فإن كان هذا قبيحاً في التعبد فما أنتم فاعلوه من الحلق والتعري والرمي بالحجارة والهرولة أقـــبح وأقبح من هذا كله ما جاء في ذكر الطلاق ونكاح المرأة رجلاً آخـــر يسمى الاستحلال وأن يذوق من عسيلتها وتذوق من عسيلته ثم مـــراجعة الرجل الأول بعد ذلك وقد يكون لها أولاد رجال نبل وبنات نســـاء كـــبار ذوات بيوت والزوج الذي له الشرف النفيس والحسب الخطير وتكون هي المرأة النبيلة في قومها المشار إليها في عشيرتها البهـــية في أهلها ذات المجد والبيت الرفيع فهذا أقبح وأشنع من فعل

المجـــوس الأقـــذار الأنجـــاس وإن كان ذلك في غاية القبح والقذارة والنجاســـة. فهل ترى أصلحك الله ورضي عنك أن تدعوني إلى مثل هـــذا الذي تستشنعه البهائم وتستقبح فعله فأني أظن بغير شك أنها لو سئلت فأذن لها في النطق لأخبرتنا بقبح هذه الأفعال واستشناعها إياها وأعلمتنا لو أجبنا إلى دعوتك أنا قد ظلمنا تمييزنا وطباعنا وأعوذ بالله أن أكـــون من القوم الظالمين. وأما قولك أنك تنظر إلى حرم رسول الله وتشاهد تلك المواضع المباركة العجيبة فقد صدقت أكرمك الله في قولـــك إنها مواضع عجيبة وأي عجب أعجب من تلك المواضع عند ذوي العقـــول والتميـــيز التـــي يرتكب فيها ما يرتكب من ظلم العقل والتميـــيز الذي فضل الله به الإنسان على سائر البهائم وأنعم به عليه. وأمـــا قولـــك إنهـــا مواضع مباركة فخبرني ما الذي صح عندك من بركتها أي مريض مضى إليها فبرئ من مرضه أو أي زَمِنٍ قصدها فـــنهض من زمانته أو أي أبرص زار ذلك المكان فذهب عنه برصه أو أي أعمى صيرته إلى تلك البقعة فانفتحت عيناه أو أي مخبط من الشيطان حمل إلى ذلك البلد فرجع صحيحاً سليماً فما أظنك أبقاك الله بـــل كيف أظنك وحدك ولا أجد أحداً ممن يتقلد مقالتك أو يرى رأيك يجـــترئ أن يفكر في مثل هذا ويقول أن مثل ذلك الموضع فعل مثل ذلك فضلاً عن أن يدلنا على أحد يومى إليه أنه كان عوفي وانصرف عـــن مـــثل الحـــال التي طالبناك بها. وكيف أقول وأنت وأهل ملتك ونبـــيك الذي تفخر به وبحجك إليه ليس أحد على وجه الأرض ممن يضمه هذا الفلك المحيط يقدر أن يدعي شيئاً مما طالبناك به أو يصح

في يديه إلا من انتحل الملة النصرانية فهذا أمر قاطع فيك وفي غيرك مـن جمـيع أهـل الأديـان والملـل فما معنى إضافتك ذكر البركة والتشريف وإلحاقك ذلك في هذه المواضع وإنما عرفنا البركات تحل فـي المواضـع التـي يعـبد الله فـيها حق عبادته، ويأويها الأبرار الصـالحون الأتقياء الذي قد وهبوا أنفسهم لله فهم في طاعته دائبون لـيلهم ونهارهم لايفترون ولا يشغلهم عن ذلك شاغل قد رفضوا الدنيا وخلوهـا ونـزعوا عن قلوبهم الفكر منها والاهتمام بشيء من أمرها فهم أحق بأن تنزل البركات من عند الله عليهم وعلى مساكنهم وتنزل الأشـفية والعوافـي على أيديهم وإذا سألوه تعالى أعطاهم وإذا طلبوا أنجح طلبتهم وإذا تشفعوا إليه شفعهم وإذا دعوه أجابهم لأن موعده لا يخلـف فـيه ولا يضـيع عنده أجر المحسنين وكذلك قال الله تبارك وتعـالى علـى لسان داود النبي «يطلب الأبرار فيجدون» وقال في موضـع آخـر «الرب قريب ممن يدعوه بالحق ويأتي مسرة أتقيائه ويسـمع دعاءهم فيخلصهم والرب يحفظ جميع من يخشاه» (مزامير 34 و 145[1]) وأكـد هذا القول الرب المسيح في إنجيله المقدس بقوله اسـألوا تعطـوا اطلبوا تجدوا ثم قال في موضع آخر «أيما رجلان منكما يتفقان على مسألة أمر ما من الأمور باسمي فإنهما يعطياها من أبـي الـذي في السموات»[2] فقد أنجز موعده وحقق قوله وصدق ما جـاء به من النور والهدى في إنجيله فليس من مكروب ولا ملهوف

(1) قابلهما

(2) قابل متى (19:18)

ولا محــزون ولا مــريض ولا مســتغيث يسأله بإيمان صحيح ونية صادقة وقلب سليم من أولياء المسيح باسم المسيح المقدس الطاهر إلا فــرج عــنه همه وغمه وكربه وكُفي مؤونة حزنه ونزلت له العافية والشــفاء مــن الله بواسطة أوليائه وبركة دعاء الصالحين عباده لأنه طلــب الأمــر من جهته وسأل حاجته من الناحية التي تسأل الحوائج مــنها فهــذه الديارات العامرة بالبيع وجميع المواضع التي يذكر فيها اسم المسيح مخلص العالم ويأوي فيها الرهبان ممتلئة من هذه البركات تفــيض إلى جميع من صار إليها وقصدها بإخلاص نيته وسلامة قلبه واسترســال إلى من يسكنها وتصديق لما في أيدي من يطلب منه ذلك فيضــاً لا يطلب من أحد ثمناً ولا مكافأة ولا ينال على ذلك جزاء ولا شــكراً لأن السيد المسيح مخلص العالم قال في إنجيله الطاهر «مجاناً أخذتــم مجانــاً أعطــوا ولا تقتــنوا ذهباً ولا فضة» (متى 10). فهم حــافظون لوصــيته تابعون أمره مقتفون أثره وهو جل ذكره يسمع دعــاءهم ويؤتي البركات وينزل الرحمة والأشفية على أيديهم للناس كافــة لا مــن عاند الحق وارتد خائباً وصد معرضاً عن التقوى فإنه يخيــب ويخســر على أنه إن رجع قُبِل كما يقبل الآب الابن الحبيب الــذي نظــير الضالة يشرد عن بيت أبيه ثم يعاتب نفسه فيرجع نادماً تائــباً عارفاً بما يجب عليه من الحق اللازم له مقراً بخطيئته متنصلاً مــن ذنبه منخذلاً ذليلاً لما جنى من نكوصه وشره فتتلقاه رحمة أبيه فيقــبله حق القبول ويسر بتوبته واعتذاره ويفرح بموافاته وأوبته ولا

يؤاخذه بما جناه على نفسه بقلة معرفته وجهل صبائه ثم يقول له إنك أنت كنت ميتاً فعشت وضالاً فاهتديت ومستغوياً فرشدت.

فميز أصلحك الله الأمرين ولا تتداخلنك الحمية لأنها ثمرة كبد الشيطان إن الشيطان كان للإنسان عدواً فهل ترى لي يرحمك الله أن أدع ما في يدي من هذه النعمة العظيم قدرها الجليل خطرها التي تغبطني الملائكة عليها فضلاً عن بني البشر من ذرية آدم وما كانت الأنبياء والملوك والأبرار ترجاه وتتوق أنفسها إليه ويأخذ بما كتبت به إلى ما يأنف منه طبعي ويأباه تمييزي ويلومني عليه عقلي وينفر منه ما أظنني أكون إذا فعلت ذلك لنفسي من الناصحين ثم قلت ادعوك إلى سبيل الله الذي هو غزو المخالفين والكفرة المنافقين وقتال المشركين ضرباً بالسيف وسلباً وسبياً حتى يدخلوا في دين الله ويشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله أو يؤدوا الجزية عن يد وهم صاغرون فهل أردت أبقاك الله وأنت العاقل الحكيم أن تدعوني إلى فعل الشيطان المنزوعة منه الرحمة الذي إنما أفرغ حسده لآدم وذريته في شرذمة منهم استغواهم فأفرغ فيهم غيظه وملأهم حنقه وحدته وجعلهم سلاحاً له وأولياء ينقادون لإرادته ويبلغون مشيئته ويأتون مسرته وينتهون إلى طاعته ومحبته في القتل والسلب والسبي فعرفني كيف أجمع بين قوليك وبين تباعدهما وأنت القائل نقضاً لهذا في كتابك الذي تدعي أنه منزل من عند الله «ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون» (آل عمران) ثم تكتب «ليس عليك هداهم ولكن

الله يهدي من يشاء» (بقرة) ثم تزيد في هذا شيئاً «ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً أفأنت تُكره الناس حتى يكونوا مؤمنين وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله» (يونس) أفلا ترى كيف يناقضك هذا القول ثم تكتب «قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل واتبع ما يوحى إليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين» (يونس) ثم تكتب أيضاً في موضع آخر «ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم» (عود) ثم تكتب تأكيداً لهذا القول عن صاحبك أنه «بعث بالرحمة للناس كافة» فأي رحمة مع القتل والسبي والسلب وإنني لكثيراً ما أتذكر بعض اليهود إذ يسمي كتابك ناقض نفسه فأنا لا أسمي كتابك بهذا الاسم الشنيع بل أسمي كلامك حقاً مناقض نفسه إلا فأنت مدعٍ ما أنت دائب تدعي ثم ترجع لنفسك وتنقض كلامك لكنني أسألك أن تخبرني عن سبل الشيطان هل هي إلا القتل والسفك والسلب والسبي والسرقة أتقدر أنت أو غيرك أن تقول في هذا أنه ليس كما كتبت إليك فإن احتججت علينا بموسى نجي الله تبارك وتعالى أنه قاتل الكفار وعبدة الأصنام قلنا لك أذكر أصلحك الله ما قرأته في التوراة كم من أعجوبة وكم من آية فعلها موسى حتى صدقناه وأن الذي أتاه من الحرب وقتال عبدة الأصنام كان عن أمر الله وكذلك يشوع بن نون حيث استوقف الشمس والقمر فوقفا له وكان ذلك منه آية معجزة لا يقدر على مثلها إلا من كان من أولياء الله جل

وعـــز فأيـــة آيـــة تقـــدر أنت على ذكرها أو أية أعجوبة تخبرنا أن صـــاحبك جاء بها مقدمة تكون شاهدة له يجب علينا بها تحقيق قوله وتصـــديق ما جاءنا به وخاصـة قتل الناس بأمره وأن يسلبهم أموالهم ويسبي ذراريهم ويقصد بذلك قوماً هم أولياء الله المعتصمون بعبادته القـــائمون بفرائضه وسننه وقد بذلوا مهجهم في دينه وآمنوا بمسيحه واتقوه حق تقاته فهداهم إلى الحق المستقيم فوجوههم مضيئة في الدنيا والآخـــرة. ثـــم لم يقنعك حتى سميته سبيل الله فحاشا لله جل وعز أن يكون هذا سبيله أو يكون اقترف شيئاً من هذه المآثم أحد من أوليائه أو مـــن أهل طاعته لأن الله جل وعز لا يحب عمل المفسدين وكيف أقـــول فـــي تناقض هذا الأمر وتضاده إذ تكتب «لا أكراه في الدين» وتـــزعم أن الله تـــبارك وتعـــالى قـــد قال «وقل للذين أوتوا الكتاب والأميـــن أأسلمتم فأن أسلموا فقد اهتدوا وأن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصـــير بالعباد» (آل عمران) وأنت الذي تقول «ولو شاء الله ما اقتـــتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم مـــن آمـــن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يـــريد» (بقرة) وأنت الذي تقول «قل يا أيها الكافرون» ثم تختتم ذلك فـــتقول «لكـــم دينكم ولي دين» (الكافرون) وتقول «ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن» (عنكبوت) ثم أنت تحث على قتل الناس ضـــرباً بالســـيف وسلباً وسبياً حتى يدخلوا في دين الله كرهاً وقهراً وكيف أصنع بك وبأي قوليك آخذ بالأول أم بالثاني فندخل على قولك أنـــه نسخ ومنسوخ فأنك الذي تدعيه هذا وأن ادعيته لم تلحق معرفته

لأنــك لا تدري أيهما الناسخ ولا أيهما المنسوخ فلعل الناسخ هو الذي عــندك المنســوخ وكذلك ينعكس عليك القول فيه أن الذي هو عندك المنســوخ هو الناسخ فإذ قد أقررت بالجهل بهذا وأنك لم تحط معرفة بــه ولم تثبت له عندك حجة ولا تقدر أن تقيم فيه برهاناً صحيحاً عند مــن يطالبك بالبرهان الصحيح فليس بك ولا بنا حاجة إلى ذكره. فقد خلصنا منك الآن على أنك خالفت وادعيت أن صاحبك بعث بالرحمة والرأفة إلى الناس كافة وأن لا إكراه في الدين وفي قولك أن تضرب الــناس بســيفك وتسلبهم وتسبيهم حتى يدخلوا في دينك كرهاً ويقولوا بقولك قسراً ويشهدوا بشهادتك قهراً.

فــإذا كــنا إلى هذه الغاية لم نقف بعد هذا كله على صدق أحد قولــيك وأيهما المنزل والمأخوذ به وجب عليك من هذه المقدمات أن تكون النتيجة في ذلك أن القولين كليهما باطلان غير محقين لأن الذي هــو عــندك حق يجب أن يعمل به لعله هو الباطل المتروك الذي لا يجب أن يؤخذ به ولا يعمل عليه وأن الله جل ثناؤه لم يأمر ولا بشيء منهما فهل بلغك يرحمك الله أو قرأت في شيء من الكتب المنزلة أو غــيرها أن أحــداً مــن الدعاة استجلب الناس إلى مقالته ودعاهم إلى الإقــرار بمــا جاء به قهراً وكرهاً أو ضرباً بالسيف وتهديداً بالسلب والسبي غير صاحبك فقد عرفت قصة موسى وما أتى به من الآيات المعجــبة وقــرأت أقاصيص الأنبياء بعده وما فعلوا وكان ذلك محققاً وشــاهداً لما جاءوا به أنه من عند الله. وقد هذرت المجوس الأنجاس فــي ما ادعت وزعمت عن زردشت أنه حيث صار إلى جبل سيلان

نــزل عليه الوحي هناك فحينئذ دعا كشتاسف الملك ودعاهم فأجابوه وأذعنوا له حيث أراهم بسحره ومخاريقه وتمويهاته ما هو عندهم آية تمتــنع في الطباع مثل الفرس الذي أحياه بعد موته ومثل ذلك الكتاب أتــى به من باب الزمزمة الذي زعم أنه يشتمل على كل لسان وجمع فيه كلام أكمل لغة نطق بها الآدميون وكتبه في اثني عشر ألف مجلد من جلود الجواميس وسماه زندوستا أي كتاب الدين فهم إذا سئلوا عن تفســيره أنكــروا معرفته وأقروا بجهله وكذلك فعل البد بالهند حيث أراهم على ما زعموا عنقاء مغرب وفي بطنها جارية وهي تهتف بهم وتخــبرهم إن البد صنم محق في كل ما دعاهم إليه وخبرهم به. فهذه بعــض أخــبار المستحســنين وخدعهم فهل تجد أكرمك الله أحداً من الدعــاة الذيــن دعــوا إلى حق أو باطل إلا وقد جاء بحجة أو دليل صحيح بأن ذلك أمر بين وهو مموه في الظاهر ممتزج إلى أن يدخل فــي مــيزان المحنة فحينئذ يتبين عند العيان صحته من خبثه وكذلك فعــل كل ذي دعوة بأهل دعوته غير صاحبك فإنا لم نره دعا الناس إلا بالســيف وبالســلب والسبي والإخراج من الديار ولم نسمع برجل غــيره جاء فقال من لم يقر بنبوتي وأني رسول رب العالمين ضربته بالســيف وســلبت بيته وسبيت ذريته من غير حجة ولا برهان. فأما المســيح سيد البشر ومنجي العالم فيتعالى ذكره ويجل قدره أن تذكر دعوتــه فــي مثل هذا الموضع وأنت عالم بالقصة كيف كانت وكفى بعلمك أفرأيت أصلحك الله من استخار لنفسه في مثل عقلك وأدبك أن تدعــو مثلــي مــع شــدة امتحاني الأمور وتحصيلي لها إلى مثل ما

دعوتنـــي إلـــيه وخاصـــة وأنـــا أتلو كلام سيدي يسوع المسيح ليلي ونهـــاري وهـــو شعاري ودثاري وأسمعه يقول «تفضلوا على الناس جمـــيعاً وكونوا رحماء كي تشبهوا أباكم الذي في السماء فإنه يشرق شمسه على الأبرار والفجار ويحدر مطره على الأخيار والأشرار»[1] فكـــيف يظن بمثلي والمسيح يخاطبني بمثل هذه المخاطبة وقد ربيت في هذه النعمة ونجحت بهذه البركة وجرت في أعضائي وفي جسمي مـــع الـــدم دمـــاً وفـــي عظامي مع المخ مخاً ونشأت في هذا النجاح والـــرحمة ونبـــت لحمي وشعري عليها فحاشا أن يقسو قلبي وأتمرد متشـــيطناً حـــتى أصير في صورة إبليس العدو القاتل فأضرب وأقتل أبـــناء جنســـي وذرية آدم المجبول بيد الله وعلى صورته تعالى والله جلت قدرته هو القائل لست أحب موت الخاطئ لأنه اليوم في خطاياه وغداً يتوب فأقبله كالأب الرحوم سيما وقد شرف الله سبحانه وتعالى الـــنوع الإنساني بأن كلمته الخالقة تجسدت منه اتحدت به وأعطته ما لها من الربوبية والألوهية والسلطان والقدرة فصارت الملائكة تسجد له وتقدس اسمه وتسبح ذكره كما يسبح اسم الله وذكره ولا تفرّق في ذلـــك بينهما ثم زيد نعمة إلى النعمة المتقدمة بأن أعطى الجلوس عن يميـــن ذي العـــزة تشريفاً لذلك الجسد المأخوذ منا الذي هو من ذرية أبيـــنا آدم فهـــو مثلنا وأخونا في الطبيعة وخالقنا وإلهنا باتحاد الكلمة الخالقـــة بـــه بالحقيقة ثم دفع إليه تفضلاً منه عليه وإكراماً له وإنعاماً جمـــيع السلطان في السموات والأرض وخوّله تدبير الخلائق وصير

---

(1) قابل متى أصحاح 5

البعث والنشور والدين إليه وأن يحكم حكماً نافذاً جائزاً على الملائكة والإنـــس والشـــياطين أفتريد يا حبيب أن أضاد أمر الله تبارك اسمه وأضـــربهم بالسيف وأسلبهم وأسبيهم إن هذا لجور على الله عز وجل وعناد لأمره وظلم لنعمته وجحد لمعرفته وكفران لإحسانه وقلة شكر لتفضله وأعوذ بالله من خذلان الله وغضبه. فإن قلت أن جل ذكره قد نـــراه يميـــتهم ويبلـــيهم بالأسقام والأوجاع فما يمنعك من التشبه به فأجيبك أصلحك الله أحضر جواب وأصحّه ليس كجوابك في الروح حيث سئلت عن أمر الروح فكان جوابك أنه من أمر الله وهو جواب لـــم يســـمع الســـامعون بمثله. أما نحن فنجيبك في هذا ونقول أن الله تـــبارك وتعالى إنما يبتلي ويميت عباده لا لأنه يريد الإضرار بهم أو عـــن بغض منه لهم ولو كان ذلك كذلك لما خلقهم فكيف وإنما خلقهم جـــوداً مـــنه وتفضـــيلاً وأنعاماً عليهم إذ نقلهم من العدم إلى الوجود وأصـــارهم من لا كون إلى كون لنقلهم من هذه الدنيا التي هي زائلة غير باقية وفانية غير دائمة وناقصة غير تامة إلى دار الخلود الباقية الدائمـــة الكاملة فلا يقال لمن نقل من مدينة خسيسة إلى مدينة شريفة أو من مدينة وضيعة إلى مدينة رفيعة إنه أراد بصاحبه سوءاً وتعدى علـــيه ظلماً بل هو محسن متفضل أولاً وآخراً وأما قولك أنه أبلاهم بالأسقام المؤلمة والأوجاع المؤذية فجوابنا في هذا أنه إنما أراد بذلك أن نكـــون مســـتحقين الأجـــر والثواب وأن يكون تبارك وتعالى مع تفضـــله علـــيهم ينالون من حسن الثواب باستحقاق منهم له فهو عز وجل متفضل عليهم في الحالتين جميعاً كالطبيب الماهر المشفق الذي

يشفي المريض بالأدوية المرة الطعم البشعة الرائحة وربما كوى بعضهم بالنار وقطع بعض الأعضاء من أجسادهم بالحديد ويمنعهم شهواتهم من المطاعم والمشارب نظراً منه وإشفاقاً عليهم أفتقول أنه يفعل ذلك بهم على سبيل العداوة والبغضة بل إنما يريد بذلك صلاحهم وصحة أبدانهم واتقاءهم من الأسقام والأدواء المؤذية لهم ونقلهم من تلك الحال الكريهة التي هم فيها إلى حال العافية وطيب العيش فإن قلت قد كان يمكنه أن يتفضل عليهم ويأجرهم من غير أن يعذبهم بالأسقام والأوجاع، قلنا لك وقد كان أيضاً يمكنه ألا يخلق الدنيا وكان يخلق الآخرة والجنة ويدخل الناس النعيم من غير محنة ولا بلوى ولا استحقاق فهذا كان ممكناً في قدرته لكنه خطأ في التدبير لأن المتعقب كان يتعقب فيقول لم يكن يمكنه أن يخلق إلا خلقاً واحداً فخلق عز وجل هذه الدنيا وجعلها فانية دار محنة ومتجر لأوليائه وجعل الناس فيها مسافرين ينزلونها على ظعن كما ينزل بنو السبيل الخانات نزول ميت لا نزول إقامة فينقلون منها إلى دار الإقامة التي هي الغاية القصوى ليكون لهم فها تقرّة الخلود هذا هو الصواب في التدبير فخلقهم تبارك وتعالى جوداً منه وأبلاهم بالأسقام والأوجاع خيرةً لهم في زمان منقطع زائل وحياة مفارقة ليجزيهم ويأجرهم تفضلاً منه عليهم واستحقاقاً من ثوابهم وإتماماً للنعمة عندهم في تلك الدار التي لا زوال فيها لحياتهم ولا فناء لنعيمهم ولا انقطاع لفرحهم وسرورهم، فإن كان صاحبك هذا يرحمك الله الذي ادعيت له ما ادعيت ودعوتنا إلى اتباعه بما دعوتنا إليه إنما يقتلهم بسيفه

وبضربهم بسوطه ويسبي ذراريهم ويجليهم عن ديارهم يريد بذلك لهم الخير لينقلهم مما هم عليه إلى ما هو خير منه فقد لعمري نصح وتفضل وأحسن وتشبه بفعل الله تبارك وتعالى اسمه ولكنه ما فعل الذي فعله لهذا ولا خطر بباله ولا فكر فيه وما أراد إلا نفع نفسه وأصحابه وإقامة دولته في العاجل والدليل على ذلك قوله «حتى يؤدوا الجزية عن يد وهم صاغرون» أفلا ترى أيها المميز أنه لم يرد بما فعل أن ينقلهم مما هو عنده أنه شرك وكفر إلى ما زعم أنه الدين القويم نظراً منه لهم ومحبة لمنفعتهم وصلاحهم ولكنه أراد بلوغ أربه وإنقاذ مرامه وتوطيد سلطته كما يفعل المتغلب هذا وهو يقول في كتابه الذي يدعي أنه منزل «قل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا وأن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد» ألا ترى أصلحك الله أنه أمر أن يقول ويبلغ بلسانه ونهى عن القتل والسبي فأمعن يرحمك الله في هذا الأمر وميز هذا التناقض وافهمه ثم أعجب من هذا تسميتك من قتل من أصحابك شهداء فهلم ننظر في أخبار الذين قتلوا من أصحاب المسيح على عهد ملوك الفرس وغيرهم أهم كانوا مستحقين لاسم الشهادة أم أصحابك الذين يقتلون في طلب الدنيا والمحاربة على سلطانها فقد بلغنا كيف صبر أولئك وكيف كانت مسارعتهم إلى بذل دمائهم ومهجهم ودماء أولادهم والخروج عن دنياهم ونعيمهم وكيف كانت نياتهم وصحة ضمائرهم وشدة يقينهم بما كانوا عليه من ديانتهم وكانوا يسارعون إلى أن يقربوا أجسادهم إلى الذبح والقتل وأنواع العذاب قرباناً لله وقد كان

يُقتل الواحد فيتنصر من ساعته في ذلك المكان المائة والأكثر والأقل فقــتل في زمان من تلك الأزمنة أحد ملوك الروم المردة وقد لج في قــتلهم مقتلة عظيمة فقال له بعض أصحابه أيها الملك إنك إنما تزيد فيهم من حيث تظن أنك تنقص منهم فقال كيف ذلك فقيل له إنك قتلت أمــس كـــذا وكذا فتنصر أضعاف هذا العدد فقال وما السبب في هذا فقــيل له إن القوم يقولون أن رجلاً يطلع عليهم من السماء فيشجعهم فعند ذلك أمر أن يرفع عنهم السيف وكان هذا القول داعياً إلى تنصر الملــك ورجوعه عما كان عليه من الكفر وقتل أولياء الله فانظر إلى هــؤلاء الذيــن كانــت لهم البصائر بالديانة وشدة اليقين والإخلاص وجودة الإيمان كيف لم يغتر إيمانهم والسيوف تأخذهم وكانوا يعذبون بأنواع العذاب وهم على ذلك محبون لما ينالهم غير متمنعين فرحون مســرورون جذلون متيقنون أنهم إذا أتوا ذلك فهم مقصرون عما في أنفســهم مــن أداء حــق الــنعمة التي اوتوها من الدخول في الديانة النصــرانية فيبذلون أجسادهم اختياراً كما بذلوها فمنهم من سلخ وهو حي ومنهم من قطعت أعضاؤه وهو ينظر إلى ذلك ومنهم من أحرق بالــنار ومنهم من ألقي للسباع وبعض نشر جسده بالمنشار وهذا دائم ثابــت في من ينتحل دين النصرانية ليس يخلو في وقت من الأوقات من أن يبذل نفسه للموت طوعاً واختياراً ويرغب بها عن الحياة وعن جمــيع ما يحويه العالم ونحن نعلم وأنت وجميع من يقول بالحق أنه ليس في دين من الأديان أحد يأتي بمثل هذا الأمر ويحمل نفسه عليه غــير أهــل هذه الشريعة إذ كان هؤلاء في العذاب الذي لا توصف

شدته وهم في جميع ذلك على غاية التمسك بديانتهم وفي غاية الفرح بما ابتلوا حتى سئل واحد منهم وهو يعذب عذاباً شديداً وهو في حاله تلك يتلفت يمنة ويسرة ويضحك فقيل له ما سبب ما كنا نراه من تلفتك وضحكك وأنت في ذلك العذاب أما كنت تجد ألماً فأجاب ما كنت أحس فيما كنت أعذب به وقد كنت أرى رجلاً شاباً بالقرب مني وهو يضاحكني ويمسح الدماء التي كانت تسيل من جراحاتي بخرق بيض كانت معه وكنت أرى ذلك العذاب كأنه إنما يقع بواحد من الذين يعذبونني فعلمنا أنه كان صادقاً في قوله وإلا فما صبره على تلك الشدة من العذاب وتعلم أن الله سبحانه وتعالى يصرف عنايته بأهل طاعته ويصبرهم على الشدائد فإن قلت لو أمر الله ذلك الملك الذي وكله بتشجيعه ومسح الدماء من جروحه أن يصد عنه من كان متولياً تعذيبه فيكون سبباً لتوبتهم ورجوعهم قلت أنت أصلحك الله تعلم أن الله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه لو شاء أن يجمع الناس كلهم على الإيمان به ويجبرهم عليه لكان قادراً على ذلك غير أنه طبع سبحانه وتعالى جوهرهم بعدله على استطاعة الحرية ليثيبهم أو يعاقبهم على ما اكتسبوا لأنفسهم لا على الذي يجبرهم عليه ولولا ذلك لم توجب الحجة على الممتنع من قبوله فلذلك أظهر على يد هؤلاء في ذلك الزمان آياته وبراهينه ليستكملوا قبول الدين وأمسك عن الباقين ليظهر أنهم مستطيعون ولو تابوا بذلك السبب لم يكن لهم في ذلك أجر لأنهم إما تابوا قهراً وقسراً ولكنه تركهم حتى بلغوا إرادتهم ولم يغفل عن معونة أوليائه ليظهر استطاعة الحرية وثمرة العقل

وجعل فكره في كيفية قبول الأولين لأنه برهان واضح وحجة لازمة ويجــب علــى كل ذي لب اليقين بأنه لم ينتقل هؤلاء المختلفون في أجناسهم وأهوائهم وأديانهم إلى هذا الدين إذ خلا من الخصال كلها إلا بالآيــات المعجــبة ومع هذا فإن قوة أصل تلك الآيات قائمة باقية في أصل هذا الدين إلى هذه الغاية نعاين آثارهم بأبصارنا ونسمعها بآذاننا ونعــي مــنها بعقولــنا من الجرائح التي تجري على أيدي أصحابهم ورهبانهم وأحبارهم من دفع الجنون والتخيل وإبراء أنواع الأمراض فــي الكنائس والديارات والبيع المبنية على اسم هؤلاء الشهداء الذين وصفنا أحوال صبرهم على العذاب الذين هم بالحقيقة مستحقون لاسم الشهادة فمنها ما فيها قبورهم ومنها ما فيها الجزء من عظامهم فتكون مــنها هذه النعمة في كل موضع من المشرق والمغرب وبلاد الروم وأرض الشــام وبلاد فارس وأرض الحبشة وجزائر البحر وأمصار العــراق وبلاد خراسان لا يخلو ذلك ممن يلوذ بهم ويلتجئ إليهم في هــذا الــنحو وشبهه غير منكر لهم ذلك سوى بلاد صاحبك فإنها من ذلــك خلو صفر لأنه لم يقع إليه من هؤلاء القوم ولا صار في ناحيته أحــد ممــن يعــبد هذا الدين غير الرجلين اللذين تعرفهما سرجيوس المسمى نسطوريوس ويوحنا المعروف ببحيرا ثم ليست هذه الفضيلة فــي شــيء مــن الأديان ولا يدعيها أحد من أهل المقالات خلا دين النصرانية فإن ذلك لهم ورثة قائمة فيهم إلى هذه الغاية وإلى انقضاء الدنيا فأي دليل أوضح وأي حجة أضوا وأنور وأسطع من هذه لطالب الحــق. فهلــم أكــرمك الله نــنظر في هذا الأمر نظر نصفة ويقين

واستقصاء ونجعل بيننا نظر ناظر بعين عقله ينصح لنفسه ويعدل عن الهــوى فمن هو أصلحك الله أحق بأن يسمى شهيداً ويشهد له أنه قتل في سبيل الله من قرب نفسه قرناناً عن ديانته وقد قيل له اسجد للقمر والشــمس وغير ذلك من الذهب والفضة والخشب مما صنعته الأيدي واتخذها أرباباً لك من دون الله واترك عبادة الله وكلمته وروحه فأبوا ذلـــك وبذلوا مهجهم ودماءهم وأموالهم وحياتهم وأهاليهم وأولادهم أم مـــن خـــرج طالـــباً للسلب والسرقة والغنيمة وسبي الذراري ونكاح الفروج التي هي محرمة وشن الغارات ثم يسمي ذلك جهاداً في سبيل الله ويقـــول مـــن قتل أو قتل فهو في الجنة فانصف أيها الحبيب فأننا رجـــلان تقدمنا إليك فحكمناك في الأمر فأي حكم كنت تحكم إذا أنت آثرت الحق وترضيت العدل والنصفة فنقول أن لصاً نقب منزل رجل ليســـرقه فســـقط علـــيه حائط أو وقع في بئر أو بادره صاحب البيت فضـــربه ضربة تلفت نفسه منها أتوجب لهذا اللص دية ما أظنك أيها القاضـــي تفعـــل ذلـــك فكيف توجب الجنة لمن مضى إلى قوم آمنين مطمئنين في مساكنهم لا يعرفهم ولا يعرفونه فسرقهم ونهبهم وسباهم وقـــتلهم وفجـــر فيهم ثم لا يقنعك ذلك إذ فعلته وتعود إلى ربك نادماً علـــى ذنـــبك مستغفراً تائباً عما كان منك بل تقول إنه إن قتل أو قتل فهـــو في الجنة وتسميه شهيداً في سبيل الله فإن أنت حكمت بهذا فما حكـــم الشيطان الذي هو عدو آدم وذريته قديماً إلا دون حكمك على أني أعلم أن عقلك وعدلك يمنعانك من ذلك ولا يطلقانه لك وقد علمنا أحـــاطك الله ما اشترطته لنا في الصبر على الحجة إذا وردت بك إذا

لـم تكـن منا المسألة وإنما كان الابتداء في المبالغة في الحجة منك فقبلـنا ذلـك في قولك وعلى كل حال فلم نكتب بما كتبنا به إلا وقد قصـرنا لأنـا لو كشفنا في هذا الفن من كلامنا لفعلنا كما فعل غيرنا وكلامـنا هـذا إنما هو جواب اقتضاه ابتداؤك وإذا عدلت في القول علمت أن الأمر كالنار التي تسكن في الحجر والحديد فكلما استقدحتها بـزنادك اسـتعرت اضطراماً وقولي أكرمك الله لك في هذا ولغيرك ممن ينظر في كتابي هذا قول واحد فأما ما دعوتني إليه وعددته من الأمـور الـزائلة الفانـية التي هي كأحلام النائم والبرق الخلب الذي يضـيء قليلاً ويذهب وشيكاً ويبقى راجيه في الظلام مقيماً لو كانت أشـياء دائمة غير زائلة ولابثة غير ذاهبة ثم باقية غير فانية ومقيمة غير منقطعة لما كان يجب على ذي رأي ولا على ذي لب أن يرغب فـيها ولا يميل إليها فكيف وهي مشاركة الخنازير والكلاب والتشبه بالحمـير وسـائر البهائم التي إنما همتها الأكل والشرب والنوم وإنما هـذه الدنـيا كلها لا قدر لها ولا قيمة عند ذي عقل إذ يعلم أن الأمر فيها أسرع وأعجل من أن يبقى على شيء وأوشك أن يفنى ويضمحل فـي أسرع وقت وإنما يميل إلى مثل هذه الأوضاع من قد غلب عليه الشره في أخلاقه وطباعه ولا أظنك أكرمك الله عرفتني بالراغب في هـذا وشبهه فليت شعري كيف أردت أن تصيدني بمثل هذه المصائد الدنـية الخسيسـة التي إنما يميل إليها ويغتر بخدعتها من كان طبعه يشـاكل طبع البهائم فأما المميزون الذين قد نظروا في الأمور فإنهم أبـرياء من مثل ما ذكرته وعددته بل هم مجتهدون غاية الاجتهاد في

أن يدفعوا آفات أبدانهم التي لا قوام لهم إلا بها ولو تهيأ لهم دفعها في الطبائع أو كان ممكناً لهم ذلك لدفعوها فكيف تريد أن يطلبوا الملك ويحتالوا الحيل بخلاف ذلك وما إذا خلق الله تعالى الخلق ولا لمثله يبعثهم من الموت يوم القيامة وأنت تزعم في كتابك «وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون» (ذاريات) فلا أراك ألا مناقضاً لقولك لأنك قلت إنما خلقت للعبادة ثم تقول فتنقض وتهدم بنائك المتداعي وتقول «انكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ومن الآماء ما ملكت إيمانكم» وأن نأكل ونشرب مثل البهائم التي لا خطر عليها من ناموس عقل ولا إلزام سنة الكتاب.

فأما باب الطلاق والاستحلال والمراجعة الذي حله صاحبك فلولا كراهية التطويل لتلوت عليك مما قرع الله به أهله على لسان أرمياء النبي لكنك تعلم ما في هذا الأمر من العيب والشناعة عند جميع الأمم وسائر أهل الملل وكيف استقباحهم له وإنكارهم إياه وأني لأنهى نفسي عن سفه المخاطبة فيه وترديد الذكر له وأرفع قدر كتابي عن إدخال شيء من ذكره أنفاً منه وتنزيهاً لكتابي فهذا الجواب فيه. وأما قولك فأكتب أمناً مطمئناً لا فرق ولا خائف إنك لا تظلم ولا يتعدى عليك فإن سيدنا المسيح مخلص العالم بحيث شجعني في إنجيله المقدس وأعلمني ما هو عتيد أن يكون قال «لا تخف ممن سلطانه على الجسد وليس له سلطان على النفس بل ينبغي لك أن تخاف ممن هو قادر أن يعذب الجسد والنفس معاً في جهنم[1]» فقد

---

(1) قابل متى 28:10

آمنــت بقولــه أن ليس لأحد على نفسي سلطان إلا الذي خلق نفسي وخلــق جسدي وقد زادني في ذلك أماناً ما بسط الله من عدل سيدي أمــير المؤمنين وإنصافه ورأفته للضعيف الذي مثلي ممن يقرب من جــوده ويعــيش فــي ظل حمايته فإنه قد شملنا عدله وعمنا إنصافه ووســعتنا رحمــته أثابه الله تعالى على ذلك وأعطاه مأموله في نفسه وولده من أمر دنياه وأجاب صالح دعاي له بمنه.

وأما قولك أصلحك الله أن هذا دينك القيم وهذه شريعتك وسنتك ومــن ينـتحل نحلتك وأني إذا دخلت فيه وشهدت مثل شهادتك كنت مثلــي وحسبي بك شرفاً في الدنيا والآخرة فقد فهمت ذلك فأما دينك وشــرائعه وسننه فقد سبق من قولنا ما فيه كفاية لمن أراد أن يمتحن ما ذكرته وأما الشرف في الدنيا والآخرة فلعمري لقد أتاك الله في هذه الدنــيا الخلافة التي جعلها في أهل دينك فنسأله تعلى أن يديم لك النعم ويبقــي عليك ذلك ولا ينزعه عنكم يا أهل البيت وأما شرف الآخرة فــلا يعرف إلا بالعمل الصالح وقد حكى عن صاحبك أنه قال يا بني عــبد مــناف أني لست أغني عنكم شيئاً عند الله فلا تأتوني بالأنساب ويأتينــي غيركم بالأعمال فإن خيركم عند الله أتقاكم فإن كان قال هذا فقد هدر شرف الآخرة إلا بالعمل الصالح ولم نجد أولياء الله إلا القوم الذيــن لا حســب لهــم ولا شرف في الدنيا وإنما شرفهم في الآخرة العمل الصالح فأنت وغيرك أن عملتم العمل الصالح كان لكم الشرف والنســب ولسنا نحب أن نفخر بما لنا من السبق والنسق في العربية وشــرف الآباء فيها إذ كان ذلك معروفاً غير مجهول لآبائنا وأجدادنا

فقد علم كل ذي علم ولب كيف كانت ملوك كنده الذين هم ولدونا وما كـــان لهـــم مـــن الشرف على سائر العرب لكننا نقول ما قاله رسول الحـــق بولـــس[1] ألا من يفتخر فليفتخر بالله والعمل الصالح فإنه غاية الفخر والشرف فليس لنا اليوم فخر يفتخر به إلا دين النصرانية الذي هـــو المعـــرفة بـــالله وبه نهتدي إلى العمل الصالح ونعرف الله حق معرفـــته ونتقرب إليه وهو الباب المؤدي إلى الحياة والنجاة من نار جهـــنم، فأمـــا قولـــك بأن نبيك يقول يوم القيامة إذ يكون كلّ مشغول بنفســـه أهـــل بيتي أهل بيتي أمتي أمتي وما يجاب إليه من الشفاعة فنامت عينك يا خليلي وخيراً رأيت يا حبيب ما هذه إلا أضغاث أحلام وخـــرافات العجائـــز ومواعيد النسيئة وآمال التدليس لأننا لا نشك أن سيدنا ومخلصنا يسوع المسيح الذي شهد له كتابك أنه هو الوجيه في الدنيا والآخرة ولا وجيه سواه ديان الخلق والخلائق يوم القيامة لا بد مـــن أن يكافئ كل أحد على عمله أن خيراً فخيراً وأن شراً فشراً ولا محابـــاة عـــنده ولا هوادة لأحد بل يحكم بالقسط ويقضي بالحق بين الخلائـــق في ذلك اليوم فأنا لك من الناصحين فاقبل مني ولا تمل إلى هـــذا الطمـــع الكاذب الغرار المبهرج وتدع ما يجب عليك من العمل الصـــالح ما دمت في هذه الدنيا مقيماً فتزود منها ما تنتفع به فلن ينفع في ذلك اليوم إلا التقوى فدع عنك الميل إلى أحاديث الكسالى وعليك بـــالجد الجـــد فـــإن الرحيل سريع والموت قريب والوقوف بين يدي المســـيح الديان صحيح ولا بد من مناقشة الحساب حيث لا عذر ولا

---

(1) قابل كورنثوس 1:31

حجة ولا طلب ولا توبة يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون فاتق الله في نفسك يا هذا واعلم أن تقوى الله خير تجارة تأتيك الأرباح فيها بغـــير بضاعة فقد رأيت اجتهاد أولئك الرهبان كيف هو وكيف تصبو أجسادهم لله وقد وجبت عليك الحجة بما طبع الله عز وجل في نظرك من التمييز والمعرفة فلا عذر لك ولا علة إن قبلت مني فأني لك من الناصــــحين، فأما ما ذكرت من التسهيلات في شرائعك وسننك وكيف يكون هذا الذي حكيت هيهات هيهات بئسما سولت لك نفسك والمسيح ســيدنا يقــول فـــي إنجيله المقدس حيث بالغ في الوصايا وأكد وحتم «إذا فعلتم كل ما أمرتم به وأكملتم كل البر قولوا أننا عبيد بطلون أنما عملنا ما أمرنا به فأي فضل لنا[1]» وهو السيد الذي قال «ما أضيق[2] الطــريق الـــذي يـــؤدي إلى النجاة والخلاص وما أقل السالكين فيها والوارديـــن إلـــيها وما أوسع الباب الذي يدخل إلى التهلكة وما أكثر الســـائرين إلـــيه والداخلين منه» فهذا أكرمك الله خلاف ما تدعو أنت إلـــيه وأشـــبه بـــأمور الآخرة من تسهيلاتك العجيبة وأبوابك الواسعة وقولـــك حبـــب إلي الطيب والنساء. وانكحوا ما طالب لكم من النساء ونظائـــر هـــذه الوصـــايا والله المســـتعان على ما قد انشرح له قلبك وتصور في فهمك من هذا الأمر الذي قد توهمت أنك منه على صحة واســـتقامة ويعز علي كيف قد خفي عنك تدليسه وبهرجته فأسأل الله الذي يهدي من الضلال إلى الرشاد أن يشرق عليك من نور المعرفة

---

(1) قابل لوقا 10:17

(2) قابل متى 13:7 و14

مــا تهتدي به وتستضيء بضوئه حتى تخرج من ظلمة هذه الضلالة التــي أنــت مــنغمس فيها فإن ذلك واجب علي أن أدعو لك خاصة وللــناس جميعاً عامة إذ كان عندنا معشر النصارى أن صلاتنا لا تتم إلا بالدعــاء للناس كافة بالهدى للتائهين عن سبيل الحق أن يفتح الله علــى بصــائرهم ويكشــف عــن قلوبهم حتى يروا خطأ ما هم فيه ويــرجعوا عنه إلى طاعته وللمهتدين أن يثبتهم في ما أنعم عليهم به فعل الله ذلك بك وبجميع إخواننا بحوله وقوته.

أمــا قولــك أصــلحك الله دع ما أنت عليه من الكفر والضلالة وقولــك بالأب والابن والروح القدس وعبادة الصليب التي تضر ولا تــنفع فأما الكفر والضلالة فقد كشفنا لك عن أمرهما كشفاً يغني عن الإعــادة وأتيــنا بالحجة على من تقع هاتان اللفظتان ومن هو المقيم علــى الكفــر ولا حاجــة لــنا إلى أكثر من ذلك وأما التخليط فكأنك أصلحك الله كل ما لا تفهمه كان عندك تخليط كقول القائل أن الإنسان عــدو لما جهل وأعوذ بالله من ذلك فليس الأمر على ما توهمت فلا تحكم لنفسك ولا تشهد لها مادام خصمك غائباً لأنه ليس من فعل أهل الــتخرج والأدب فــإن الذي وسمته بالخليط واجترأت عليه بمثل هذا القــول هو سر الله الذي كانت الملائكة المقربون والأنبياء المرسلون يركضون في طلبه ويرغبون في معرفته منذ خلق الله تبارك وتعالى اســمه الخلق فلم تكن تعطى منه إلا الشيء اليسير باللمح الخفي ولم تطلــع مــنه إلا علــى النذر بالرمز المستور حتى جاء الابن الحبيب الســيد نــازلاً مــن حضن أبيه فكشفه لأوليائه وأهل طاعته فألهمهم

معرفته ودفعه إليهم كاملاً مشروحاً مفسراً مبيناً فقال لهم مصرحاً «امضوا فادعوا الناس إلى المعرفة الصحيحة الكاملة التي هي باسم الآب والابن والروح القدس[1]» فقبل ذلك الحواريون من فيه الطاهر فأدوه إلينا معشر المؤمنين بالمسيح فقبلناه منهم بالآيات العجيبة ونحن مقيمون عليه بفضله ونعمته إلى انقضاء العالم. وأما قولك عبادة الصليب التي تضر ولا تنفع ما رأيت من تعظيمنا إياه وتقبلينا له وتبركنا به فنجيبك عنه قائلين أنا نفعل ذلك للذي مثل لنا فيه من أمر المسيح وما جرى به تدبيره في خلاصنا واستنقاذنا من الهلكة باحتماله الصلب عليه والموت لأجلنا فإن النعمة عندنا في ذلك مما لا يبلغه منا وصف ولا يفي به شكر والصليب ممثل هذه النعمة نصب أعيننا يحثنا على شكر موليها والمنعم بها وإليه نقصد بالتعظيم والتبجيل لا إلى الخشب وغيره مما تصنع منه الصلبان ولو كنا نعظم الخشب كما توهمت لما اتخذنا الصليب من غيره ولكنا نتخذه من الخشب والذهب والفضة والحجارة والجواهر وغيرها ونخطه خطاً ونرسمه بإيماننا وذلك دليل على أننا لا نقصد بالتعظيم الجواهر التي تتخذ منها الصلبان بل من هو ممثل بالصليب وكما أنه من السنة تعظيم كل شيء من أمر الملك وما نسب إليه وخاصة الممثل فيها شخصيته فإن السنة جارية فيها على وجه الدهر بأن نتحفها بالسجود تعظيماً للملك وما مثل فيها من أمره فكذلك نوجب نحن تعظيم الصليب وتكرمته واستلامه إذ كان ممثلاً لنا أمر المسيح سيدنا وملكنا

---

(1) قابل متى 19:28 و 20

وجســـيم نعمته عندنا لما صلب دوننا ثم أن الناس في هذا الدهر أيضاً علـــى بقية من هذه السنة فأنهم يقبلون أيدي ملوكهم وأقدامهم وكتبهم إعظامـــاً لهم فيحظون بذلك عندهم ويرونه لهم من أنفسهم براً ورشداً فكـــيف الآن تنكر علينا تعظيم الصليب واستلامه ومحله عندنا المحل الذي وصفنا وأننا نجد في الكتب المنزلة من عند الله أن الأنبياء كانوا يعظمـــون التابوت الذي عمله موسى بأمر الله تبارك اسمه ويسجدون بين يديه وكان موسى كلما حمل التابوت يقول «قم يا رب ولينهزمنّ شانئوك» وإذا وضع يقول «عد يا رب إلى الألوف وعشرات الألوف مـــن بني إسرائيل» ومما حدّث يشوع ابن نون عن بني إسرائيل أنهم خـــروا سجداً بين يدي التابوت معظمين له عائذين به مما نالهم وداود النبـــي حيـــن نقـــل التابوت إلى أورشليم عظمه غاية التعظيم واتحفه بالذبـــائح والقرابيـــن وشيعه بالتسبيح والتهليل وافتتح ذلك بمثل مقالة موســـى النبي فقال «ليقم الله وليتبدد جميع أعدائه ويهرب شانئوه من بيـــن يديـــه». وكان فعلهم هذا بالتابوت تعظيماً لله لا للخشب وغيره فنحـــن على هذه السنة أيضاً في تعظيم الصليب ونجري فيها على ما جـــرى عليه الأنبياء الأبرار» فلمِ أصلحك الله غلب عليك النسيان في هذا الموضع كأنك جاءتك حمية الإسلام وحرضتك العصبية الهاشمية فأزاغتك عن سبيل الحق وحادت بك إلى خلاف ذلك السبب الذي أنت أقـــررت بـــه بفـــيك ولفظ به لسانك مما جربت من القوة الحالة في الصـــليب حين استعذت به عند سقوطك عن الدابة وحين هربت ممن هربـــت منه وحين لقيت الذي لقيت في طريقك وأنت ماض إلى عمر

الكـــرخ وحين تلقاك الأسد وقاربت ساباط المدائن أفتراك أصلحك الله نســـيت هـــذه المواقـــف فإن كنت أنت نسيتها فنحن ذاكرون لها فلم أصـــلحك الله تكفـــر بالـــنعمة وتكافي بالشر وتقل من الشكر وتنكر المعـــروف وليس هذا مذهب من هو مثلك من أهل التخرج والتمسك بالصـــدق ولم قلت أن عبادة الصليب تضر ولا تنفع فليت شعري أي ضـــرر ذلـــك عند تعوذك بالصليب وأنت تعلم أنا معشر النصارى لا نعبد الصليب وإنما نعبد القوة الحالة في الصليب والتأييد الذي أيدنا به والخـــلاص الـــذي أوتيـــناه بســـببه ألم يجر بيننا من الكلام والحاجة بحضـــرة من جرى ما قد أقنعك وتعلم كيف كان الحكم عليك في ذلك المجلـــس فلـــم رجعـــت عما كان صح عندك وأقررت بصوابه حتى ذكرت أنك امتحنت ذلك فوجدته صحيحاً أو كان ذلك من الحكم الذي جرى عليك ممن قد علمته أم إنما أردت مدافعة ذلك الوقت على أني أرجـــو أن لا يكـــون هـــذا القول منك في الصليب اعتقاداً ولا إبطالاً للفضيلة التي رأيتها حالة فيه.

وأمـــا قولك أنك أشفقت عليّ من النار ورضيت لي ما رضيته لنفسك فهذا القول يجب شكرك على ظاهره وإذا عكست قولي لك فيه وجـــب شكري عليك في باطنه فميز أعزك الله هذا الموضع وأفهمه فإنـــه أصـــلح في البدء والعاقبة وما شرط الكلام الذي لا نفع فيه ولا خير وكيف أقول وأنت تسأل وتتضرع إلى الله كل يوم في صلواتك الخمـــس قـــائلاً «اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين» فإن كنت يرحمك الله مهتدياً فقد

اســتغنيت عن المسألة والتضرع في كل وقت وعند فاتحة كل صلاة أن يهديــك إذ لا معنى لطلبك الهداية وأنت مستغن عنها وإن كنت لم تهــتد بعــد وكنــت طالب الهداية فأعلمني أكرمك الله من هم هؤلاء المــنعم عليهم الذين تسأل ربك تبارك اسمه ليلاً ونهاراً أن يهديك إلى صــراطهم ويلحقك بهم وأنت تدعي أنكم «خير أمة أخرجت للناس» وأن الديــن عند الله الدين الذي رضيته أنت لنفسك وأنه لم يقبل غيره مــن الأديــان والنحل أهم المجوس عبدة الشمس والنار ذوو الشرائع النجســة التــي تبيح نكاح الأمهات والأخوات والبنات وما شاكل ذلك مــن الســنن الدنسة التي تأنفها النفوس وتستشنعها العقول وتنفر منها الطــبائع فأنــت تعلــم وكل ذي خبرة أيضاً أن هؤلاء لم ينعم عليهم بالمعرفة التامة إذ هم لا يوحدون بل يشركون مع الله سبحانه وتعالى معــبودهم إبلــيس فليست المجوس إذن المنعم عليهم فأخبرني هل هم الــيهود الذين تبرأ صاحبك منهم وقال كتابك فيهم أنهم هم المغضوب علــيهم المــرذولون المشتتون بين الأمم الملقى عليهم الذل والمسكنة مــنهم القردة والخنازير الملعونون على لسان كل نبي ورسول فليست الــيهود إذن المــنعم علــيهم الذين تسأل أن تهدى إلى صراطهم وما صــراطهم بمســتقيم وأن قلــت عبدة اللات والعزى ويغوث ويعوق وكسرى وشمس وجهار وهبل ونسر وسواع وود وأساف ونائلة وذي الكفيــن ومناة وسعد وذي الخلصة وسائر الأصنام التي كانت العرب تعــبدها بمكة وتهامة فهذا كتابك ينقض عليك قولك ويدحض حجتك مــن قــرب قــائلاً «ووجدك ضالاً فهدى» فالضالون إذن هم عبدة

الأوثـــان إذ قـــال وجدك ضالاً فهدى لأن صاحبك لم يكن يهودياً ولا نصـــرانياً ولا مجوســـياً وإنما كان حنفياً يعبد أساف ونائلة الصنمين اللذيـــن كانـــت قـــريش تعبدهما والأحابيش فلما منّ الله عليه بمعرفة التوحـــيد بالســـبب الـــذي ذكرناه سالفاً سأل ربه أن يعيذه من صراط الضالين الذين هم عبدة الأصنام فإن ادعيت وقلت أن صراط الدهرية والجرهانـــية والســـماتية والبراهمة وغيرهم ممن اشبههم في المقالة واعـــتقاد الزنادقة هو الصراط المستقيم وهم المنعم عليهم قلنا لك هذه المقـــالات أنت تعلم وكل ذي عقل وعلم أن صاحبك لم يسمع بها قط ولا عـــرفها ولا حضر المجالس التي يجاوب فيها عنها بل تعوذ منها ومـــن صراطهم وإذ قد تعوذت من صراط المجوس وصراط اليهود المغضـــوب علـــيهم وصـــراط عبدة الأصنام الذين هم الضالون ولم يخطر ببالك صراط الدهرية والجرهانية والسماتية والبراهمة فما بقي إلا صـــراط المـــنعم عليهم الذين هم النصارى وهو الصراط المستقيم وهداية رب العالمين المنعم بالمعرفة الكاملة بالله وكلمته وروحه عز وجـــل وبالسنن الحسنة والشرائع الروحانية وما قلت أصلحك الله شيئاً لا تفهمـــه وإنمـــا ذكرتك ما تعلمه وإلا فهل تقدر أن تجحدنا حقنا هذا الذي في أيدينا ولنا من النعمة التي أوتيناها وهو نور الإنجيل وهدايته ومـــا أقـــر لنا به صاحبك في كتابه ولم ينكره وجميع الأديان والأمم مقـــرّون مذعـــنون لنا به لا يتهيأ لهم دفعه، ولا يمكنهم إبطاله فأمعن يرحمك الله النظر في هذا الفصل من كتابنا وردد فكرك فيه كفعل من يـــريد نصـــح نفسه لا كفعل من يريد غشها فإن النصيحة واجبة على

الناس جميعاً وهي على المرء لنفسه خاصة حق والحق أحق أن يتبع فـــلا ينبغـــي أن تبخس الحق وحقه أرشدك الله إلى الخير وهداك إلى الصراط المستقيم بحوله وقوته.

وأمـــا قولك يرحمك الله أن أكتب بما عندي من أمر ديني والذي صح في يدي منه آمناً مطمئناً لتبصر فيه وتجمعه إلى ما في يدك فما أولاك بذلـــك أصـــلحك الله وما أجدرك بفعله لأن الحجة عليك أوجب مـــنها على غيرك لما قد فضلك الله به من العقل والتمييز ولما عرفته ودرسته من الكتب واختبرته من المقالات والحق أهم أن تفضله ذوو العقـــول علـــى الأمـــور كلها لجلالة مرتبته لأنه ميزان الله سبحانه ودســـتوره ونحن نسأله تعالى أن يقبل بقلبك وينير عقلك ويفتح عين نفســـك لتنظر في ما يمليه علينا الروح القدس نظراً ينفعك الله به في العاجل والآجل كما نسأله عز وجل أن يفعل ذلك أيضاً بكل من ينظر في كتابنا هذا بمنه وكرمه.

فلنبدأ الآن بتطهير قلوبنا وأسماعنا وتقديس ألسنتنا بالإخبار عن أسباب البشارة الطاهرة المقدسة وتصدر بعض شهادات الأنبياء الذين اســـتودعهم الله سره وكلمهم بوحيه وأمرهم بأن يخبروا الناس بما هو مـــزمع علـــيه من سابق علمه من إكمال نعمه عندهم وإتمام تفضله علـــيهم ببعث ابنه الحبيب الذي هو كلمته الخالقة فاتخذ منهم جسداً[1] بشـــرياً وصـــار إنســـاناً يجـــب له بذلك المجد السجود والطاعة من الملائكة والإنس والشياطين والإذعان بالربوبية المتحدة به والألوهية

(1) انظر يوحنا 1:4

الحالـــة فيه وليعلم الناس مخاطبته إياهم شفاهياً مصرحاً أنه الله والحد المثلـث الأقانيم آب وابن وروح قدس إنه واحد تام فيستكملوا النعمة بالمعرفة فيكون جل وعز قد أتم جوده عليهم وإحسانه إليهم بتعريفهم سـره المخــزون وتكــون حجته بالغة عليهم وتنقطع حجة المتعنت ويضمحل قول القائل إنه لم يؤت المعرفة وإن الأمر كان مستوراً عنه محجوبــاً دونه مرموزاً لا يفهمه فحينئذ لا عذر لمن جحد الحق ولا علـــة لمن عانده كما قال بولس رسول المسيح «لينسد كل فم ويصير كل العالم تحت قصاص من الله[1]» وقال الله تبارك وتعالى على لسان موســى في التوراة في السفر الأول الذي هو سفر الخليقة إن يعقوب المعــروف بإســرائيل الله لمـــا قربت وفاته دعا أولاده كلهم فباركهم وأخــبرهم واحــداً فواحداً حتى انتهى إلى يهوذا الذي من نسله ولدت المغــبوطة مــريم أم المســيح مخلص العالم فقال «يهوذا لك تخضع أخوتك يدك على أكتاف أعدائك. يسجد لك بنو أبيك. شبل ليث يهودا. مــن فريسة صعدت يا بني. جثا وربض كأسد وكلبوة من ينهضه. لا يــزول القضيب من يهوذا والمدبر من فخذه حتى يجيء الملك وإياه تنــتظر الشــعوب[2]» فانظر أعزك الله في هذا الكلام نظراً روحانياً مستقصياً بعين العدل والإنصاف وتفهمه فإن من لم يفهمه لم ينتفع به هــل تليق هذه النبوة من ذلك الشيخ المبارك إسرائيل الله وصفيه إلا علــى المسيح مخلص العالم لأنه هو الخارج من يهوذا بإنسانيته وله

---

(1) انظر رومية 19:3

(2) انظر تك 10:49 ـ 18

خضـــع بنو إسرائيل لما دخلوا في دعوته وصارت يد الروم التي هي يـــده على أكتاف من عاداه من بني إسرائيل وجحدوا ربوبيته وكفروا بـــه فقتلـــتهم الـــروم ومزقتهم كل ممزق فلا تقوم لهم قائمة أبداً ولا يـــزالون إذلاء إلـــى الانقضاء وزوال الدنيا وهو الذي بعث من بين الأموات حياً بعد ثلاثة أيام من صلبه وهو الذي سجد له بنو إسرائيل حيـــث رأوا الأعاجيـــب والآيات التي أظهرها بين أيديهم وهو شبل الليـــث لأنـــه ابن الله القوي العزيز الجبار. لم تزل النبوة تترادف في بنـــي إسرائيل حتى جاء المسيح رجاء البشر الذي أنبأت عنه النبوات كلهـــا التـــي كانت تهتف بالدلالة على مجيئه وتشهد لظهوره وتبشر بطلوعـــه فلمـــا جاء المسيح سيدنا انقطعت النبوات عن يهوذا وبني إســـرائيل فلم يقم نبي بعد مجيئه وإياه كنت تنتظر الشعوب وله كانت تترجى الأمم وكما أنه لا معنى لمجيء الرسل بعد طلوع الملك عليهم كذلك لا معنى للأنبياء بعد ظهور الإله المسيح الذي هو بالحقيقة ملك كمـــا ســـبقت الأنبياء وسّمته ملكاً وتنبأ زكريا النبي هاتفاً بصوته عن الـــروح القـــدس على كلمة الله تبارك وتعالى فقال «افرحي[1] يا بنت صـــهيون واهتفـــي يـــا بنت أورشليم هوذا ملكك يأتيك باراً ومخلصاً ومتواضـــعاً وراكباً حماراً وعلى جحش أتان فتهلل لمجيئه المراكب من أفرام والخيول من أورشليم ويكسر قسيّ القتال ويخاطب الشعوب بالسلام والأمان» فهل أصلحك الله تصدق هذه النبوة إلا على المسيح أنـــه جاء بالبر والخلاص والتواضع ثم أباد بمجيئه من بيت المقدس

---

(1) قابل زكريا 9:9 و 10

وأورشليم التي هي صهيون جميع ما كان فيهما من المراكب والخيل المعــدة للحرب وانكسرت القسيّ التي هي من آلات القتال ودالة عليه وركــب جحشاً ابن أتان تواضعاً وكلم الأمم الذين هم الشعوب بالسلم والأمان وأدخلهم في ميراث دعوته وجعلهم أبناء ملكوت السماء الذي هــو موعــد الله تــبارك اسمه. وهذا داود النبي وهو لسان الله يقول مصــرحاً «الرب[1] قال لي أنت ابني أنا اليوم ولدتك. اسألني فأعطيك الأمــم مــيراثاً لك وأقاصي الأرض ملكاً لك» أي أنهم مزمعون أن يدخلوا في دعوته وطاعته وأن سلطانه يمتد إلى أقاصي الأرض وقال أيضــاً: «يــا أيهــا[2] الملوك افهموا ويا حكام الأرض اعلموا اعبدوا الــرب بخشــية وســبحوه بــرعدة وأقبلوا الابن لئلا يغضب فتهلكوا بســخطه لأنه عما قليل يستشيط غضباً طوبى للمتوكلين عليه» معنى ذلــك اقبلوا ما يأتيكم به الابن وهو المسيح ويقوله لكم بشفتيه ولسانه فــإنكم إن لــم تقبلوا ذلك غضب فيهلككم بغضبه لأنه بعد قليل يشتد غضــبه علــى الــيهود الجاحدين لربوبيته الذين لم يقبلوا منه ما قال فهلكوا وبدد شملهم وطوبى للمتوكلين عليه أي المؤمنين به والمصدقين لقولــه وقــال أيضاً «قال[3] الرب لربي اجلس عن يميني حتى اجعل أعــداءك موطــئاً لقدمــيك لأن الرب يبعث عصا العز من صهيون ويسلطك على أعدائك» فافهم أفهمك الله كل خير قول النبي داود هذا

---

(1) انظر مز 2:7 و8

(2) انظر عدد 10 ـــ 12

(3) انظر مز 110

فــإن فيه سراً يحتاج إلى معرفته كل ناظر في كتابنا هذا ليصح عنده الأمــر... فــأقول إن عــادة العبرانيين منذ عهد موسى نجي الله أن الأحــرف التــي يكتبون بها اسم الله تبارك وتعالى أحرف منفردة لا يكتــبون بهــا شيئاً غير ذلك وهكذا كانت هذه الأحرف في اللوحتين اللذين دفعهما الله تبارك اسمه إلى موسى النبي ففي قول داود عن الله عــز وجل قال الرب لربي هما اسمان مكتوبان بالأحرف التي تسمى المــنفردة التي لا يكتب بها إلا اسم الله تبارك وتعالى فهذا عند اليهود والنصارى وهما أمتان متعاديتان لا اختلاف بينهما فيه ولا شك وذلك عــن غير تواطؤ فافهم هذا السر الذي أوعزه الله تبارك وتعالى إلى نبــيه فإنك إذا وقفت الفكر فيه وجدته تصريحاً لقوله قال الرب لربي وقــال فــي موضع آخر «الرب[1] أشرف من علو قدسه الرب، من الســماء ظهر على الأرض ليسمع أنين الأسرى ويطلق المربوط من المــوت» ومعــناه مــوت الخطيئة الذي هو عبادة الأصنام وانقطاع الــرجاء مــن موعد الحياة الدائمة التي بشر بها المسيح مخلصنا إنه يعطيــنا إياهــا يــوم القــيامة قال «ليدارسوا في صهيون اسم الرب وبتسبيحه في أورشليم عندما تجتمع الأمم والملوك معاً لعبادة الرب» فقــد كملت نبوة داود وهذه أورشليم تجتمع فيها الأمم ويدارسون اسم الــرب أي اســم الآب والابــن والــروح القدس الذي هو اسم الرب المخــزون ويمجدونــه بــأنواع التماجيد وأصناف التسابيح بالألسن المختلفة واللغات الغريبة آناء الليل والنهار لا يملون ولا يفترون ولا

---

(1) قابل مز 102:19 ـ 22

ينقصـــون مـــا يجب عليهم من حق عبادته بقصدهم إياها من البلدان الشاسعة وجميع أقطار الأرض البعيدة فمن عاند هذا يا خليلي فما هو عـــند أهـــل الحـــق إلا جاحد كافر قد أعماه الجهل وطمس على قلبه بالحسد وهذا أشعياء المغبوط قد تنبأ وصرخ بأعلى صوته قائلاً «قال الله تـــبارك وتعـــالى تقـــوّي[1] أيتها الأيدي الضعيفة ويا أيتها الركب المرتعشـــة تثبّتـــي وقـــل لضعفاء القلوب تقووا ولا تخافوا فإن إلهكم يجـــيء إلهاً مخلصاً فيخلصكم هناك تتفتح أعين العميان وآذان الصم تســـمع ويقفز المقعد في ذلك اليوم كالأيل ولسان البكيم يتكلم» وأنت أرشـــدك الله الحق تعلم أن كتابك يشهد بأن المسيح الإله قد فعل وهذا كلـــه وأنه أبرأ المقعد الذي كانت قد أتت عيه ثمان وثلاثون سنة فقال لـــه «قم[2] احمل سريرك واذهب إلى بيتك. فقام عاجلاً ومضى وهو الـــذي أبرأ ذلك الأبرص والأخرس الأبكم المعتوه المشروح خبره في الإنجيل الصادق وما جرى من قول اليهود الكفرة البهت عندما عاينوا بـــرءه وخروجه سليماً من جميع العاهات التي كانت به وتقريع سيدنا إياهم ودحضه حجتهم وقال أشعياء النبي أيضاً في موضع آخر مشيراً إلـــى مولد المسيح «اسمعوا[3] يا بيت داود الرب يعطي علامة لشعبه هـــوذا العـــذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل» تفسيره إلهنا معنا فاي شيء يكون أكثر توضيحاً من هذا فهذه بعض النبوات التي

---

(1) انظر اش 3:35 ـــ 6

(2) قابل متى 6:9

(3) انظر اش 14:7

تنبأ بها الأنبياء على مجيء السيد المسيح محيي العالم وكنا نريد أن نزيد من الشهادات ولكنا كرهنا أن نطول كتابنا فيمله القارئ وفي ما أتيناه كفاية لمن لا يعاند الحق ويظلم نفسه وكأني بك أصلحك الله قد ذكرت التحريف في هذا الموضع واحتججت علينا بأننا حرفنا الكلم عن مواضعه وبدلنا الكتاب وكأن هذا القول جعلته كهفاً لك تستتر به وإني لأخبرك خبراً حقاً فاسمعه مني وعه واقبله فإن قولي ليس قول باغ ولا حاسد ولا متعنت معاند بل إنما هو نذر مني لك ونصح إذ كان ديني يوجب عليَّ نصيحة كل أحد فأنا بذلك مشفق عليك من كثرة الجهل وصرعته وخيمة وما أعلم أين سمعت قط بحجة أشد انقطاعاً وأوحش انفساخاً من حجتكم في باب التحريف والتبديل وإلى لأعجب منك ومن نظائرك ممن فتش كتب مقالات الحق وكان له ذهن صحيح يميز به كيف يجوز مثل هذا عليه وأنت تعلم أننا نحن واليهود الأعداء الكفرة الجاحدين لما جاء به نور العالم وضياء الدنيا المسيح سيدنا ومخلصنا قد اجتمعنا عن غير تواطؤ على صحة هذا الكتاب وأنه منزل من عند الله لا تحريف فيه ولا تبديل ولم تلحقه زيادة ولا نقصان وإلا فنحن ندعوك إلى واحدة هي نصفة لنا ولك ائتنا أصلحك الله أنت أيها المدعي علينا التحريف والتبديل إن كنت صادقاً بكتاب غير محرف ولا مبدل يشهد لك على صحة الآيات العجيبة كما شهدت الأعاجيب للأنبياء والحواريين حيث جاؤونا بصحة هذا الكتاب فقبلنا ذلك منهم وهو في أيدينا وأيدي اليهود بلا زيادة ولا نقصان وإني لأعلم أنك لا تقدر على ذلك أبداً حتى نأخذه

مـــنك أيضـــاً كيف وكتابك يشهد بصحة ما في أيدينا شهادة قاطعة إذ يقول «فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فأسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين» (يونس) ثم فسر هذا القول وأكده معترفاً لنا بالفضيلة التي أوتيناها قائلاً «الذين أتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوة أولئك يؤمنون به ومن يكفر به فأولئك هـــم الخاســـرون» (بقرة) فافهم يرحمك الله كيف قال وشهد لنا كتابك بحق التلاوة في موضع تكون فيه تلاوتنا وقد أمر أن نسأل ويقبل منا كـــل مـــا نقوله فكيف تدعي وتقول إنه قد وقع منا التبديل والتحريف للكلـــم عـــن مواضـــعه فهل هذا إلا حكمان متناقضان يتبين لكل أحد الســـبب فيهما إذ كنت تشهد لنا بحق التلاوة ثم تعود فتزيف شهادتك وتكذب نفسك وتقول بالتحريف والتبديل فبهذا غاية المحال والشناعة، فـــإذا كنـــت لا تقـــدر أنـــت ولا غيرك أن تأتي بمثل الشريطة التي شـــرطناها وهـــو ممتنع من إمكانك فمالك والمباهتة التي ليست من عادتك ولا أخلاقك وتشنع علينا وتقول إنا حرفنا الكتاب وبدلنا تنزيل الله وغـــيرنا كلامـــه ونحـــن نتلوه حق تلاوته كما شهد لنا صاحبك فأنصف أصلحك الله واطلب رضى ربك كما يجب على ذوي العقول وانظـــر مـــن هو المحرف والمبدل أنحن الذين أخذنا الكتاب عن قوم جـــاؤوا به على صحته بالآيات والعجائب الإلهية الخارجة عن إمكان طبائع الأدميين واتفقت عليه الأمم المختلفة الألسن والأهواء والديانات والبلدان البعيدة الذين لا يمكن أن يقع بينهم في مثله تواطؤ بحيلة من الحـــيل أم الـــذي قبل كتاباً بلا حجة ولا دليل ولا شهادة عن نبي ولا

ذكــر ولا إعجوبـــة تشهد له وإنما تناوله عن ناقل نقله بلسانه ولسان أهـــل بلده فقط فجعل ذلك برهاناً له وزعم أن الكتاب الذي هذه حاله وقصـــته يجــري مجــرى فلـــق البحر وإحياء الموتى وإبراء الكمه والـــبرص وإقامـــة المقعدين وأخذه لذلك الكتاب عن قوم كانت بينهم الإحن والضغائن وكل منهم زاد فيه ونقص وبدل وغير واجترأ حتى نسبه إلى الله تعالى وزعم أنه دليل على نبوة نبيه وأنه شاهد عدل له بأنـــه رســـول رب العزة ثم لم يرض بهذا بل تعداه وقال من لا يقبل كتابي هذا ويقول أنه منزل من عند الله وإني نبي مرسل قتلته وسلبته مالـــه وســـبيت ذراريه واستبحت حريمه فقبل ذلك منه كرهاً وخوفاً وفـــرقاً لمـــا توعد به من البلاء والشقاء بلا حجة ولا برهان فاجعل أصـــلحك الله عقلك هو الناظر والحاكم في هذا والمميز له وانظر إلى مـــا يؤديك فالزمه واعتقده فإني واثق بعقلك أنه يخلص لك ولا يغشك لأن الله تبارك وتعالى اسمه إنما جعل العقل ميزان العدل فاستعمل ما فضلك الله به فإنك إن بحثت تدرك الحقائق بحول الله تعالى.

فلـــنرجع الآن إلى ما كنا فيه من ذكر البشارة الطاهرة فنقول إنه قـــد صح عند ذوي العقول الأصلية أهل البحث والتدقيق وتقرر عندهم بالقياســـات والاجتماع عن غير تواطؤ أن النبوات التي أودعتها الأنبياء كتـــبهم عن الله جل وعز قد تمت وكملت عند مجيء المسيح المرتجى فلنـــنظر الآن في الآيات التي جاء بها المسيح سيدنا الدالة على سلطان ألوهيـــته وقـــدرة ربوبيـــته فـــنقول أن أول ذلك ومبتداه أن الله الرحيم المتفضـــل علـــى خلقـــه اخـــتار من جنس آدم الذي خلقه بيده وشرفه

بصـــورته وفضله بشبهه على الخلائق كلها جارية عذراء زكية طاهرة مقدســـة نقـــية لا عيب فيها لا في نفسها ولا في بدنها ليحل فيها كلمته وروحـــه ويأخذ منها جسداً بشرياً تاماً فيتحد به ويخاطبنا وجعل المبشر لها جبرائيل رئيس الملائكة ائتمنه على هذه البشارة وفضله على سائر أجـــناد الســـماء وأحله أشرف المنازل ببعثه إياه رسولاً إلى خيرته من ذريـــة آدم ســـيدة نساء العالمين مريم المغبوطة بنت يوا كيم والدة ربنا يســـوع المسيح الإله المخلص فجاءنا مبشراً من عند الله مكرماً ومهنئاً فخاطبها قائلاً «السلام[1] عليك أيتها الممتلئة نعمة سيدنا معك» ولم يقل «ســـيدي» بل جمع أجناد الملائكة كلها بقوله «سيدنا» فمن سيد الناس والملائكة جميعاً إلا كلمة الله الأزلية التي خلقت السموات والأرض كما قـــال داود فافهم يرحمك الله هذا السر المخزون في كتب الله ودع عنك عمـــاء الجهل والعصبية أنار الله عقلك وخلصك من ظلمات الضلال ثم قـــال جبرائيل في اثر ذلك القول «أنك تحبلين وتلدين ابناً وتدعين اسمه يســـوع» الـــذي تفسيره المخلص «هذا يكون عظيماً وابن العلي يدعى ويعطـــيه الرب الإله كرسي داود أبيه ويكون ملكه على آل يعقوب إلى الأبد ولا يكون له انقضاء» فلما خاطبها جبرائيل بهذا تعجبت من قوله فـــردت عليه قائلة «من ابن يكون لي هذا ولم يباشرني رجل» فأجابها جبرائيل قائلاً «الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظللك ولذلك يكون الـــذي يولد منك قدوساً وابن العلي يدعى» ثم أعقب قوله ذلك بإعطائها الدليل لتزداد يقيناً ولا ترتاب ولا يكون للشك عندها موضع بقوله ثانية

---

(1) قابل لوقا 1:28 ـ 36.

«وهــوذا اليصـــابات قريبـــتك قد حبلت بابن على كبر سنها وهذا هو الشـــهر السادس من حبل تلك التي كانت عاقراً» فهذه أعجوبة البشارة التـــي لا تكـــون ولا يلـــيق مثلها إلا بهذا السيد المخلص. فأصغ الآن لشـــهادة المخـــالف التي تؤكد الحجة عليه إذ يقول صاحبك طائعاً مقراً «وإذ قالـــت الملائكـــة يـــا مريم أن الله اصطفاك وطهرك على نساء العالميـــن يـــا مريم أقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين ... يا مريم أن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيهاً في الدنـــيا والآخـــرة ومـــن المقربيـــن ويكلم الناس في المهد وكهلاً ومن الصـــالحين» قالت رب أنّى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر قال كذلك الله يخلـــق مـــا يشـــاء إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون ويعلّمه الكـــتاب والحكمـــة والتوراة والإنجيل ورسولاً إلى بني إسرائيل إني قد جئـــتكم بآيـــة من ربكم إني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله وأبرئ الاكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله وأنبـــئكم بمـــا تأكلون ومما تدخرون في بيوتكم إن في ذلك لآية لكم أن كنـــتم مؤمنين ومصدقاً لما بين يدي من التوراة ولأحلّ لكم بعض الذي حـــرم عليكم وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله واطيعون» (آل عمران) فهـــذا قـــول صاحبك وشهادته وإقراره بالحق مذعناً ومصدقاً فهل تعلم أصـــلحك الله أو تذكر في ما قرأته من كتب المخالفين أحداً كان له في ابـــتداء أمـــره من البشارة مثل ما قصصنا عليك عن الله عز وجل في الإنجـــيل الطاهـــر المقدس وعن كتابك الذي تدعي أنت بصحته وتقر

بعدالــته وشهادته ثم أن مريم[1] الطاهرة المباركة صارت إلى أم يحيى بن زكريا وقد كانت هي وزوجها بارين تقيين عندما حبلت بيوحنا فلما قرعــت باب منزلها بالتسليم عليها على السنّة الجارية عندهم اضطرب الجنيــن في أحشائها فرحاً وهتفت أمه بصوت عال قائلة «من أين لي هــذا أن تأتــي أم ربي إلي. مذ وقع صوت سلامك في أذني اضطرب الجنيــن في بطني ساجداً فرحاً» ومن قول صاحبك في زكريا «هناك دعــا زكــريا ربــه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعــاء. فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب. إن الله يبشرك بيحيى مصدقاً بكلمة من الله وسيداً وحصوراً ونبياً من الصالحين» (آل عمــران) فعنى بذلك المسيح كلمة الله وسيد ذرية آدم عليه السلام فإن «مصــدقاً» صــفة ليوحنا ولكن «كلمة الله وسيداً» ليست بصفة يوحنا ولكــن «كلمة الله وسيداً» ليست بصفة ليوحنا لأنه لم يؤمن بيوحنا أنه كلمــة الله ولا كان سيداً فأما حصوراً ونبياً ومن الصالحين فمن صفات يوحــنا لأنه كان نبياً وحصوراً ومن الصالحين فأنت أصلحك الله إن لم تعســف الكــلام وتحيله عن حقه علمت علماً حقاً أن هذا معناه. ثم أنه ظهــر للمجوس في بلاد فارس الكوكب الدال على ميلاد الملك العظيم الــذي لا زوال لملكــه وأن له الملك بالحقيقة وكان علماؤهم قد سبقوا فأخــبروهم بخــبره في الكتب وعرفوهم وقت ظهوره وأعطوهم الدليل على ذلك والعلامة ظهور كوكب يتقدمهم في المسير إليه وقضاء بعض حــق عبادته بالسجود له والخضوع لطاعته فلم يزل المجوس ينتظرون

---

(1) قابل لوقا 1:39 ـ 44

ذلك ويتوقعونه راجين ومؤملين حتى جاء الوقت وظهر الكوكب[1] الذي هـو الدلـيل على ميلاد السيد العظيم فجاؤوا من بلاد فارس إلى بيت المقـدس الذي هو أرض اليهودية بهداية الكوكب حتى وقف ببيت لحم فقضـوا الغرض وأدوا حق الطاعة ورأوا ما كانوا يؤملونه وأدركوا ما كـانوا يرجونه وانصرفوا مؤمنين غير شاكين ولا مرتابين بل فرحين مسـرورين لما أهلوا له. ثم ظهر ملك[2] من الملائكة عند ولادته لقوم مـن الرعاة يرعون أغنامهم فقال لهم عندما أشرق عليهم نور البشارة بمـيلاد السيد ها أنا أبشركم بفرح عظيم يكون لكم وللناس كافة أنه قد ولـد لكم مخلّص يعني لأولاد آدم جميعاً وهو السيد المسيح والدليل لكم أنكـم إذا صرتم إلى الموضع تجدون صبياً ملفوفاً في أطمار موضوعاً فـي مذود فلم يفرغ من كلامه حتى ظهرت لهم أجناد الملائكة مع ذلك الملك وهي تطير ما بين السماء والأرض بتهليل وترتيل وتهتف جميعاً بصـوت عال وتسبح وتقول «المجد لله في العلا وعلى الأرض السلام وفي الناس المسرة والأمن والرجاء الصالح للناس كافة، ثم أقبل الرعاة إلى ذلك الموضع مسرعين فوجدوا المولود ملفوفاً في أطمار موضوعاً فـي مـذود على ما أخبرهم به الملك فصدقوا وأمنوا وأخبروا بخبرهم ومـا عاينوه من أجناد الملائكة وما سمعوه من التسبيح العجيب وقصوا قصـة مجيـئهم فتعجب من ذلك كل من سمع. فهذه أصلحك الله قصة البشارة والميلاد على غاية الاقتصار من القول. فلنخبر الآن كيف كان

(1) انظر متى 2:1 ـ 12

(2) قابل لوقا 2:8 ـ 20

ابـــتداء الدعـــوة فـــنقول لما أتت على سيدنا يسوع المسيح ثلاثون سنة وظهـــر يحيى بن زكريا، بتلك المعمودية بماء نهر الأردن التي للتوبة صـــار إلـــيه المسيح ليصطبغ منه. فلما رآه يحيى قال «هذا[1] حمل الله الحامل خطايا العالم» ثم قال «يا سيدي أنا محتاج أن أطهر منك وأنت صرت إلي لتتطهر مني» فأجابه يسوع قائلاً «دع الآن لأنه هكذا يجب علينـــا أن نكمـــل كـــل البر» ثم لم يزل مجتهداً حتى عمده فلما صعد المســـيح من الماء انفتحت أبواب السماء ظاهراً مكشوفاً تجاه العالمين الذيـــن كانوا هناك فرأوا الروح القدس قد حل عليه في صورة حمامة وإذا بهـــاتف يهتف من السماء بصوت عال قائلاً «هذا هو ابني الحبيب الـــذي به سررت» فتعجب لذلك يحيى بن زكريا وجميع من حضر. ثم ابـــتدأ فـــي إظهـــار دعوة الناس بعد ذلك إلى اليوم الذي طلع فيه إلى الســـماء وحـــثهم علـــى التوبة ورفض الدنيا والزهد فيها وترك الأهل والولـــد والأمـــوال واللحوق به والترغيب في أعمال البر والكف عن المـــآثم والتحبيـــب لاصـــطناع المعروف إلى كل أحد وترك الضغائن والحســـد والطلـــب بالطوائل والأخذ بالثأر وترك المكافأة عن الإساءة والصـــفح عـــنها والتفضل على كل أحد بما هو حسن وأعلمهم أن هذا يقـــربهم إلى الله تبارك اسمه وحثهم على فعل ذلك ليستحقوا به جزيل الـــثواب وعظيم الأجر في دار المآب التي لا زوال لحياتها ولا انقطاع لنعـــيمها وأنذرهم بالبعث والنشور والقيام بعد الموت للحساب والثواب والعقاب فمن عمل صالحاً فله ثواب ذلك في ملكوت السماء ومن عمل

---

(1) انظر متى 3:1 ــ 17 ولوقا 53 21 ــ 22

شــراً فعلــيه العقــاب فــي نار جهنم خالداً فيها أبداً وحقق قوله بعمله الأعاجيــب وصدق وعده ووعيده بالآيات الظاهرة والعلامات الباهرة والدلائــل الواضحة التي لا يمكن المخلوقين أن يأتوا بمثلها وذلك بغاية الــرفق والخشــوع ومجانبة الفخر والبذخ اللذين هما من فعل الشيطان وأشباهه وإظهار الرحمة والمحبة والشفقة على الناس كافة وبذله كل ما سئل أو طلب منه لا يطلب على ذلك من أحد أجراً ولا شكراً إلا تمجيد الله وتحميده والتصديق بأن الله جل وعز قد أنجز وعده الذي وعد على ألسن أنبيائه وأكمل جوده وتفضله على آدم وذريته إذ بعث إليهم كلمته متجســداً مــنهم وأنقذهم من ضلالة الشيطان وسلطان الموت وعرفهم نفســه أنه إله واحد ذو ثلاثة أقانيم آب وابن وروح قدس فكان أول ما دعــاهم به قوله «توبوا[1] أيها الناس فقد دنا ملكوت السماء فأوعى في آذانهــم ذكــر الــتوبة والبعــث اللذين لا عهد لهم بهما ولا يعرفونهما ورغــبهم في ملكوت السماء ليعملوا أعمالاً يستحقون بها الدخول إليها وزهدهم في الأفعال التي كانوا مقيمين عليها والرجوع عنها إلى الأمر الــذي يوجب لهم مغفرة الخطايا وصام أربعين يوماً بلياليها تخدمه فيها الملائكة وتتعبد له وهو مجاهد في صومه كيد الشيطان معرفاً للناس أن الله تــبارك اسمه قادر على أن يحيي الإنسان بغير خبز ولا ماء ممثلاً فــي ذلك حال حياتنا بعد الموت في القيامة وأنه في ذلك الموت ترتفع عنا الحاجات كلنا ونحيى بلا أكل ولا شرب.

(1) قابل متى 2:3

ثـم ابتدأ في فرض الشرائع والسنن الروحانية وتعليم النواميس الإلهـية التـي تليق بالإله ونفي الأمور الجسدانية فكان من قوله في القتل «قد[1] سمعتم ما قيل للأولين أن من قتل يقتل وأما أنا فأقول لكم أن من غضب على أخيه باطلاً فقد استوجب العقوبة ومن عاب أخاه فقـد وجبت عليه لائمة الجماعة ومن أساء إلى أخيه فقد استوجب نار جهـنم ولا تغربن الشمس على أحد وهو غضبان على أخيه» ثم قال «إذا كنـت قائمـاً في صلاتك وتذكرت أن أخاك واجد عليك فاقطع صـلاتك وأمض إليه مترضياً له ثم أقبل وأتمم صلاتك» فقطع بهذه الشـريعة أصل العداوة وأسباب البغيضة التي تنمي القتل، ثم قال «قد سـمعتم أنه قيل لا تزن وأما أنا فأقول لكم من نظر إلى امرأة نظرة شـهوة فقد زنى في قلبه» فدلنا بهذا أن الله جل ثناؤه عارف بالظاهر والباطـن لا تخفى عليه خافية وهو المكافئ على السر علانية ثم قال «قـد سمعتم أنه قيل من طلق امرأة فليعطها كتاب طلاقها وأنا أقول لكـم من طلق امرأته من غير فاحشة أتتها فقد ألجأها إلى الزنا ومن تـزوج مطلقة فهو زان» ثم قال في ذم الكذب «قد سمعتم أنه قيل لا تكـذب فـي قسمك أما أنا فأقول لكم لا تقسمن البتة لا بالسماء لأنها كرسـي الله ولا بالأرض لأنها موطأ قدميه ولا بأورشليم لأنها مدينة الملك الأعظم ولا برأسك لأنك لا تقدر أن تحدث فيه شعرة سوداء أو بيضاء بل ليكن كلامك النعم نعم واللا لا وما زاد على ذلك فهو خطأ مـن الشـيطان» ثم قال في ذم الأخذ بالطوائل والترغيب في الصفح

---

(1) قابل كل هذه الوصايا في متى الإصحاح الخامس والسادس والسابع.

والامتـــناع من الانتقام «قد سمعتم أنه قيل العين بالعين والسن بالسن والجـــراح قصاص وأما أنا فأقول لكم لا تقاوموا الشر بل من لطمك علـــى خدك الأيمن فحول له الأيسر ومن طلب أن يأخذ قميصك فلا تمنعه رداءك ومن سخرك ميلاً فامض معه ميلين ومن سألك فأعطه ومـــن أراد أن يقـــترض مـــنك فـــلا ترده، فقطع بهذه الوصية سبيل الخصومات وبرد نار الملاحمات ورفع الشر القاطع بين الناس وقرب بعضـــهم من بعض وجمع بينهم بالتحابب وألان قساوة الغلظة وآنس وحشـــتها وجعل الناس أخوة في الرحمة والشفقة». وقال في التفضل والإحســـان «قد سمعتم أنه قيل أحبب قريبك وأبغض عدوك وأما أنا فأقول لكم أحبوا أعداءكم باركوا لاعنيكم وأحسنوا إلى من أساء إليكم وادعـــوا لمـــن اضطهدكم وساقكم كرهاً لتكونوا أبناء أبيكم الذي في السماء وتتشبهوا به فإنه يشرق شمسه على الأخيار والأشرار ويحدر قطره على الأبرار والفجار» ثم قال مؤكداً لهذه الوصية ومرغباً فيها «وإن كنتم تحسنون إلى من أحسن إليكم فأي أجر لكم أليس يفعل هذا الســـفهاء بل كونوا كاملين محسنين متفضلين كيما تشبهوا الرب الذي يمهلكـــم ويتفضـــل عليكم» ثم قال في البر «انظروا في صدقاتكم لا تعطوهـــا تجاه الناس تريدون بذلك براً منهم فيضيع أجركم لكن أنت أيهـــا المتصـــدق إيما تصدقت بصدقة إياك أن تعلم شمالك ما صنعت يميـــنك لكـــيما تكون صدقتك سراً والحق أقول لك أن أباك الذي في الســـماء يكافيك على صدقتك علانية» ثم قال «وأنت أيها المصلي إذا أردت الصـــلاة فـــلا تقفن في الأسواق وعلى ظهور الطرقات ترائي

الناس بصلاتك لكي يمدحوك الحق أقول لك أن فعلت هذا فلا أجر لك بل قد أخذت أجرك من الناس الذين مدحوك ثم قال أيها المصلي إذا أردت أن تصلي فادخل إلى مخدعك وصل بين يدي أبيك سراً وأبوك الذي يعلم السر يكافيك علانية» ثم قال «إذا صمت فلا تعبس وجهك وتضعف كلامك لكي ترائي الناس بذلك فيضيع أجرك بمدحة الناس ولكن إذا صمت فاغسل وجهك وادهن رأسك وقو كلامك لكيما يخفى على الناس صيامك والحق أقول لك أن أباك الذي إياه قصدت بصومك يجازيك» ثم قال في ذم الشره والحرص والبخل «لا تدخروا ذخائركم حيث يصل إليها اللصوص والآفات بل ادخروها في السماء حيث لا تصل اللصوص وتأمنون عليها حيث تكون ذخائركم فهناك تكون قلوبكم» ثم قال «لا يقدر العبد أن يخدم ربين إلا بإكرام إحداهما واحتقار الأخر وكذلك لا تقدرون على خدمة ربكم وخدمة الدنيا» ثم قال «لا تهتموا بما تأكلون ولا بما تشربون فإن عنايتكم بأنفسكم وخلاصها من الآثام والخطايا أفضل وأوجب عليكم من عنايتكم بأجسادكم لأن النفس أفضل من الجسد إذ كان لا قوام للجسد إلا بالنفس ولكن تشبهوا بطير السماء التي لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع بل تغدو خماصاً وتروح بطاناً لأن أباكم الذي في السماء يؤتيها رزقها والحق أقول لكم إنكم في الخليقة أفضل وأكرم عند الله منها فلا تهتموا بما تقيتون به أجسادكم بل اصرفوا عنايتكم إلى ما يرضي ربكم ولا تحملوا اليوم هم الغد إنما يكفي اليوم همه فلا تهتموا برزق الغد لأنكم أنتم لستم خالقيه وإنما خلق لكم فخالق الغد هو يأتيكم فيه

رزقه ولا يقولن أحدكم إذا أقبل الشتاء ماذا آكل وماذا ألبس وفي الصيف من أين آكل ومن أين أشرب فإن أباكم الذي في السماء يعلم أنكم تحتاجون إلى ذلك وهو يؤتيكم إياه» ثم قال في اغتياب الناس «لا تدينوا ولا تعقبوا لكي لا تدانوا ولا تعقبوا فأن بالدين الذي تدينون به تدانون وبالكيل الذي تكيلون به يكال لكم فما بالك أيها الإنسان ترى القذى الذي في عين أخيك وفي عينك خشبة لا تهمك أو تقول لأخيك دعني أخرج القذى الذي في عينك وفي عينك أنت سارية أخرج أولاً السارية من عينك وحينئذ تنظر في إخراج القذى من عين أخيك» ثم قال في الطلب والتضرع إلى الله جل وعز ووعده بالإجابة «اطلبوا تجدوا اسألوا تعطوا اقرعوا يفتح لكم فإن من سأل بنية صادقة أعطي ومن طلب بإيمان خالص وجد ومن استفتح بقلب سليم فتح له من منكم يسأله ابنه خبزاً فيعطيه حجراً أو يسأله حوتاً فيناوله حية فإن كنتم أنتم الأشرار تعرفون أن تعطوا أولادكم العطايا الجيدة فكم بالحري أبوكم الذي في السماء عنده الخيرات ويأتي الحسنات والبركات ويفيض نعمه على أوليائه وأهل طاعته الذين يسألونه بنية صادقة ويقين خالص» ثم قال في اصطناع المعروف إلى الناس «كل ما أحببتم أن يفعل الناس بكم أفعلوه أنتم بهم ولا ترضوا للناس إلا ما ترضونه لأنفسكم فإن هذا هو كمال البر[1]» ورضى الله عز وجل.

ولعل عايباً عاتياً بقلة دينه يعيب ألفاظ الإنجيل ويقول في تسمية المسيح سيدنا الله تبارك وتعالى أبانا فنجيبه في هذا بجواب مقنع

---

(1) كل هذه الإشارة فهي منقولة عن الإنجيل بالمعنى لا في اللفظ

ونقول إن المسيح له العالم وسيده أراد أن يحبب طاعة الله إلى الناس ويقـــربها مـــن قلوبهـــم لتكون طاعتهم له بالمحبة والمودة لا بالقهر والرهـــبة وأن يؤلـــف بيـــن قلوبهم ويخرج العداوة منها ويرفع ذكر الـتفاخر بالأنســـاب الـــذي أوقعه الشيطان بينهم ويجعلهم متعارفين بعضـــهم ببعض بالإخوة التي هم فيها كما هم في الطبيعة أجمع أخوة لأب واحد وأم واحدة وكذلك أحب أن يكونوا في جميع الحالات ليس كمـــا فعل صاحبك حيث زرع البغضة بين الناس بقوله «يا أيها الذين أمـــنوا إن مـــن أزواجكـــم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم وأن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم» (تغابن) والسيد المسيح كان يخاطـــبهم ويقـــول لهـــم أبوكم الذي في السموات يفعل بكم كذا وكذا ويصـــطنع إليكم كيت وكيت كل ذلك ليزرع في قلوبهم محبة بعضهم لبعض فتنحل الضغائن ويرتفع التفاضل ولعمري أن الله جل وعز هو الآب الرحيم المشفق المتحنن المجمل إذ كان بدأ فخلقنا جوداً وإحساناً قـــبل أن نكـــون تفضلاً منه علينا وهو يقوينا ويرزقنا بنعمته ويتفقدنا بجوده ويتعهد هفواتنا ويغفر ذنوبنا ويحتمل بكرمه وطول أناته جهلنا ولا يعجل علنيا كما يفعل الآب المشفق على ولده «ثم إذا[1] أدبنا خلط بأدبه الرأفة والرحمة» فلا يصل إلى الغاية التي نستحقها بذنوبنا فمن أحـــق وأولـــى بـــأن يسمى باسم الأبوة الحقيقية من الله تبارك اسمه وتعالى ذكره فلا حجة إذن للمنكر في إنكاره على المسيح سيدنا حيث

(1) قابل عبرانيين 5:12 ــ 11

يسمي الله أبانا. ثم قال في أداء الفرائض «فإذا[1] فعلتم ذلك كله فقولوا أننا عبيد بطالون إنما عملنا ما أمرنا به» وقد تحققت لنا أقواله ووصاياه بما كان يظهر لنا من سيرته أنه كان صائماً مصلياً لا بيت له ولا مأوى ولا شيء من القنية أكثر من ثوبين يواري بهما جسده فقد قال له بعض السائلين يا عظيمنا أين منزلك لآتيك فيه فأجابه أن للثعالب[2] أوجرة ولطيور السماء أوكاراً وأما أنا فلا بيت لي ولا مأوى حيث أدركت فهناك مبيتي ومتى طلبتني وجدتني لم يتكلم بإفك قط ولا همّ بخطيئة ولا اقترف ذنباً ولا ارتكب إثماً ولا قبيحة ولا أعاب أحداً ولا آذاه ولا منع طالباً ولا رد سائلاً ولا أعرض عن مستغيث ولا عن مستميح كما سبق قول النبي فيه (أشعياء 53) ثم أتبع ذلك فحقق قوله بالأعاجيب والآيات التي فعلها وكان يشفي المرضى الذين لا يعرف عددهم إلا هو تبارك اسمه ويبرئهم من أدوائهم ويكشف عن أسقامهم ويهب لهم العافية بكلامه طهر البرص وأخرج الشياطين وبسط أيدي العسم وأحيى الموتى الذين ماتوا وأتت عليهم الأيام الكثيرة مثل العازر أخي مريم ومرثا ومثل ابنة يايروس رئيس الكهنة وعبد العامل وابن الأرملة وغيرهم وأخبر بالغيب وبما تخفيه صدورهم وتكنّه أفئدتهم وبكلمته ابرأ المفلوج وأمر المقعد الذي أتت عليه ثمان وثلاثون سنة زمناً أن يحمل سريره على عاتقه ويمضي محاضراً فكان ذلك ونادى الشياطين فأجابته مذعنة لأمره

---

(1) قابل لوقا 10:17

(2) قابل متى 20:8

طائعــة لربوبــته مقــرة لـــه أنه كلمة الله الحي وأنه هو الذي يبطل ســلطانها وتســألـه أن يذهــل عنها وغفر الخطايا وعفا عن الذنوب بالكلمـــة الخالقـــة الممجدة بروح القدس الحالة فيه وفتح أعين الأكمه المعــروف بالعمى على طول الأيام وخلق لبعضهم الأعين من الطين المجــبول بــريقه قــدرة منه على الخليقة وأشبع من خمس خبزات وســمكتين خمســـة آلاف رجل خلا النساء والصبيان وفضل من ذلك اثنا عشر مناً كسراً وكان مباركاً حيث كان وغير الماء المصبوب في ســتة أجاجين خمراً وذلك في عرس في الجليل وتباركت به الصبيان ونادت به الأطفال ولعن شجرة التين فجفت من ساعتها وزجر أمواج البحر في شدة الريح فانتهت ومشى على الماء ظاهراً وتجلى لتلاميذه فــي الجــبل مـــع موســـى وأيليا النبيين وخبّر السامرية بخبرها مع الأزواج وابــرأ المــرآة التي كان بها نزيف دم منذ اثنتي عشر سنة وذلــك بمجــرد لمســـها ثوبه وظنت أنه لا يعلم بها فعلم بالقوة التي خرجــت منه وقال للجماعة من لمس ثوبي وأتت المرآة وسجدت له وأقرت بما فعلت فقال لها إيمانك شفاك امض بسلام وكوني بريئة من عللك وأمر الشياطين أن تدخل في الخنازير وتغرق في البحر فأجابت وانتهــت إلى طاعته وفعل أفعالاً كثيرة لو نسق جميعها الرسل لطال الكــتاب بها وقد تركنا أيضاً كثيراً منها لئلا يطول كتابنا هذا ولأنني أعلم أنك قد قرأت الإنجيل المقدس حيث كان ما اثبته التلاميذ من ذلك منســوقاً فــيه ومــن قول صاحبك وشهادته «وآتينا عيسى بن مريم البيــنات وأيدناه بروح القدس» فكيف يحيل عليك أصلحك الله أن هذه

الأفعـــال ليســـت إلهية ولا يحيل ذلك إلا على من أظلم عقله بالجسد وأعمي بصره بالغيرة ومن حملته محبة الدنيا على إهلاك نفسه ومن اتـبعه بـالإفك وكل ذي لب ناصح لنفسه إذا هو نظر في كتابنا هذا وتصفح هذه الأمور بعين الحق والنصفة وقاسها بأفعال صاحبك تبين له الحق من الباطل وإن كان لا يقاس بأمر المسيح شيء من الأشياء بالبهـــت والكذب والدعوى الباطلة ونحن نعلم وأنت أن أفعال المسيح ليست من أفعال البشريين وأن أمر صاحبك قد تهيأ لجماعة من الناس ممـــن قد رأينا وسمعنا به من الملوك المتقدمين في سائر الأزمان فإن قلـــت أن الأنبـــياء كانـــت تفعل الأشياء المعجبة التي ليس في قدرة العالميـــن أن يفعلوا مثلها مثل موسى وغيره قلنا لك إن الأنبياء كانت تفعـــل ذلك لكن بعد التضرع الشديد والطلب الطويل والمسألة الملحفة لا بـــالقدرة القاهـــرة والأمر النافذ الذي لا مرد له ولا شيء يعتاص علـــيه أو يضـــاده مثلما كان يفعل سيدنا المسيح لأن أولئك إنما كانوا يفعلون الشيء المعجز كما يفعل العبيد المشفقون بحسب الطاعة لإنفاذ الأمـــر الذي وجهوا به وتبليغ الرسالة وأنت تعلم أن موسى قبل فلق الـــبحر لبني إسرائيل ما زال مصلياً راكعاً ساجداً طالباً حتى قال الله له لم تصلي «قم[1] فأضرب البحر بعصاك فإنه ينفلق بين يديك» هكذا تجـــده فـــي الـــتوراة وكذلـــك يشوع بن نون وإيلياء واليشاع كانوا يتضـــرعون ويطلبون في صلواتهم فعند ذلك يؤذن لهم في عمل الآية وذلـــك بعـــد المسألة الملحفة على أن بعضاً دعا وصلى وتضرع فلم

(1) قابل خر 15:14 و16

يجب مثل موسى نجي الله فإنه تعالى قال له لا أدخلك أرض المواعيد وهـــي بلاد الشام لأنك لم تصدقني ولم تقدس اسمي أمام بني إسرائيل وذلـــك في المكان المعروف بماء الخصام لضربه الصخرة ضربتين فحرمه من دخول أرض الميعاد ومثل أرمياء المغبوط في الأنبياء قد دعا فقال الله عز اسمه إني لا اسمع دعاءك ولا أقبل صلاتك.

فأما سيدنا يسوع المسيح الذي هو الابن الحبيب كما شهد أبوه له قائلاً «هذا[1] هو ابني الحبيب الذي به سررت» فإنه فعل الأشياء بالقوة القاهرة التي هي الكلمة الخالقة للسموات والأرض المتحدة به فهل يقدر مخـــالف أن يتعنـــت أو يـــبطل هـــذا القول إلا بالحسد والمعاندة للحق والافتراء على الله الأب وكلمته وروح القدس مثل من يقول إن الشمس مظلمة والنار غير محرقة فباهت بذلك العيان وكفاه بهذا خجلاً.

وإذا قد نقلنا بعض شرائع المسيح سيدنا وأخبرنا ببعض عجائبه لـــنذكر الآن كـــيف اتخذ تلاميذه الحواريين وبعث بهم إلى أهل العالم دعـــاة إلى الحق فنقول إنه اتخذ قوماً أميين لا علم لهم ولا معرفة ولا شـــرف ولا حســـب ولا أيســـار صيادي سمك وعشاري خراج ففتح قلوبهم وملأها نوراً وحكمة فقهروا بذلك كل فيلسوف حكيم وفاقوا كل طبيـــب ماهر وتذلل لهم كل ملك عزيز وكل سلطان شديد وكل جبار عنـــيد ودخـــل في طاعتهم كل شريف وحسيب وافتقر إليهم كل غني حـــتى دان لهـــم ذوو الإيسار وأقر لهم كل ذي علم وفهم وانقطع عند حجـــتهم كل ذي بلاغة ودانوا لهم بالطاعة وأقروا لهم بالإجابة غير

---

(1) متى 17:3

منكريـــن ولا جاحديـــن بل قائلين بالفضل الذي أوتوه ومعترفين لهم بالـــنعمة التـــي ظهـــرت علـــيهم والأيـــد الذي أيّدوا به وتلك الآيات والعجائـــب التـــي أظهروها حين قال لهم «اذهبوا[1] فادعوا الأمم إلى حياة الأبد وبشروهم بالبعث والنشور وقيامة أجسادهم وفيها أرواحهم وتخليصـــهم مـــن سر الموت وفكهم من سلطانه وإطلاقهم من حبسة الذي هم فيه وقد أعطيتكم على تحقيق ما تضمنون لهم من ذلك القدرة علـــى فعـــل الآيات والعجائب مجاناً أعطيتكم مجاناً أعطوا لا تأخذوا ذهـــباً ولا فضـــة مـــن أحـــد تضعون أيديكم على المرضى فيبرأون والموتـــى فيحيون باسمي ليعجب العالم منكم ويكون لي حجة عليهم» فساروا بسيرته وبلغوا ذلك وبشروا الناس بالرحمة والمغفرة ودعوهم إلى الحق مجتهدين غير مفترين ولا مستأثرين لشيء من الدنيا وعدة هـــؤلاء سبعون رجلاً الذين وجههم قبل ارتفاعه إلى السماء بالكرامة والمجـــد. واخـــتار اثني عشر رجلاً كانوا ملازمين له وهم حواريوه وتلامـــيذه المشاهدون لكل أموره في كل أحواله وهم الناقلون أخباره بالحق والصدق إلى الأمم وكانت مخاطبته إياهم وعهده إليهم قائلاً إن الذي يعمل ويعلم هذا يدعى اسمه كبيراً في ملكوت السموات وعظيماً وإذا أنـــتم طلبتم فاطلبوا المغفرة لخطاياكم والرحمة وملكوت السماء والعمـــل بالـــبر ولا تكـــثروا الخطب والتعديد وتشغلوا قلوبكم بطلب

---

(1) قابل متى 10 ولوقا 10:1 ـ 10

الرزق الذي قد كفيتموه فأن أباكم الذي في السماء أعلم بحوائجكم وما يصلح بكم ولكن إذا دعا أحدكم فليدع هكذا(1).

«أبانـــا الـــذي فـــي السموات ليتقدس اسمك ليأت ملكوتك لتكن مشـــيئتك كما في السماء كذلك على الأرض أعطنا خبزنا كفافنا يوماً فـــيوماً واغفـــر لنا ذنوبنا وخطايانا كما تغفر نحن لمن أساء إلينا ولا تدخلنا في التجارب لكن نجنا من الشرير لأن لك الملك والقوة والمجد إلى الأبد آمين».

ثـــم قـــال لهم إني موجهكم مثل الحملان بين الذئاب(2) ولكني مؤيدكـــم فكونوا حكماء في أموركم وإذا قدمتم إلى السلاطين والحكام والقضـــاة فـــلا تهابوهم ولا تميلوا عن الحق معهم ولا ترهب قلوبكم عـــند مخاطبتكم إياهم بالمواعظ لأنهم لا يملكون لأنفسكم ضراً وإنما ســـلطانهم علـــى أجســـادكم فقـــط فاصبروا إذا ألجؤوكم إلى الحبس والضـــرب والقتل واذكروا من له سلطان على أنفسكم وأجسادكم معاً لأنـــه هـــو القـــادر على أن يميتكم ويحييكم ويعذبكم ويعفو عنكم ولا تهـــتموا بمـــا تكلمونهـــم وتحاجونهم به فأني معطيكم في الوقت من الحكمـــة بالروح القدس ما تحتاجون إليه واعلموا أن من جحد دعوتي وأنكـــر البشـــارة باسمي أنكرته يوم القيامة إذا وقف مع الخلائق بين يـــدي للحكـــم والقضـــاء ومن أقر بدعوتي والبشارة باسمي بين يدي الـــناس ولم يجحد ذلك ولم يكتمه قررت به أنه من أوليائي يوم الدين

---

(1) قابل متى 7:6 ـ 4

(2) قابل متى 16:10 ـ 33

إذا وقـــف مع الخلائق بين يدي، ثم قال لهم عليكم بالتواضع فطوبى[1] للمتواضــــعين طوبى للمطهرة قلوبهم كونوا رحماء فطوبى للرحومين فـــإنهم يســــتحقون الـــرحمة من ربهم. ثم قال لهم صلوا من قاطعكم أعطـــوا مـــن منعكم أحسنوا إلى من أساء إليكم سلموا على من سبكم صـــالحوا مـــن بغضـــكم اصفحوا عمن أهانكم أنصفوا من خاصمكم واعفوا عمن ظلمكم كعفو الله مولاكم عنكم فإنكم إذا لم يرحم بعضكم بعضـــاً كـــيف يرحمكم الله وإذا لم تحسنوا إلى الناس كيف يحسن الله إليكم كونوا متفضلين حتى يجود الله عليكم فحقاً أقول لكم كما تفعلون كـــذا يفعـــل بكـــم. ثـــم قال أن[2] ضوء الجسد عيناه فإن كان البصر مستضيئاً استضاء الجسد كله وإن كان البصر مظلماً كان الجسد أيضاً في الظلام كذلك العبد إذا كان عالماً بربه أبصر ذنبه وإذا كان جاهلاً بـــربه عمي عن ذنوبه وكما أن لا قوام للجسد إلا بالنفس الحية كذلك لا قـــوام للدين إلا بالنية الحسنة الصادقة وإياكم والنظر إلى عيوب[3] الناس وأن تعاتبوهم على صلاحها لكن أبدأوا بإصلاح عيوب أنفسكم وغطوهـــا بأفعـــالكم لا تعطوا القدس للكلاب ولا تنشروا درركم قدام الخـــنازير ولا تذكـــروا الحكمة للسفهاء ولا تتكلموا بها عند المظلمة قلوبهـــم مـــن خـــوف الله. ثم قال ما أسهل[4] السبيل التي تؤدي إلى

---

(1) قابل متى 3:5 ــ9و44 ــ 46

(2) قابل متى 22:6 و23

(3) متى 1:7 ــ 6

(4) قابل متى 13:7 و14

العطب والهلاك وما أوسعها وأعمرها وأكثر سالكيها وما أثقل السبيل التـــي تؤدي إلى الحياة وما أبطأ سالكيها وأقل عامريها[1] احتفظوا من الكذابيـــن واحترســـوا مـــن المرائيـــن على ظهورهم ثياب الصوف كالحملان وهم من داخل كالذئاب الخاطفة يعرفون بسيماهم هل يجتنى مـــن العوســـج عنـــب أو مـــن الحنظل تين كذلك لا ينتفع بقول ولا بموعظـــة مـــن مثل هؤلاء واحذروا من الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بعدي بلا آية ولا حجة بل بالسيف والمغالبة. أمضوا[2] فادعوا الناس إلـــى حياة الأبد وعلموهم ما علمتكم من الحكمة الروحانية وخبروهم بما رأيتموه مني واهدوهم في هذه الدنيا الفانية الغرارة ورغبوهم في دار الآخـــرة وأعلموهـــم أن الله تبارك وتعالى باعث من في القبور ومحيي الموتى ومدين الخلائق فمن عمل صالحاً ورث الحياة الدائمة التي لا موت يقطعها في ملكوت السماء وجوار رب العالمين الذي لا شيء أفضل منه مع الأمن والعافية في نعيم لا يزول ولا ينقضي فمن أفسد ولم يسمع قولكم وكذب بشارتي وجحد دعواي وناصبها بالنقض والمخالفـــة والعـــداوة والمعـــاندة فجزاؤه يوم الدين نار جهنم التي لا تنطفـــئ خـــالداً فـــيها والعذاب الدائم الذي لا انقضاء له وغضب الله وســـخطه الـــذي لا رضى بعده فمن رد دعوتي فقد ناصب الله ورد أمره. وقد أعطيتكم من الأيد والسلطان والقوة والقدرة ما يحقق للناس

(1) قابل متى 7:15ـ 20

(2) قابل متى 28:19 و20

دعوتكــم لــتكون الحجة البالغة عليهم ضعوا أيديكم على المرضى[1] الميــئوس مــنهم فيــبرأون باسمي ونادوا الموتى فيحيون وأخرجوا الشــياطين من الناس وافتحوا أعين العمي وطهروا البرص فلا شيء يعــاندكم ولا يقاومكم وكل ما ربطتموه[2] على الأرض كان مربوطاً في السماء وكل ما حللتموه كان محلولاً حتى تنير دعوتي في جميع[3] الأرض ولا يكــون موضــع خالياً من دعوتي لأنها إلى الناس كافة لأنها نعمة مبثوثة على جميع ذرية آدم فمن دخل فيها حظ نفسه وربح وأمــن وســلم وفاز وغنم ومن ضل معرضاً خاب وخسر. ها أنا ذا موجهكــم بلا سوط ولا عصا ولا سيف ولا سلاح ولا ملك ولا جنود ولا قهــر ولا مجاهدة ولا مقاومة ولا مجاحفة ولا جدال ولا مناظرة ولا اضــطهاد ولا عــنف ولا ترغيــب فــي ملك ولا ملذات الدنيا وشــهواتها ولا تسهيل في السنن فنادوا في الناس وادعوهم إلى التوبة والخــروج عن الأهل والولد والأموال والنعيم ورفض الدنيا والتذلل والخضــوع وصححوا قولكم وضمانكم لهم ملكوت السموات بالآيات المعجــبة التي أعطيتكم السلطان والقدرة على صنعها وخبروهم خبر البعث والوعيد ورغبوهم في الثواب وحذروهم من العقاب ولا تأخذوا ذهباً ولا فضة ولا تريدوا من أحد أجراً ولا شكراً كلوا من كد أيديكم ومــا فضــل مــن قوتكم تصدقوا به على المساكين ولا تدخروا للغد

(1) قابل 8:10

(2) قابل يوحنا 23:20 ومتى 19و 20

(3) متى 20:28

وامنحوا الناس منحتكم بلا غش ولا غل وأعطوهم من ذلك مجاناً كما أعطيتكم ولا تمنعوا طالباً ولا تردوا سائلاً وأسعفوا الناس جميعاً وابذلوا لهم المجهود من أنفسكم سيروا بالبشارة ولا تفتروا فإن ملكوت السماء قد دنت وها أنا[1] معكم ومع كل من دعا باسمي جميع أيام الدنيا إلى انقضاء الدهر. ثم أنه أراد أن يكمل التواضع إلى الغاية القصوى فم يمتنع من أيدي الكفرة حتى نالوا منه ما نالوه من صلبه على خشبة وهو مع ذلك يقول «يا أبت[2] اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ما يفعلون» ثم مات بجسده وأقام على الصليب إلى وقت الغروب من يوم الجمعة ثم أنزل ودفن وأقام في القبر إلى صبيحة يوم الأحد ثم انبعث حياً بلاهوته وتراءى[3] للنسوة اللاتي جئن إلى قبره زائرات وظهر بعد ذلك لحوارييه مرة في الجليل ومرتين في الغرفة التي كانوا فيها نزلاً ومرة في الطريق وبعضهم ماض إلى القرية التي تدعى عمواس ومرة على شاطئ البحر وهم يتصيدون السمك وأكل معهم عدة مرار كل ذلك في خلال أربعين يوماً وكان يجدد عليهم الوصية ويذكرهم العهود التي عهدها إليهم ويخبرهم أنه سيوجه لهم البارقليط الذي هو الروح القدس لتأييدهم فلم يزالوا كذلك إلى أن صعد[4] إلى السماء صعوداً ظاهراً مكشوفاً بحضرة من كان

---

(1) قابل مرقس 15:16

(2) قابل لوقا 34:23

(3) قابل متى 9:8 و10 ومرقس 9:16

(4) قابل لوقا 51:2 وأعمال 9:1 ـ 12 ومرقس 19:16

حاضـــراً في ذلك الوقت وهم ينظرون إلى أبواب السماء مفتحة وقد نزلـــت الملائكـــة ورفعـــته بالتمجيد والتهليل والتسبيح وهي تخاطب وتقــول أيهـــا الـــناس ما بالكم تنظرون متعجبين حائرين هذا يسوع المسيح ابن الله الوحيد قد صعد إلى السماء ممجداً وهو مزمع أن يأتي ثانـــية فـــي آخر الأيام فيرى نازلاً في ذلك الوقت كما ترونه الساعة صـــاعداً ليبعـــث من في القبور ويدين الخلائق ثم غاب عنهم وغابت الملائكة معه وذلك الجبل الذي صعد منه جبل الزيتون من بلاد الشام معروف مشهور بهذه الصفة إلى هذا الوقت.

فلـــنذكر بعـــد هذا شهادة المخالف إذ يقول معلناً «إذ قال الله يا عيســـى أني متوفيك ورافعك إليّ ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ثم إلي مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون. فأما الذين كفروا فأعذبهم عذاباً شديداً في الدنـــيا والآخـــرة ومـــا لهـــم من ناصرين. وأما الذين آمنوا وعملوا الصـــالحات فيوفيهم أجورهم والله لا يحب الظالمين. ذلك نتلوه عليك مـــن الآيـــات والذكـــر الحكيم» (آل عمران) فهذا فتح الله عقلك إلى الصواب قول صاحبك واعترافه وشهادته عن الله كما أدعى وادعيت لـــه فتثبت في النظر وانصح لنفسك في الاستقصاء ولا تمل إلى غير الحق فإنك إن أنصفت ظهر لك أبيض النور وتلألأ الحق.

ثـــم لما كان بعد صعوده إلى السماء بعشرة أيام كان الحواريون مجتمعيـــن فـــي الغرفة[1] التي كانوا ينزلون فيها معه إذ سمعوا هادة

(1) قابل أعمال 13:1 و2:2 ــ 13

عظـــيمة شديدة وتجلى عليهم الروح القدس الذي هو البارقليط فصار على كل رجل مثل اللسان من النار فجعل يتكلم بلسان البلد الذي وجه ليبشـــر فـــيه بالمسيح مخلص العالم ومنقذه ويدعو أهل ذلك البلد إلى النصرانية ويخاطبهم بلسانهم ويريهم الآيات المعجزة فعند ذلك تفرق الحواريـــون كل رجل منهم إلى البلد الذي ندب إليها وأُعطي معرفة لســـانها وكـــلام أهلهـــا وكتبوا الإنجيل الطاهر وجميع أخبار المسيح وأقاصيصـــه بكـــل لســـان عن إملاء الروح القدس فدانت لهم الأمم واســـتجابوا لقولهـــم ورفضـــوا هذه الدنيا ومالوا إلى الأمر الواضح وتـــركوا أديـــانهم ودخلوا في النصرانية عندما أشرق لهم نور الحق وتلألأ نور البشارة فأيقنوا وآمنوا مصدقين غير مرتابين ولا شاكين حيث ميزوا الحق من الباطل والكفر من الإيمان والهدى من الضلالة والرشد من الغي ورأوا الأعاجيب والآيات الباهرة والدلائل الواضحة والســـيرة الحسنة المشبهة لسيرة المسيح التي آثارها قائمة ثابتة حتى الـــيوم والســـاعة فنحن الذين قبلناه منهم ولم نزد فيه ولم ننقص منه وعليه نحيى وعليه نموت ونبعث حتى نقوم به بين يدي المسيح سيدنا يـــوم نقـــف بين يديه إذا هو دان الخلق جميعهم ليس كسيرة صاحبك وســـيرة أصـــحابك الذين لم يزالوا يتقدمون في القتل والنهب والخبط بالســـيوف وسبي الذراري والتغلب على البلدان ونهب الناس أموالهم وهـــتك حريمهم واستعباد الأحرار وهم في هذه الحال إلى هذه الغاية يحملـــون الـــناس على المحارم وعلى مساوي الأخلاق حتى تعلموا فقـــالوا فـــي ذلك ما لم تفعلوه مثل قول عمر بن الخطاب ألا من كان

جـــاره نبطياً واحتاج إلى ثمنه فليبعه ومثل هذا كثير مما يشاكله من القـــول والفعـــل وهذا خلاف ما كان يفعله سمعان وبولس من إبراء المرضى بأمرهما وطلبهما وإقامة الموتى باسم المسيح سيدنا.

وإن قلـــت ما بال الرهبان لا يفعلون اليوم من الآيات والعجائب والجـــرائح مـــثلما كـــان الحواريون يفعلون حيث توجهوا إلى البلدان رجعـــنا إلـــيك بالجواب وقلنا لهم لما مضوا للبلدان للدعوة واجتذاب الناس إلى الإقرار بربوبية المسيح احتاجوا عند ذلك إلى كثرة الآيات وتواتـــر العجائب لتصح دعوتهم وليعلم الذين يدعونهم صحة دعواهم فلـــيس الرهبان اليوم دعاة وإن كان كثير منهم يتكلفون فعل ذلك لدى الخواص خفية ليعلم أن تلك النعمة ثابتة فيهم باقية فإذا جرى لهم أمر احتاجوا إلى إظهار قوتهم العامة أظهروها ليعرف ذلك من أفعالهم في المشـــرق والمغرب حيث حلوا ولو أن الرهبان تكلفوا أحياء كل ميت وإشـــفاء كل مريض في كل وقت لم يمت أحد ولم يكن للقيامة رجاء ولا للدنيا زوال وكان في ذلك تكذيب لوعد الله تبارك وتعالى ووعيده في الآخرة وإنما يفعل الرهبان ما يفعلونه ويجري على أيديهم الواحد بعـــد الواحد ليزدادوا ثقة لما هم فيه من ذلك التعب والنصب وليعلموا كيف مرتبتهم عند الله في طاعتهم ليلهم ونهارهم وأيضاً فمن قصدهم بقلـــب ســـليم ونية صحيحة وأتاهم مستغيثاً فبصلواتهم وبركة دعائهم أدركوا طلبتهم وأيضاً لو كانت الآيات والعجائب تظهر لدى التجارب كما ظهرت للأولين كانت دائمة كما كانت في أيام الجهل وعدم الأدب لمـــا كـــان للناس في إيمانهم وطاعتهم حمد إلا كحمد الدواب التي لا

تستغني في الاستقبال بها والاستدبار عن اللجم والضرب بالعصا لكن إذ فضـــل الله تـــبارك اسمه جوهر الإنسان على البهائم وأنعم عليهم بـــالعقل والتمييز كلفهم استعمال رأيهم في إحراز علم ما غاب عنهم مـــن برهان الحق عن دينه فإذن ليس يحتاج اليوم الناس إلى معاينة الآيـــات فـــي تحقيق هذا الدين إلا من رفع نفسه عن استعمال العقل وشارك البهائم في جهلها وقلة إدراكها.

فقد شرحت لك قصة المسيح سيدنا على غاية الاقتصار وبعض أخـــبار الحواريـــين الذيـــن نقلنا عنه ديانتنا التي نحن متمسكون بها ومنـــتحلون لهـــا فـــاجمع الآن مـــا تريد جمعه منها إلى ما في يدك واستعمل الإنصاف واصدق نفسك ولا تغشها وإن قبلت مني فإني لك مـــن الناصـــحين يشـــهد الله والملائكة علي بذلك إن تركت مشاركة الفجرة الجهال وأقبلت إلى إحراز علم ما غاب عنهم من برهان الحق عـــن دينه فإذن ليس يحتاج اليوم الناس إلى معاينة الآيات في تحقيق هـــذا الديـــن إلا من رفع نفسه عن استعمال العقل وشارك البهائم في جهلهـــا وقلة إدراكها. وأقبلت إلى نور الإنجيل وضياء بشارة المسيح تصـــر من أوليائه وترد ملكوت السماء وحياة الأبد التي لا انقطاع لها والنعيم التي لا تبلغه صفة الأميين وخف من سلطانه على بدنك ونفسك الـــذي هـــو يقـــدر أن يرحمك ويقبلك كما يقبل الأب الولد الشارد فإنك تكـــون مـــن الموفقيـــن فإن حجة الله تبارك اسمه عليك ظاهرة لما قد خصـــك الله به من العقل وفضلك من الزيادة على غيرك فلا تغفل ولا تغـــتر بهـــذه الدنـــيا وتتعلق بأسبابها وتتعمس في شهواتها فإنها غدارة

مهلكة لمن مال إليها وانظر لنفسك قبل فوت النظر وردد فكرك في ما قـد كتبـت إليك وشرحته لك من الأشياء التي قلدتها كتابي هذا وقس بعضها ببعض واستعمل في ذلك قانون العدل وميزان الحق وآثره ومل إلـيه وتجنب الباطل وتنح عنه واهرب من الأمور المذلة فإنها إنما هي بهـرجة علـى قوم جهال أغبياء لا علم لهم ولا معرفة ولا تأدب ولا حكمـة ولا نظر ولا شريعة فليس هذا الأمر من الأمور التي يجوز أن يغفـل عـنها حـتى لا يلتفت إليه لأنه هو الأمر المحصول عليه في الوقتيـن معـاً في هذه العاجلة وفي الآجلة وقت لا يُقبل منك فيه العذر ولا يـنفع الاحتجاج واعلم علماً يقيناً أن من كفر بالطاغوت وآمن بالله فقـد استمسـك بالعروة الوثقى التي لا يخيب من طلبها لرضى الرب وأجهـد نفسه بالتقرب إليه بما قد فرضه في كتبه أما أنا فقد بلغت جهد طاقتـي في النصيحة لك ولكل من نظر في كتابي هذا وما أبقيت عند نفسـي فـي ذلك غاية وأسأل الله أن يوفقك وإيانا على العمل الصالح بطاعـته ويعصـمنا من معاصيه ويشركنا في ملكوته مع أوليائه الذين رضي عنهم بجوده وكرمه.

والسلام عليك ورحمة الله وبركاته ــ أمين

أما الرسالتان فقد ذكرهما العالم الشهير أبو ريحان محمد بن أحمد البيروني في كتابه المسمى «الآثار الباقية عن القرون الخالية» إذ استشهد بكلام عبد المسيح على ذبح الصابئة الآدميين قرباناً للقمر فقال:

« وكذلك حكى عبد المسيح بن إسحاق الكندي النصراني عنهم (أي الصابئة) في جوابه عن كتاب عبد الله بن إسماعيل الهاشمي أنهم يعرفون بذبح الناس ولكن ذلك لا يمكنهم اليوم ».